

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: طه والانبياء والحج والمؤمنون

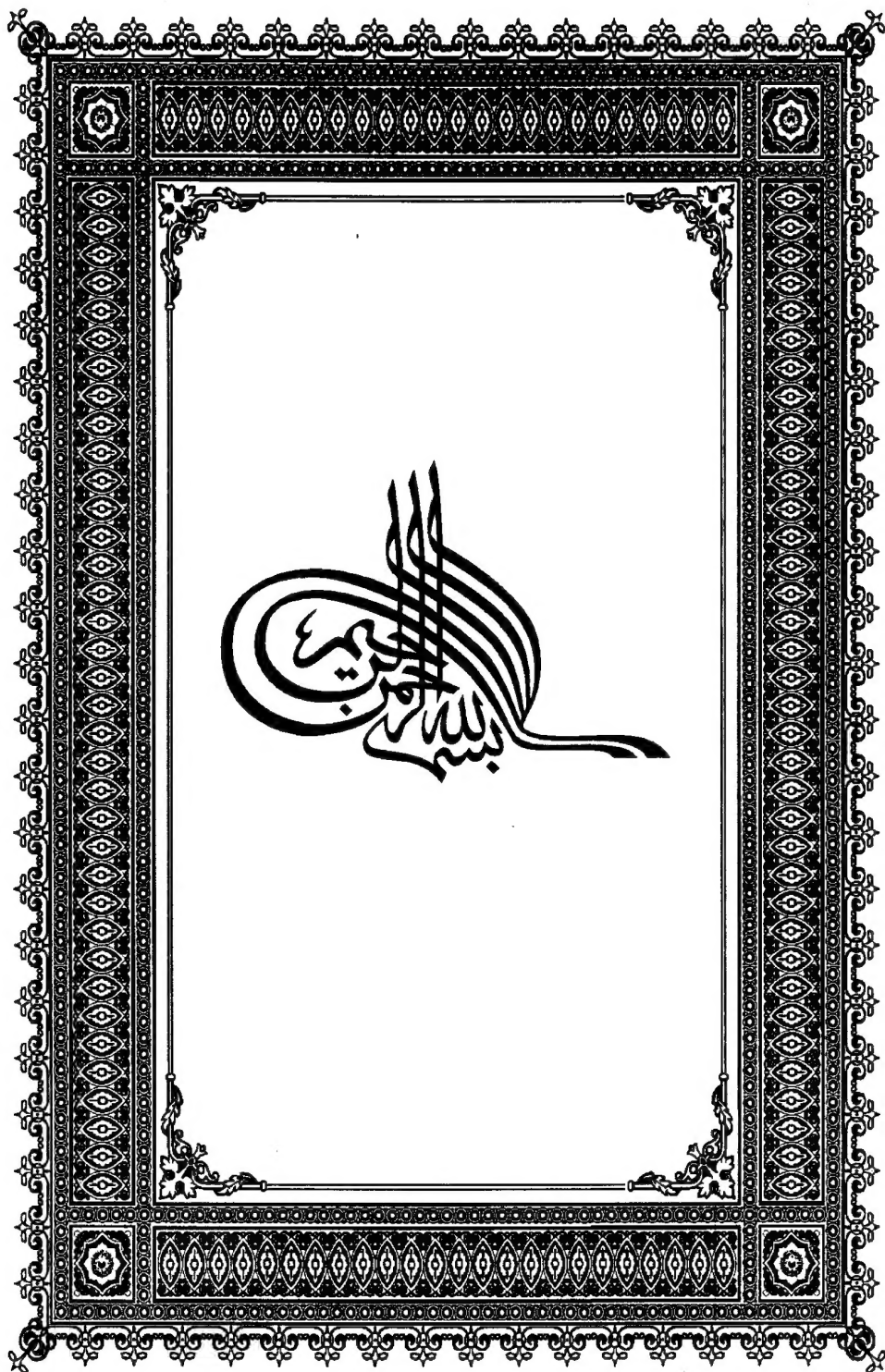
إشراف
د. زهدي ابو نعمة

إعداد الباحثة
آمال محمود الفلاح

ضبط ومراجعة
د. مروان محمد أبوراس

الجزء السابع

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م



﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا
كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن
جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾
صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ - ٥٣].

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأفضل الصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى من خلقه... أما بعد:

في مستهل هذه الرسالة أسجل عجز لساني عن إيفاء الله - ﷻ - حقه من الشكر والعرفان، وامثالاً لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢] وقول الرسول ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(١) فإنني أسجل هنا هذا الشكر والتقدير والعرفان...

فاتوجه بالشكر والعرفان والتقدير إلى معلّمي الجليل وأستاذي الفاضل:

الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة

المشرف على إعداد هذه الرسالة لقاء ما أولاني من الرعاية والعناية خلال فترة البحث، فله مني كلّ التقدير والاحترام، وجلّ الشكر والعرفان،

(١) أخرجه البخاري في كتابه: الأدب المفرد ج ١/ ص ٨٥/ ح ٢١٨ كتاب: المعروف، باب: من لم يشكر الناس. وأبو داود في سننه ج ٢/ ص ٦٧١/ ح ٤٨١١ كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف. وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٢/ ص ٢٩٥، ح ٧٩٢٦ مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة. والطبراني في المعجم الكبير ج ١/ ص ١٩٥/ ح ٥١٩. والبيهقي في شعب الإيمان ج ٦/ ص ٥١٦/ ح ٩١١٧. وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ٧/ ص ١٦٥. وآخرون. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وجزاه الله عني خير الجزاء، وجعل جهوده المضنية في تدقيق بحثي، وإسداء النصح والتوجيهات القيمة لي في ميزان حسناته، وأجزل له الثواب والعطاء.

كما أخص بالشكر والعرفان والتقدير كلاً من أستاذي الفاضلين:

الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل

والدكتور: وليد محمد العامودي.

الذين شرفاني بقبولهما مناقشة هذا البحث، وإثرائه بالنصائح والتوجيهات القيّمة. فجزاهما الله عني خير الجزاء على ما بذلاه من جهدٍ مشكورٍ لإخراج بحثي هذا في أبهى وأجمل حلّة، وجعل جهودهما العظيمة في ميزان حسناتهما، وأجزل لهما الثواب والعطاء.

وأثني بالشكر الجزيل، وجُلّ العرفان والتقدير، إلى جامعتي الحبيبة:

الجامعة الإسلامية بغزة

حاضنة العلم والعلماء، وإلى القائمين عليها من الفضلاء، والعاملين فيها من الأجلاء، وأخص بالشكر والعرفان الجميل كلية أصول الدين: عمادة ومدرّسين وعاملين، كما أخص بشكرٍ أعمقٍ ويعرفان أخص قسم الدراسات العليا: عمادة ومدرّسين وعاملين، وأخص منهم بالشكر والعرفان والتقدير من تتلمذت على أيديهم في البكالوريوس أو الماجستير، أو كليهما معاً أمثال: فضيلة الدكتور: عبد السلام اللوح، وفضيلة الدكتور: زكريا الزميل، وفضيلة الدكتور: عبد الكريم الدهشان، بالإضافة إلى فضيلة الدكتور: عبد الرحمن الجمل.

كما أبرقُ بشكري وعرفاني إلى المكتبة المركزية في الجامعة بجميع العاملين فيها، وأخص منهم بالذكر الأخ الأستاذ إبراهيم الكرد، والأخ الأستاذ أدهم عمّار؛ على ما أمدّاني به من برامج قيّمة مفيدة، والأخ الأستاذ هاني الصوص الذي أفادني إفادةً جمّة في تنسيق هذه الرسالة، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وجعل جهودهم في ميزان حسناتهم.

كما أتقدم بعظيم الشكر والعرفان والتقدير إلى أُمِّي الحبيبة التي اختصتني ببركة دعائها.

وإلى رفيق دربي زوجي الغالي، الذي شجعني على إتمام دراستي الجامعية، وتحمل معي مشاق الدراسة سنوات طويلة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أبنائي الأغزاء، وأخص بالذكر ابنتي الحبيبة شيماء لما تحملت معي لأستطيع إتمام هذه الرسالة، فبارك الله فيها ولها، وجعلها وبنات المسلمين من أهل القرآن العظيم، وإلى أهلي جميعاً، وأخص بالذكر زوج أختي الأستاذ بسام المشهراوي الذي ترجم ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية، وابني أختي الحبيبين: المهندس عصام نصر، والأستاذ ماهر نايف على مجهوداتهما العظيمة معي من أجل إتمام هذا البحث.

وأخص بشكري الجزيل وعرفاني بالجميل، وتقديري فضيلة الأستاذ الكبير: محمد عوض الله على تفضله بقبول تدقيق هذا البحث لغوياً، وعلى ما بذله من جهد مشكور في سبيل ذلك، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعله في ميزان حسناته يوم القيامة.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير إلى أسرتي التعليمية بجميع أفرادها، وأخص بالذكر مديرة المدرسة السيدة سلوى الصيرفي، ووكيلتها السيدة أنسام دردونة على ما قدّمته لي من تسهيلات في أثناء الدراسة.

ولا أنسى من شكري الجزيل أخواتي اللاتي أحببتهم في الله حباً جمّاً، وقد جمعني بهنّ الدراسة في برنامج الماجستير، ثم شاركتهم خدمة كتاب الله العزيز في الدنيا، والله أسأل أن يجمعني بهنّ على حوض نبيه ﷺ في الآخرة، وأخص بالذكر الأخت هيفاء رضوان التي أعدت خطة هذا البحث لي وللذين شاركوا في هذه الدراسة بالخطة نفسها، فجزاها الله عني وعنهم خير الجزاء، وجعل جهودها المخلصة لله في ميزان حسناتها يوم القيامة.

وقبل الختام أقدمُ لكلّ من أسدى إليّ أثناء البحث إحساناً، أو ساهم
في تسهيل مهمتي، أو جاد عليّ ببعض وقته أو جهده منّي الشكر، وأرجو
له من الله الأجر.



مفتاح مختصرات الرسالة

الإبانة	= الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب.
الإتحاف	= إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي.
الإتقان	= الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
إتمام الأعلام	= إتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد المالح.
الأحرف السبعة	= الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن عتر.
أحكام القرآن للشافعي	= أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعي.
الأدوات النحوية	= الأدوات النحوية في كتب التفسير للدكتور: محمود الصغير.
الأساس	= الأساس في التفسير - لسعيد حوى.
الإسرائيليات	= الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهاب.
أسماء القبائل	= أسماء القبائل وأنسابها - للقزويني.
الأصحاب	= حمزة والكسائي وخلف.
الإعجاز العلمي	= الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لعبد السلام اللوح.
إعجاز القرآن	= إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي.

إعراب القراءات السبع	= إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه.
إعراب القرآن	= إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحبي الدين الدرويش.
إعراب ثلاثين سورة	= إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه.
الإقناع	= الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر الأنصاري.
إنباء الرواة	= إنباء الرواة على أنباء النحاة لأبي الحسن القفطي.
أيسر التفاسير	= أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري.
البدر الطالع	= البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكانى.
البدور الزاهرة	= البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة لعبد الفتاح القاضي.
البرهان	= البرهان في علوم القرآن للزركشي.
بصائر ذوي التمييز	= بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي.
البصريان	= أبو عمرو ويعقوب.
بغية الوعاة	= بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.
بلاغة الكلمة	= بلاغة الكلمة في التعبير القرآني لفاضل السامرائي.
بيان السبب	= بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات للمهدوي ضمن كتاب: أربعة كتب في علوم القرآن للمهدوي ولابن برّي وللصفاقسي ولمجهول.
تاج العروس	= تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.
التبيان	= التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري.
تجبير التيسير	= تجبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري.

تخريج الظلال	= تخريج أحاديث وآثار كتاب: (في ظلال القرآن لسيد قطب) لعلوي السقاف.
تسمية فقهاء الأمصار	= تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ومن بعدهم للنسائي.
التعديل والتجريح	= التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي.
تفسير ابن كثير	= تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
تفسير أبي السعود	= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود.
تفسير البغوي	= معالم التنزيل في التفسير والتأويل لأبي محمد البغوي.
تفسير الرازي	= التفسير الكبير للفخر الرازي.
تفسير السعدي	= تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.
تفسير السمرقندي	= بحر العلوم لأبي الليث نصر السمرقندي.
تفسير الطبري	= جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.
رسالة ماجستير الملاحى	= تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (الفاتحة، البقرة، وآل عمران) لعبد الله الملاحى.
تفسير القرطبي	= الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
تفسير الماوردي	= النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي.
تفسير المنير	= التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي.
تفسير النسفي	= مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي.
التفسير الوسيط لطنطاوي	= التفسير الوسيط للقرآن الكريم لسيد طنطاوي.
التوجيه اللغوي	= التوجيه اللغوي لقراءة عاصم لصبري المتولّي.

التوقيف	= التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي.
الجواهر الحسان	= الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.
الجوهر المصون	= الجوهر المصون في رواية قالون للسيّد هادي السّقّاف.
حاشية الشهاب	= حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي لشهاب الدين الخفاجي.
حاشية القونوي	= حاشية القونوي على تفسير البيضاوي لإسماعيل بن محمد الحنفي.
حسن المحاضرة	= حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي.
حلية الأولياء	= حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني.
حلية البشر	= حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار.
الدر المصون	= الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي.
الدر المتثور	= الدر المتثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.
الدرر الكامنة	= الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني.
دقائق التفسير	= دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية لمحمد السيد الجليند.
دقائق لغة القرآن	= دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري لعبد الرحمن عميرة.
دلالات الظاهرة الصوتية	= دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم لخالد قاسم بن دومي.
ديوان جرير	= ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب.

روح البيان	= روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل بن مصطفى الحنفي الخَلَوْتِي.
روح المعاني	= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.
الريح والرياح	= الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب لعلي محمد العماري.
زاد المسير	= زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي.
سراج القارئ المبتدئ	= سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المُتَهَيِّ لعلي القاصح.
سنن الترمذي	= الجامع الصحيح للترمذي.
شذرات الذهب	= شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.
شرح التصريح	= شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهرى.
شرح الرضي	= شرح الرضي على الكافية ليوسف حسن عمر.
صحيح ابن جبان	= صحيح ابن جبان بترتيب ابن بلبان لأبي حاتم البستي.
صحيح البخاري	= الجامع الصحيح المختصر للبخاري.
ضعفاء العقيلي	= الضعفاء الكبير لمحمد بن عمر بن موسى العقيلي.
طبقات الشافعية	= طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب السبكي.
طبقات المفسرين	= طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
طبقات المفسرين للأدنوي	= طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنوي.
طبقات المفسرين للداوودي	= طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداوودي.
طبقات النحويين	= طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد الزبيدي.

طلائع البشر	= طلائع البشر في توجيه القراءات العشر لمحمد الصادق قمحاوي.
عارضة الأحوزي	= عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي.
غاية النهاية	= غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن الجزري.
غرائب القرآن	= غرائب القرآن وרגائب الفرقان على مصحف التهجد لنظام الدين الحسن القمي.
غريب القرآن	= غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن المبارك.
غيث النفع	= غيث النفع في القراءات السبع لعلي الثوري الصفاقسي.
فتح الباري	= فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
فتح القدير	= فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني.
الفتوحات الإلهية	= الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجميل.
الفريد	= الفريد في إعراب القرآن المجيد (إعراب، تفسير، قراءات) للمتجرب حسين بن أبي العز الهمداني.
فريدة الدهر	= فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر لمحمد إبراهيم محمد سالم.
فضائل القرآن	= فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام.
فنون الأفنان	= فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لأبي الفرج بن الجوزي.

فهرس الفهارس	= فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحى بن عبد الكبير الكتاني.
القراءات المتواترة	= القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية لمحمد الحبش.
القواعد والإشارات	= القواعد والإشارات في أصول القراءات لأحمد بن عمر بن محمد الحموي.
الكاشف	= الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد بن أحمد الذهبي.
الكشاف	= الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود الزمخشري.
الكشف	= الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي.
كشف الظنون	= كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي القسطنطيني.
كنز العمال	= كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي.
الكواكب الدرية	= الكواكب الدرية في نزول القرآن على سبعة أحرف لمحمد بن علي الحداد.
الكواكب السائرة	= الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي.
الكوفيون	= عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف.
لب الألباب	= لب الألباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي.

اللباب	= اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير.
لباب النقول	= لباب النقول في أسباب النزول لعبد الرحمن السيوطي.
اللغات	= اللغات في القرآن لتوفيق محمد شاهين.
	ما انفرد به كل من القراء السبعة = ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي للدكتور عبد القادر الهيتي.
المبصر	= المبصر لنور القرآن لثالثة هاشم صبري.
المجتبى	= المجتبى من السنن لأبي عبد الرحمن النسائي.
مجمع البيان	= مجمع البيان في تفسير القرآن بالقرآن للطبرسي.
مجمع الزوائد	= مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي.
المحتسب	= المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني.
المدنيان	= نافع وأبو جعفر.
المحرر الوجيز	= المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.
المرشد الوجيز	= المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي.
المزهر	= المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي.
المستدرك	= المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.
المستنير	= المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة، الإعراب، التفسير. لمحمد سالم محيسن.

المسند الصحيح	= المسند الصحيح من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي.
المصباح المنير	= المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي.
المصنف	= المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن محمد بن أبي شيبة الكوفي.
المصنف الحديث	= المصنف الحديث في أسباب النزول لإسماعيل عمار.
معاني القراءات	= معاني القراءات لأبي منصور محمد الأزهري.
معاني القرآن	= معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء.
معترك الأقران	= معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي.
معجم الأدباء للجبوري	= معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م لكامل سلمان الجبوري.
معجم الشعراء	= معجم الشعراء المخضرمين والأمويين لعزيزة فوال بابتي.
المعجم المفصل	= المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم لمحمد ألتونجي.
معجم ما استعجم	= معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.
معرفة القراء الكبار	= معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي.
مغني اللبيب	= مغني اللبيب عن كتب الأعراب لجمال الدين بن هشام الأنصاري.
المغني للجمال	= المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم لعبد الرحمن الجمل.

تفسير القرآن بالقراءات العشر

المغني لمحيسن	= المغني في توجيه القراءات العشر لمحمد سالم محيسن.
مفاتيح الأغاني	= مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرمانى.
المفردات	= مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
المقتطف	= المقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الحصن المنصوري.
الملخص	= الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي.
مناهل العرفان	= مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني.
منجد المقرئين	= منجد المقرئين ومرشد الطالبين لمحمد بن الجزري.
منهج الإمام الطبري في القراءات	= منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره لعبد الرحمن يوسف الجمل.
الموضح	= الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم.
النجوم الزاهرة	= النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف تغري بردي الأتابكي.
النشر	= النشر في القراءات العشر لمحمد بن الجزري.
نظم الدرر	= نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي.
نفح الطيب	= نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني.
النهاية	= النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك بن محمد الجزري.

همع الهوامع = همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية
للسيوطي.

وجوه من الإعجاز الموسيقي = وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن للدكتور
محيي الدين رمضان.

الفصل الأول

تفسير سورة (طه) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (طه).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (طه) المتضمنة للقراءات.

المبحث الأول التعريف بسورة طه

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول التعريف بسورة طه

أولاً: اسم السورة:

سميت (سورة طه) بهذا الاسم لأنها ابتدأت بالنداء بها ﴿طه﴾ ① مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ وهو اسم من أسماء النبي ﷺ.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «سميت سورة (طاها) باسم الحرفين المنطوق بهما في أولها، ورُسِمَ الحرفان بصورتها لا بما ينطق به الناطق من اسميهما تبعاً لرسم المصحف»^(٢).

ويقول الصابوني^(٣) - رَحِمَهُ اللهُ - عن تسمية السورة: «سميت (سورة طه) وهو اسم من أسمائه الشريفة ﷺ تطيباً لقلبه، وتسلياً لفؤاده عما يلقاه من صدودٍ وعناد، ولهذا ابتدأت السورة بملاطفته بالنداء ﴿طه﴾ ① مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾»^(٤).

(٢) التحرير والتنوير ج ١٦/ص ١٧٩.

(٣) هو محمد علي الصابوني، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة، كان له نشاط في علوم القرآن والتفسير ومن ثم قام بتأليف عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، أكثرها مختصرات، وهو أشعري الاعتقاد مما جعل كتبه واختصاراته عرضة للنقد والرد. انظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) - جوجل - موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٤) صفوة التفاسير ج ٢/ص ١٩٨. وانظر: التفسير المنير ج ١٦/ص ١٧٤.

ثانياً: نوع السورة:

السورة مكية إجماعاً^(٥).

ثالثاً: عدد آيات السورة:

عدد آيات السورة - كما ورد في معظم المصاحف المتداولة بين أيدينا - مائة وخمس وثلاثون آية، إلا أن هناك اختلافاً في عدد آياتها.

يقول الصفاقسي^(٦) - رَحِمَهُ اللهُ - عن سورة (طه): «مكية إجماعاً، وآياتها مائة وثلاثون واثنان بصري، وأربع حجازي، وخمس كوفي، وثمان حمصي، وأربعون دمشقي»^(٧).

رابعاً: فضائل السورة:

من فضائل سورة (طه) أنها من أوائل ما نزل من القرآن، فقد أخرج البخاري، وابن مردويه^(٨) عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: (إِنَّهُمْ مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ، وَهَئِ مِنْ تِلَادِي)^(٩)^(١٠).

(٥) انظر: غيث النفع ص ١٨٠. وانظر أيضاً: في رحاب التفسير ج ١٣/ص ٢٣٥٧.

(٦) هو علي الثوري بن محمد، أبو الحسن: فاضل مجاهد، من أهل صفاقس، مولده ووفاته فيها، انتقل إلى تونس، ورحل إلى مصر، ثم تصدّر للتدريس في بلده، وكان يبذل من ماله ما يجهّز به الغزاة في البحر، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، له تأليف. انظر: الأعلام ج ٥/ص ٣٠.

(٧) غيث النفع ص ١٨٠.

(٨) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، من أهل أصفهان، ولد سنة ٣٢٣هـ: حافظ مؤرخ مفسر، له كتاب التاريخ ومسند ومستخرج في الحديث، توفي سنة ٤١٠هـ. [انظر: الأعلام ج ١/ص ٢٦٠].

(٩) (العتاق): جمع عتيق، وهو كل شيء بلغ الغاية في الجودة، والمراد تفضيل هذه السور لما يتضمنه كل منها من أمر غريب خارق للعادة، كالإسراء، وقصة أصحاب الكهف، وقصة حمل مريم - عليها السلام - ونحو ذلك. (الأول): باعتبار نزولها؛ فإنها نزلت في مكة قبل الهجرة. (تلادي): محفوظاتي القديمة، والتالذ والتلاد: كل ما كان قديماً. انظر: صحيح البخاري ج ٤/ص ١٧٤١.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٤/ص ١٧٤١، ح ٤٤٣١، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل (الإسراء).

أي فهي مشتركة في قَدَم النزول، وكونها مكيّات، واشتمالها على القصص^(١١).

كما أنّ الله تعالى شرح صدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه للإسلام حين قرأها في بيت أخته فاطمة بنت الخطاب بعد أن بطش بها وبزوجها سعيد بن زيد رضي الله عنه، لَمَّا علم بإسلامهما. وقد ذُكرت كثيرٌ من كتب التفسير قصةَ إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكيف شرح الله صدره للإسلام بفضل سورة (طه) بمشيئة الله - تعالى - دون غيرها من السور، ليكون إسلامه بعد قراءته لهذه السورة^(١٢).

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

سورة (طه) هي السورة الأولى من المجموعة الثالثة والأخيرة من قسم المئين الذي هو القسم الثاني من أقسام القرآن الكريم.

وكما أنّ السورة التي تسبقها في المصحف هي سورة مريم، فقد سبقتها أيضاً في النزول حيث إنّ (سورة طه) نزلت بعد (سورة مريم) كما روى ابن عباس رضي الله عنه، كما أنّ هناك تناسباً بين نهاية سورة مريم وبداية سورة طه، بالإضافة إلى تفصيل قصص بعض الأنبياء الذين ذكرتهم سورة مريم بإيجاز.

و«تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه هي:

أولاً: أنّ سورة (طه) نزلت بعد سورة (مريم)، كما روي عن ابن عباس.

ثانياً: أنّه ذكر في سورة مريم قصص عدد من الأنبياء والمرسلين (عشرة) مثل: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإبراهيم، وموسى ذكرت قصته

(١١) انظر: التفسير المنير ج ١٥/ص ٥.

(١٢) للتعرف على تفاصيل قصة إسلام عمر رضي الله عنه انظر: تفسير القرطبي ج ٦/ص ٤٢٠٣ - ٤٢٠٤، والتفسير المنير ج ١٦/١٨٢ - ١٨٣.

موجزة مجملة، فذكرت في هذه السورة موضحة مفصلة، كما وضحت قصة آدم عليه السلام الذي لم يذكر في سورة مريم إلا مجرد اسمه فقط.

ثالثاً: أنه ذكر في آخر سورة مريم تيسير القرآن باللسان العربي، لسان محمد ﷺ للتبشير والإنذار، وابتدئ ذكر هذه السورة بتأكيد هذا المعنى^(١٣).

يقول السيوطي - رحمه الله -: «أقول: روي عن ابن عباس وجابر بن زيد^(١٤) في ترتيب النزول أن طه نزلت بعد سورة مريم، بعد ذكر سورة أصحاب الكهف، وذلك وحده كافٍ في مناسبة الوضع مع التأخي بالافتتاح بالحروف المقطعة. وظهر لي وجه آخر وهو أنه لما ذكرت في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء وهم زكريا ويحيى وعيسى والثلاث مبسطة، وإبراهيم وهي بين البسط والایجاز، وموسى وهي موجزة بجملة، أشير إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة إجمالاً، وذكر في هذه السورة شرح قصة موسى التي أجملت هناك، فاستوعبت غاية الاستيعاب، وبسطت أبلغ بسط، ثم أشير إلى تفصيل قصة آدم الذي ورد مجرد اسمه هناك ثم أورد في سورة الأنبياء بقية قصص من لم يذكر في مريم: كنوح، ولوط، وداود، وسليمان وأيوب وذو الكفل وذو النون، وأشير إلى قصة من ذكرت قصته إشارةً وجيزةً كموسى وهارون وإسماعيل وزكريا ومريم لتكون السورتان كالمتقابلتين، وبُسطت فيها قصة إبراهيم البسط التام فيما يتعلق به مع قومه، ولم تذكر حاله مع أبيه إلا إشارةً، كما أنه في سورة مريم ذكرت حاله مع قومه إشارةً، ومع أبيه مبسوطاً، فانظر إلى عجب هذا الأسلوب وبديع هذا

(١٣) التفسير المنير ج١٦/ص١٧٤.

(١٤) هو: «أبو الشعثاء، اسمه: جابر بن زيد الأزدي اليمامي، كان مولده بالحرقة ناحية بالقرب من عُمان، فاستوطن بالبصرة، ونزل بها في الأزدي، كان من علماء التابعين بالقرآن، وفقهاء أهل البصرة في الدين. مات هو وأنس بن مالك في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين». مشاهير علماء الأمصار ج١/ ص ٨٩، وانظر: التعديل والتجريح ج١ / ص ٤٥٧، الأسامي والكنى ج١/ص ٨٨، و تسمية فقهاء الأمصار ج١/ ص ١٢٧.

سادساً: أهداف السورة وغرضها:

تعددت أهداف سورة (طه)، ولكونها من السور المكيّة، فقد كانت لها أهداف السور المكيّة نفسها، التي تركّز على إثبات الوحدانية لله - ﷻ - والنبوة لحبيبه محمد ﷺ بالإضافة إلى إثبات البعث والنشور.

وكان غرضها - بالإضافة إلى ما سبق - تكريم سيدنا محمد ﷺ، ومؤازرته حتى يستطيع تحمّل أعباء الرسالة، ومعاونة قومه وتكذيبهم له، وليعلم أنّه المنتصر عليهم في النهاية، وهذه سنّة الله في الكون، وهي أنّه لا بد أن ينصرّ رسله، وما على الرسول إلاّ البلاغ.

يقول الصابوني - رحمه الله - عن أهداف السورة ما يلي نصه: «... وهي تبحث عن نفس الأهداف للسور المكية، وغرضها تركيز أصول الدين (التوحيد، والنبوة، والبعث، والنشور)، في هذه السورة الكريمة تظهر شخصية الرسول ﷺ في شدّ أزره، وتقوية روحه، حتى لا يتأثر بما يلقي إليه من الكيد، والعناد، والإستهزاء، والتكذيب، ولإرشاده إلى وظيفته الأساسية، وهي التبليغ، والتذكير، والإنذار، والتبشير، وليس عليه أن يجبر الناس على الإيمان»^(١٦).

سابعاً: محور السورة:

تتركز موضوعات السورة حول محور أساسي فيه، ألا وهو تفصيل صفات المؤمنين، وإننا نلاحظ ذلك من خلال كون القرآن تذكرة لمن يخشى، وتثبيت شخصية النبي ﷺ في قيامه بواجب الدعوة إلى الله، ثم من خلال قصة موسى عليه السلام مع فرعون أولاً، ثم مع بني إسرائيل ثانياً، والحساب العادل يوم القيامة وفوز المؤمنين وهلاك المشركين الذين يعرضون عن القرآن الكريم ومن خلال كل ذلك وغيره مما احتوته السورة تتبين

(١٥) أسرار ترتيب القرآن ص ١٠٨ - ١٠٩ (بتصرف بسيط).

(١٦) صفوة التفاسير ج ٢/ص ١٩٨.

صفات المؤمنين الذين يفوزون بالدار الآخرة.

يقول الأستاذ سعيد حوى^(١٧) - رحمه الله -: «فإننا لم نبعد إذا قلنا إن محور سورة (طه) هو الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة... وقد رأينا حتى الآن أن الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة فصلتها سورة آل عمران نوع تفصيل، والآن تأتي سورة (طه) لينصب تفصيلها على الآية الرابعة، والخامسة بشكل مباشر، أي على قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤ - ٥] (١٨).

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

تحدثت (سورة طه) عن حكمة إنزال القرآن الكريم، وركزت على تعريفنا على مُنْزِلِهِ وهو الله - عز وجل - ومن ثم تحدثت عن قصة موسى مع قومه ومع فرعون من قبل ثم تحدثت عن القرآن وبعض خصائصه، وعن جزاء المعرضين عنه من آية (٩٩ إلى ١٠١)، و بعد ذلك تعرضت السورة لحالة الحشر الرهيبة، وإبادة الجبال، وأوصاف المجرمين يوم القيامة، والحساب العادل من آية (١٠٢ إلى ١١٢)، ثم تحدثت عن عربية القرآن ووعيده، وعصمة رسوله من نسيانه وذلك من آية (١١٣ إلى ١١٤)، ثم أوردت قصة آدم عليه السلام مع إبليس في الجنة من آية (١١٥ إلى ١٢٢)، ثم تعرضت لموضوع جزاء الإعراض عن كتاب الله تعالى وكانت تناقش المعرضين، وتأمّر المستجيبين، وتقيم الحجة على المعاندين من آية (١٢٣ إلى ١٣٥) (١٩).

(١٧) هو سعيد بن محمد ديب حوى، عالم من رجال الدعوة السوريين، ولد في مدينة حماة سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م لوالد كان من المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي، ولما نشأ انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، تخرج بجامعة دمشق، وسجن، فألف في سجنه كتاب (الأساس في التفسير) من اثني عشر مجلداً، توفي سنة (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، ودفن في عمان. انظر: إتمام الأعلام ص ١٧٠.

(١٨) انظر: الأساس ج ٧/ص ٣٣٣٩.

(١٩) انظر: المرجع السابق ج ٧/ص ٣٣٤٠، والتفسير المنير ج ١٦/ص ١٦٥، ١٧٦.

المبحث الثاني

عرض وتفسير لآيات سورة (طه)

المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ۖ﴾ [طه: ١٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة: ﴿لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ بضم الهاء.

٢ - وقرأ الباقون: ﴿لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ بكسر الهاء^(٢٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿لِأَهْلِهِ﴾: الأهل: أهل الرجل وأهل الدار^(٢١).

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «الأهل: الزوج والأولاد»^(٢٢).

﴿امْكُثُوا﴾: المَكُثُ: ثبات مع انتظارٍ طويل^(٢٣).

(٢٠) انظر: النشر ج ٢ / ص ٣١٩.

(٢١) لسان العرب ج ١١ / ص ٢٨.

(٢٢) التحرير والتنوير ج ١٦ / ص ١٩٤. وانظر: مختار الصحاح ص ٢٠.

(٢٣) التوقيف ص ٦٧٣.

ثالثاً: التفسير:

تحدث هذه الآيات الكريمة عن قصة موسى عليه السلام وهو في طريق عودته من مدين إلى مصر - بعد أن قضى أكمل الأجلين، وأذن له شعيب بزيارة أمه وأخته - حيث كان معه أهله في ظروف صعبة، ولم يستطع إشعال نارٍ لأهله، فرأى عليه السلام ناراً من بعيد وطلب من أهله الانتظار وعدم اللحاق به، وذهب ليبحث عن جذوة^(٢٤) من النار، أو أحدٍ يدلّه على الطريق.

يقول أبو حيان^(٢٥) - رحمه الله - في هذا المعنى: «فكان من حديثه أنه عليه السلام لما قضى أكمل الأجلين استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له، وقد طالّت مدة جنائته بمصر، ورجا خفاء أمره، فخرج بأهله وماله، و كان في فصل الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل، فلا يدري أليلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرية لا يعرف طرقها، فالتجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن، في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلق، فقَدَحَ زنده فلم يُور^(٢٦)، قيل: كان رجلاً غيوراً يصحب الرفقة ليلاً ويفارقهم نهاراً لئلا تُرى امرأته؛ فأضلّ الطريق، قال وهب^(٢٧):

(٢٤) «الجذوة والجذوة والعذوة القبسة من النار وقيل هي الجفرة». لسان العرب ج١٤/ ص١٣٦.

(٢٥) هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان التفزي، الأثري، الغرناطي، شيخ النحاة بالديار المصرية، وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية. توفي في القاهرة بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة. انظر: نفح الطيب ج٣ / ص١٤١ - ١٦٣. فهرس الفهارس ج٢/ ص ١٥٥. النجوم الزاهرة ج١٠/ ص ٩١. والدرر الكامنة ج٤/ ص٣٠٢.

(٢٦) «وري الزند يري ورياً: خرجت ناره، وأصله أن يخرج النار من وراء المقدح». مفردات القرآن ص ١٥٧٣.

(٢٧) وهب بن منبه أبو عبد الله اليماني، صاحب القصص، كان من خيار التابعين، ثقة صدوقاً، كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، مات وهو على قضاء صناع سنة أربع عشر ومائة. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي مج ١٠/ ج١٩/ ص٢٥٩.

وُلِدَ له ابنٌ في الطريق، ولما صَلَدَ زنده^(٢٨) (رأى ناراً)، ... (امكثوا) أي أقيموا مكانكم، وخاطب امرأته، وولديه، والخادم^(٢٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

وردت في ﴿لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا﴾ قراءتان: أولاهما بضم الهاء، والآخرى بكسرها، وكل واحدة أفادت معنى جديداً للآية سأذكره بعد سرد المعلومات التالية:

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللهُ -: «... هاء الغائب أصلها الضم كضربه وله، وتكسر بعد الكسرة نحو مرَّ به ولم يعطه... أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً وبها قرأ حمزة ﴿لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا﴾^(٣٠).

وبهذه الحقيقة اللغوية وجَّه الإمام مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ - قراءتي الضم والكسر فقال: «وحجة من ضمَّ أنه أتى بالهاء على أصلها، موصولة بواو، للتقوية على ما قدّمنا من العلل، فلقيت الواو وهي ساكنة الميم من ﴿أَمْكُثُوا﴾ وهي ساكنة، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة تدلُّ عليها. وحجة من كسرَّ أنه أبدل من ضمة الهاء كسرة للكسرة التي قبلها، فانقلبت الواو ياء، ثم حذفت لسكونها وسكون الميم بعدها، وبقيت الكسرة تدلُّ عليها»^(٣١).

لكن هناك حقيقة لغوية معلومة اتفق عليها علماء اللغة قديماً وحديثاً وهي: «أن الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة ثم تليها الفتحة وهي أخف الحركات، إنَّ النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة، وذلك لأنها لا تُنطَقُ إلا بانضمام الشفتين، وارتفاعهما،

(٢٨) صلد الزند: لا يخرج ناره. انظر: مفردات القرآن ص ٨٤٥.

(٢٩) البحر المحيط ج ٦ / ص ٢١٥.

(٣٠) همع الهوامع ج ١ / ص ٥٨ - ٥٩ (بتصرف).

(٣١) الكشف ج ٢ / ص ٩٥. وانظر: شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى للدكتور يحيى القاسم - مجلة مؤتة للبحوث والدراسات - جامعة مؤتة - رجب (١٤١٤هـ) - المجلد ٨ / العدد ٦ / ص ١٦٤.

ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى ذلك، كما هو ظاهر ومعلوم^(٣٢).

ويقول ابن جني - رَحِمَهُ اللهُ -: «فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يقلُّ بل يُعَدُّم ارتفاعه»^(٣٣).

واستئناساً بما سبق ذكره يتبين أنَّ قراءة ﴿لَأَهْلِهِ أَمْكُثُوا﴾ بضمِّ الهاء أفادت ثِقَلِ الظرف الذي كان يعيشه موسى رَحِيَماً مع أهله في تلك الليلة المظلمة المثلجة شديدة البرد، وصعوبة ذلك عليه، حيث أضل الطريق وتفرقت ماشيته، ولم ينقذ زنده، وامراته في الطلق؛ وذلك لأنَّ الضمة هي أقوى الحركاتِ وأثقلها، فناسبَت الحركةُ القويَّةُ الثقيلةُ ذلك الموقفَ العصيبَ الذي يتطلب: عظيمَ صبرٍ، وقوةَ تحمُّلٍ، ورباطةَ جأشٍ، وهو ثَقِيلٌ على النفسِ ثِقَلُ الحركةِ التي استخدمت له.

أما القراءة الثانية ﴿لَأَهْلِهِ أَمْكُثُوا﴾ بكسر الهاء فقد أفادت تخفيف الأمر وتهوينه عليهم، حيث ذكر موسى لأهله أَنَّهُ آنس ناراً، وسيجد لهم جذوةً من النار لعلَّهم يصطلون، ولهذا طلب من أهله المكث، ولم يطلب منهم الإقامة.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري^(٣٤) - رَحِمَهُ اللهُ -: «امكثوا: أي أقيموا مكانكم، أمرهم بذلك لئلاَّ يتبعوه فيما عزم عليه»^(٣٥).

يقول الطبرسي^(٣٦) - رَحِمَهُ اللهُ -: «والفرق بين المكث والإقامة أنَّ الإقامة

(٣٢) بلاغة الكلمة ص ١١٤.

(٣٣) المحتسب ج ٢/ص ١٩.

(٣٤) هو مصطفى الحصن المنصوري بن ميمن بن الحسين، ولد في مدينة حصن المنصور - واسمها الآن (آدي يامان) - مركز الولاية في الأناضول سنة ١٣٠٧هـ، له كتاب (المقتطف في الفقه) و(لغة الطب): كان عالماً فاضلاً، ومرجعاً في علم الفقه، يتكلم ثلاث لغات: التركية والعربية والفارسية. انظر: مقدمة تفسيره ص ٧ - ٨ حيث لم أجد له ترجمة غيرها.

(٣٥) المقتطف ج ٣ / ص ٣٢٨.

(٣٦) هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، المشهدي، من أجلاء الطائفة الشيعية، ثقة، فاضل، دين، توفي في سبزوار سنة ٥٥٢هـ وقيل سنة ٥٤٨هـ. انظر: كشف الظنون ج ٤/ص ٢٩٠، ومقدمة تفسيره.

تدوم والمكث لا يدوم» (٣٧).

وهكذا يخفف موسى ﷺ عن أهله من صعوبة الموقف؛ فيطلب منهم الانتظار، وعدم اللحاق به، ويبشرهم بفرج من الله قريب بسبب رؤيته للنار، لذا ناسبت هذه الحركة الخفيفة الضعيفة تهوين الأمر وتخفيفه عليهم رحمة بهم.

يقول الأستاذ سعيد حوى - رحمه الله -: «... وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان في أشد حالات الضيق يكون أقرب ما يكون إلى الرحمة، وفي قوله لأهله (امكثوا) درس في كمال رحمته وشفقته، وغيروته، وشجاعته، وخدمته لأهله» (٣٨).

هكذا وبالجمع بين القراءات يتبين أن موسى ﷺ في هذا الظرف الصعب والثقل على النفس، والذي يعيشه مع أهله إلا أنه برحمته بهم وشفقته عليهم يتعامل معهم بكل شجاعة، ويحاول أن يخفف الأمر عليهم، وأن يجعله هيناً، على رغم ما يلقونه من مشقة، والله أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى

﴿١٢﴾ [طه: ١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر ﴿أَنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، بفتح همزة (أَنْ).

٢ - وقرأ الباقون ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ بكسرها (٣٩).

القراءات في ﴿طَوًى﴾:

(٣٧) مجمع البيان ج ١٣/ص ٨٩.

(٣٨) الأساس ج ٧/ص ٣٣٥٣.

(٣٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣١٩.

١ - وقرأ ابن عامر والكوفيون ﴿طوى﴾ بالتنوين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿طوى﴾ بدون تنوين^(٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إن): بالكسر والتشديد على أحد أوجهها التي ذكرها لها السيوطي:

التأكيد والتحقيق وهو الغالب نحو: ﴿...إِنَّا إِلَٰهٌ كَرِيمٌ لَّمْرَسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]

(أن): بالفتح والتشديد ذكر لها السيوطي وجهين وأحد وجهيهما:

أن تكون حرف تأكيد، والأصح أنها فرع المكسورة، وأنها موصول حرفي^(٤١).

طوى^(٤٢): «طوى و(طوى) جبل بالشام، وقيل هو واد في أصل الطور، وفي التنزيل:

﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طوى﴾ [طه: ١٢] قال أبو اسحق^(٤٣): طوى اسم الوادي^(٤٤).

ثالثاً: التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينادي الله - ﷻ - موسى عليه السلام حين ذهب للبقعة المباركة من الشجرة يلتمس ناراً، وأعلمه أنه هو الله ربّه، وأمره بخلع

(٤٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٣١٩، والإقناع ٤٢٧.

(٤١) انظر: الإقناع ج ١/ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٤٢) طوى: هو اسم أعجمي للواد المذكور في القرآن الكريم، وهو موضع بالشام عند الطور. انظر: معجم البلدان ج ٤/ص ٥٠ - ٥١، ومعجم ما استعجم ج ٣/ص ٨٩٦.

(٤٣) أبو إسحق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، كان يحترف خراطة الزجاج، وكان نديماً للمكتفي، أخذ عن ثعلب والمبرد، عاش في بغداد وتوفي بها سنة ٣١١ وقيل: ٣١٦ هـ وقد أناف على الثمانين. انظر: طبقات النحويين واللغويين ص ١١١، ١١٢، والبداية والنهاية ج ١١/ص ١٥٩، والأعلام ج ١٠ ص ٤٠.

(٤٤) انظر: لسان العرب ج ١٥/ص ٢١.

نعليه؛ أدباً وتواضعاً لله تعالى فهو في الواد المقدس المسمى طوى.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري - رَحِمَهُ اللهُ -: «رُويَ أَنَّهُ لَمَّا نُوْدِيَ يَا مُوسَى، قَالَ: مَنْ الْمَتَكَلِّمُ؟ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكَ، فَعَرَفَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ - ﷻ - لِأَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ السَّتْ، سَمِعَهُ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا مِنْ آثَارِ قُدْرَةِ الْخَلَاقِ الْعَلِيمِ، ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أَمْرُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، لِأَنَّ الْحِفْوَةَ تَوَاضَعٌ وَأَدَبٌ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ يَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ حُفَاةً، وَقِيلَ لِبِإِسْرَ الْوَادِي بِقُدْمِيهِ تَبَرُّكاً بِهِ. ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ...﴾ تَعْلِيلٌ لَوْجُوبِ الْخَلْعِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَبَيَانٌ لَشَرَفِ الْبَقْعَةِ وَقُدْسِيَّتِهَا، وَرُويَ أَنَّهُ ﷺ خَلَعَهُمَا، وَأَلْقَاهُمَا وَرَاءَ الْوَادِي. ﴿طَوًى﴾ وَهُوَ اسْمٌ عِلْمٍ لِلْوَادِي وَمَعْنَاهُ: بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ الْمَسْمُوعِ طَوًى، أَيِ جَبَلِ الطُّورِ»^(٤٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى (أُتِي) بفتح همزة (أَنْ) تفيد تأكيد الخبر بأن موسى ﷺ نُوْدِيَ بِأَنِّي أَنَا رَبُّكَ، أَوْ أَعْلَمَ بِأَنِّي أَنَا رَبُّكَ، أَوْ لِأَجْلِ أَنِّي أَنَا رَبُّكَ.

يقول الألوسي^(٤٦) - رَحِمَهُ اللهُ -: «قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِهَا عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ الْجَزِّ، أَيِ: بِأَنِّي وَالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ مُتَعَلِّقٌ بِنُوْدِي، وَالنِّدَاءُ قَدْ يُوَصِّلُ بِحَرْفِ الْجَزِّ... وَقِيلَ: عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ التَّعْلِيلِ وَتَعْلُقِهِ بِفِعْلِ الْأَمْرِ بَعْدَ وَهُوَ كَمَا تَرَى، وَاخْتِيرَ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى تَقْدِيرِ الْعِلْمِ، أَيِ أَعْلَمَ أَنِّي أَنَا رَبُّكَ»^(٤٧).

(٤٥) المقتطف ج ٣/ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٤٦) هو محمود بن عبد الله الحسيني، شهاب الدين، أبو الشفاء الألوسي نسبة إلى (ألوس) قرية على الفرات: طود العلم، وعضد الدين، وفحل البلاغة، وأمير البيان، وعين الأعيان، مفسر محدث أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، له روح المعاني في التفسير. توفي سنة ١٢٧٠م. انظر: حلية البشر ج ٣/ص ١٤٥٠، والأعلام ج ٧/ص ١٧٦.

(٤٧) روح المعاني ج ١٦/ص ١٦٨ (بتصرف).

أما القراءة الثانية (إني) بالكسر والتشديد، فقد أفادت التحقيق والتأكيد على الاستئناف.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وتأكيد الخبر بحرف (إن) لتحقيقه لأجل غرابته دفعاً لتطرق الشك عن موسى في مصدر الكلام»^(٤٨).

وعن التأكيد بحرف (إن) يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللهُ - نقلاً عن عبد القاهر الجرجاني^(٤٩) -: «والتأكيد بها أقوى من التأكيد باللام، وأكثر مواقعها - بحسب الاستقراء - الجواب لسؤال ظاهر أو مُقَدَّر، إذا كان للسائل فيه ظن»^(٥٠).

كما أكد الخبر بتكرير الضمير، يقول الزمخشري^(٥١) - رَحِمَهُ اللهُ -: «تكرير الضمير في ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإمطة الشبهة»^(٥٢).

وَعَدًا أنها أفادت تأكيد الخبر فإنها أفادت أَنَّ الخبرَ على معنى الحكاية. يقول ابن أبي مريم^(٥٣) - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الباقون (إني أنا ربُّك) بكسر

(٤٨) التحرير والتنوير ج ١٦/ص ١٩٦.

(٤٩) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، من أهل جرجان. من كتبه: (أسرار البلاغة)، (دلائل الإعجاز). توفي سنة ٤٧١هـ. انظر: طبقات الشافعية ج ١/ص ٢٥٢.

(٥٠) الإتيان ج ١/ص ٢٠٣.

(٥١) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد بزمخشري، وهي قرية من قرى خوارم، ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٠٤.

(٥٢) الكشف ج ٢/ص ٥٣١.

(٥٣) هو الإمام نصر بن علي بن محمد، أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي، المعروف بابن أبي مريم: أستاذ عارف، له كتاب في القراءات الثمان سمّاه الموضح يدل على تمكنه في الفن، جعله بأحرف مرموزة دالة على أسماء الرواة، وذكر ناسخه أنه استملأه من لفظه في رمضان سنة ٥٦٢هـ. انظر: غاية النهاية ج ٢/ص ٣٣٧.

الألف، والوجه أنه على الحكاية؛ لأن النداء يتضمن معنى القول، والتقدير في نودي: وقيل له إني أنا ربك، فهو حكاية^(٥٤).

ويقول الخطيب التبريزي^(٥٥) - رحمه الله -: «قرأ الباقون بالكسر على معنى نودي يا موسى فقال الله له، إني أنا ربك»^(٥٦).

بالجمع بين القراءتين يتضح أن الله - سبحانه وتعالى - في حكاية موسى التي يذكرها للنبي ﷺ قد أخبر موسى ﷺ أنه ربه الذي يكلمه، وقد أكد الخبر وحققه لأجل غرابته دفعا لتطرق الشك عن موسى في مصدر هذا الكلام، وطلب منه أن يخلع نعليه تواضعا لعظم الحال التي حصل فيها، والله أعلم.

أما فيما يختص بقراءة (طوى) مصروفة وغير مصروفة، فنقول بعون الله تعالى: إن قراءة (طوى) بالتنوين على تأويل المكان، أي إن (طوى) اسم الوادي المذكور في القرآن وهو نكرة، وقراءة (طوى) بغير تنوين على تأويل البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى بالتحديد وهي معرفة بهذا المعنى، وهي المقصودة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ يعني النار ﴿ثَوْدَى﴾ أي من الشجرة، أي من جهتها وناحيتها ﴿أَن يَمُوسَىٰ إِنْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

كما أضاف القرطبي - رحمه الله - معاني أخرى، منها ما نقله عن الجوهري^(٥٧) - رحمه الله - حيث يقول «(طوى) اسم موضع بالشام تكسر طاؤه

(٥٤) الموضح ج ٢/ص ٨٣٠.

(٥٥) هو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن، أبو زكريا المعروف بالخطيب التبريزي، ولد في تبريز بإقليم آذربيجان سنة ٤٢١هـ، ونشأ في بغداد، وتوفي فيها سنة ٥٠٢هـ. انظر: الأعلام ج ٨/ص ١٥٧، والمزهر ج ٢/ص ٣٩٦.

(٥٦) الملخص ص ٢٦٠.

(٥٧) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاء، وفطنة، وعلماء، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة له كتاب الصحاح، توفي بعد سنة ٣٩٦هـ. انظر: معجم الأدباء لياقوت، مج ٣/ج ٦/ص ١٥١ - ١٦٥. والأعلام ج ١/ص ٣١٣.

وَتُضَمُّ، وَيُصَرَّفُ وَلَا يُصَرَّفُ، فَمِنْ صَرْفِهِ جَعَلَهُ اسْمَ وَادٍ وَمَكَانٍ، وَجَعَلَهُ نَكْرَةً، وَمَنْ لَمْ يَصْرِفْهُ جَعَلَهُ بِلْدَةً وَبِقَعَةً، وَجَعَلَهُ مَعْرِفَةً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (طَوَى) مِثْلَ (طَوَى) وَهُوَ الشَّيْءُ الْمُنِي، وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ: (الْمُقَدَّسُ طَوَى): طَوَى مَرَّتَيْنِ أَيْ قُدَّسَ، وَقَالَ الْحَسَنُ: ثُبُتَ فِيهِ الْبَرَكَةُ وَالتَّقْدِيسُ مَرَّتَيْنِ... وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ طَوَى لِأَنَّ مُوسَى طَوَاهُ بِاللَّيْلِ إِذْ مَرَّ بِهِ فَارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى الْوَادِي، فَهُوَ مُصَدَّرٌ عَمَلٌ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْ لَفْظِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) الَّذِي طَوَيْتَهُ طَوَى؛ أَيْ تَجَاوَزْتَهُ فَطَوَيْتَهُ بِسِرِّكَ ^(٥٨).

بالجمع بين القراءتين يَتَبَيَّنُ أَنَّ (طَوَى) هُوَ الْمَوْضِعُ الْمُقَدَّسُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ وَالَّذِي مَرَّ بِهِ مُوسَى عليه السلام وَتَجَاوَزَهُ قَدْ ثُبُتَ فِيهِ الْبَرَكَةُ وَالتَّقْدِيسُ مَرَّتَيْنِ، وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِلْوَادِي كُلِّهِ، أَيْ شَمِلَتْ الْبَرَكَةُ وَالتَّقْدِيسُ الْوَادِي بكَامِلِهِ، أَوْ تَكُونَ خَاصَّةً بِالْبَقْعَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى فِيهَا وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ...﴾ [القصص: ٣٠]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ ﴿١٣﴾ [طه: ١٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة ﴿وَأَنَا﴾ بتشديد النون، ﴿اخْتَرْنَاكَ﴾ بالنون المفتوحة وألف بعدها على لفظ الجمع.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَأَنَا﴾ بتخفيف النون، ﴿اخْتَرْتُكَ﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ الواحد ^(٥٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿اخْتَرْتُكَ﴾: «الاختيار: طلب ما هو خير وفعله» ^(٦٠).

(٥٨) تفسير القرطبي ج ١١/ص ١٥٧.

(٥٩) النشر ج ٢/ص ٣٢٠.

(٦٠) المفردات ص ٣٠١.

يقول الطاهر بن عاشور: «الاختيار: تكلف طلب ما هو خير، واستعملت صيغة التكلف في معنى إجادة طلب الخير»^(٦١).

وقال الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ - في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: «أي اصطفتك من الناس أو من قومك للنبوة والرسالة»^(٦٢).

ثالثاً: التفسير:

يُخْبِرُ اللهُ تعالى موسى ﷺ وهو يكلمه في تلك الليلة أنه اصطفاه على الناس، واختاره رسولاً من بين قومه، ويطلب منه الاستماع لما سيوحى إليه.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ كقوله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه... وقوله: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ أي: استمع الآن ما أقول لك، وأوحى إليك»^(٦٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ - على لفظ الجمع في الكلمتين - التعظيم لله تعالى.

يقول الإمام مكِّي بن أبي طالب: «قرأ حمزة ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ على لفظ الجمع في الكلمتين، للتعظيم لله، والمبالغة في الإجلال له»^(٦٤).

أما القراءة الثانية ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ فقد أفادت أن الله - تعالى - اختار موسى ﷺ للرسالة وحده، دون أن يُشرك أحداً في اختياره.

(٦١) التحرير والتنوير ج ١٦/ص ١٩٨.

(٦٢) روح المعاني ج ١٦/ص ١٧٠، وانظر: الكشف ج ٢/ص ٥٣١، زاد المسير ج ٣/ص ١٥٣، التفسير المنير ج ١٦/ص ١٨٧، صفوة التفسير ج ٢/ص ٢٠١.

(٦٣) تفسير ابن كثير ج ٣/ص ١٩٤.

(٦٤) الكشف ج ٢/ص ٩٧.

يقول أبو منصور^(٦٥) - رَحِمَهُ اللهُ -: «ومن قرأ ﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ﴾ فالاختيارُ لله وحده، لم يُشرك في اختياره أحداً»^(٦٦).

ويقول الرازي^(٦٧) - رَحِمَهُ اللهُ -: «وهذه الآية تدلُّ على أنَّ النبوة لا تحصل بالاستحقاق، لأنَّ قوله: ﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ﴾ يدلُّ على أنَّ ذلك المنصب العليَّ إنما حصل لأنَّ الله تعالى اختاره له ابتداءً لا لأنَّه استحقَّه على الله تعالى»^(٦٨).

بالجمع بين القراءتين نعلم أنَّ الله - تعالى - بعظمته وجلاله اختار موسى ﷺ للنبوة والرسالة، وكان هذا الاختيار منه ابتداءً وحده سبحانه دون أن يُشرك في اختياره أحداً من خلقه.

٤ - قال تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَخِي ﴿٣٥﴾ أَشَدُّ بِهٖ أَزْرًى ﴿٣٦﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٧﴾﴾ [طه: ٣٠ - ٣٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر بقطع همزة ﴿أَشْدُّذ﴾ وفتحها وبضم همزة ﴿أَشْرِكُهُ﴾ مع القطع.

٢ - وقرأ الباقون بوصل همزة ﴿أَشْدُّذ﴾ وابتدائها بالضم وبفتح همزة ﴿وَأَشْرِكُهُ﴾^(٦٩).

(٦٥) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور الأزهرى: أحد الأئمة في اللغة والأدب. مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده الأزهر، ولد سنة ٢٨٢هـ، عُني بالفقه أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ج ٥/ص ١٠٠.

(٦٦) معاني القراءات ص ٢٩١.

(٦٧) هو محمد بن عمر بن الحسين ابن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف، وقال ابن الأثير في الكامل: كان إمام الدنيا في عصره. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣/ص ٥٥.

(٦٨) تفسير الرازي ج ١٢/ص ١٩.

(٦٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٠.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿أَشْدُّ﴾: «الشَّدُّ: الْعَقْدُ الْقَوِيُّ، يُقَالُ: شَدَدْتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُ عَقْدَهُ» (٧٠).

﴿وَأَشْرِكُ﴾: «الشَّرْكَةُ والمُشَارَكَةُ،: حَلَطُ الْمَلِكِينَ، وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَوْجَدَ شَيْءٌ لِاثْنَيْنِ فِصَاعِدًا؛ عَيْنًا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ أَوْ مَعْنَى» (٧١).

ثالثاً: التفسير:

يُكَلِّمُ الله - تعالى - موسى ﷺ ويريه من آياته الكبرى، وَيُكَلِّفُهُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَيَدْعُو مُوسَى رَبَّهُ - ﷻ - بِبَعْضِ الْأَدْعِيَةِ، فَيَدْعُوهُ أَنْ يَشْدَ أَرْزَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ﷺ وَيُشْرِكُهُ مَعَهُ فِي النُّبُوَّةِ.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «لَمَّا كَلَّفَ اللهُ - تعالى - سَيِّدَنَا مُوسَى ﷺ بِالرِّسَالَةِ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَشْدَ أَرْزَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ﷺ، وَأَنْ يُشْرِكُهُ مَعَهُ فِي النُّبُوَّةِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ» (٧٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى بقطع همزة ﴿أَشْدُّ﴾ وفتحها، وبضم همزة ﴿أَشْرِكُ﴾ مع القطع أَنَّ مُوسَى ﷺ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَشْدُ أَرْزَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ وَيُشْرِكُهُ فِي أَمْرِهِ عَلَى الْجَوَابِ وَالْمَجَازَاةِ بِدَعَائِهِ ﷺ اللهُ - ﷻ - أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَزِيرًا مِنْ أَهْلِهِ وَهُوَ أَخُوهُ هَارُونَ ﷺ.

قال الإمام أبو علي الفارسي (٧٣) - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحْدَهُ

(٧٠) المفردات ص ٤٤٧، وانظر: التوقيف ص ٤٢٥. ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦٤.

(٧١) المفردات ص ٤٥١، وانظر: التوقيف ص ٤٢٩.

(٧٢) المستنير ج ٢/ص ٢٧.

(٧٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، الإمام أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، أصله من (فسا) من عمل شيراز، روى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، توفي سنة ٣٧٧هـ، أوصى بثلاث ماله لنحاة بغداد، فكان ثلاثين ألف دينار. انظر: غاية النهاية ج ١/ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

﴿هَرُونَ أَخِي﴾ ﴿٣٠﴾ أَشْدُّ يَدِي ﴿مقطوعة مفتوحة، والياء ساكنة و﴿أَشْرِكُهُ﴾ الألف مضمومة، على الجواب والمجازاة﴾^(٧٤).

وقال ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «وفي قراءة ابن عامر يكون المعنى: أَشْرِكُهُ أنا في أمري بإشراكك إياه في النبوة»^(٧٥).

أما القراءة الأخرى فقد أفادت أن الكلام المذكور هو تَمَّة دعاء موسى ﷺ الله تعالى بأن يجعلَ هارونَ ﷺ وزيراً له، يَشُدُّ أزره، ويجعله شريكاً له في النبوة.

يقول الفراء^(٧٦) في قوله تعالى ﴿أَشْدُّ يَدِي...﴾: «دعاء: ﴿أَشْدُّ يَدِي﴾ يا رب ﴿أَزْرِي﴾ ﴿وَأَشْرِكُهُ﴾ يا رب في أمري. دعاء من موسى...»^(٧٧).

بالجمع بين القراءتين يتضح أن موسى ﷺ دعا الله - تعالى - أن يجعل له وزيراً من أهله هو أخاه هارون، يَشُدُّ به أزره، ويشركه معه في النبوة، فإن استجابَ الله - تعالى - دعاء موسى ﷺ وجعلَ هارونَ وزيراً له، فسَيَشُدُّ موسى ﷺ به أزره، وَيَقْوَى به ظَهْرُهُ، وَسَيُشْرِكُهُ موسى ﷺ في أمره؛ ليكونَ عوناً له على أداءِ ما كُلِّفَهُ الله - ﷻ - به من أمورِ الرسالة.

٥ - قال تعالى: ﴿أَن أَقْذِفَهُ فِي النَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي آيَةٍ فَلْيَلْقِهِ أَتِمًّا بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عِيَّةٌ﴾ ﴿٣٩﴾ [طه: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ﴾ بإسكان اللام وجزم العين، فيجب له إدغامها.

(٧٤) الحجة للقراء السبعة ج ٥/ص ٢٢١.

(٧٥) الموضح ج ٢/ص ٨٣٣.

(٧٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور، أبو زكريا الأسلمي، النحوي، الكوفي، المعروف بالفراء، شيخ النحاة، توفي في رجوعه من طريق مكة سنة سبع ومائتين للهجرة. انظر: غاية النهاية ج ٢/ص ٣٧١.

(٧٧) معاني القرآن ج ٢/ص ١٧٨.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَلِصْنَعِ عَلَى﴾ بكسر اللام والنصب^(٧٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الصُّنْعُ: إجادَةُ الفعل، وكلُّ صُنْعٍ فعل، ولا عكس وهو مستعارٌ للتربية والتنمية، تشبيهاً لذلك بصنع شيءٍ مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أخذُ نعمةٍ عظيمةٍ: هو صنِيعَةٌ فلان^(٧٩)».

(وَلِصْنَعِ): أي لِيَتَحَبَّ وَلِيُصْنَعَ، وَلِيَتَغَدَّى وَتُطْعَمَ وَتُرَبَّى، ويُقرأ على لفظ الأمر؛ أي لِيَصْنَعَكَ غَيْرُكَ بأمرِي^(٨٠).

ثالثاً: التفسير:

يوحى الله - ﷻ - لأم موسى أن تضعه في التابوت وتلقي بالتابوت في اليم، وقد أمر الله تعالى اليم بأن يلقي بالتابوت في بيت فرعون، وبفضل حبِّ الله - تبارك وتعالى - لموسى ﷺ أحبه كلُّ من رآه حتى فرعون، وبمشيئة الله - ﷻ - يتربَّى موسى ﷺ في حضن أمه ويتغذى على عين الله - ﷻ - ويحفظه ورعايته، في بيت عدوِّ الله وعدوِّه فرعون.

يقول ابن كثير - رحمه الله -: «هذه إجابة من الله لرسوله موسى ﷺ فيما سأل من ربه - ﷻ - وتذكير له بِنِعْمِهِ السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه، وتحذّر عليه من فرعون ومَلَكِهِ أن يقتلوه؛ لأنه كان قد وُلِدَ في السنة التي يقتلون فيها الغلمان، فاتخذت له تابوتاً فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر، وهو النيل، وتمسكه إلى منزلها بحبل، فذهبت مرةً لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحرُ فحصلَ لها من العَمِّ والهم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِيقًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿فَالْفَقَطَةُ مَالٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾

(٧٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٠.

(٧٩) انظر: التحرير والتنوير ج ١٦/ص ٢١٨ والتوقيف ص ٤٦٣.

(٨٠) انظر: التبيان ج ٢/ص ١٨٣ والمحرر الوجيز ج ٤/ص ٤٤.

[القصص: ٨] أي قدراً مقدوراً من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذراً من وجود موسى، فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يُزَيَّ إلا على فراش فرعون، وَيُعَذِّى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له، ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّكَ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي﴾ أي عند عدوك جعلته يحبك... ﴿وَلِتُضِنَّ عَلَى عَيْنِي﴾... وقال قتادة^(٨١) تغذى على عيني، وقال معمر بن المثنى^(٨٢): ﴿وَلِتُضِنَّ عَلَى عَيْنِي﴾ بحيث أرى^(٨٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَلِتُضِنَّ عَلَى﴾ معنى الأمر من الله سبحانه وتعالى لمأمور غائب غير مخاطب، وقد خرج الفعل في صيغة الأمر، حيث إن الأمر أقطع الأفعال وأوجبها، وقد اقترن الفعل بحرف (على) الذي يفيد المصاحبة، كما وجب له إدغام العين، ولا يخفى ما في إدغام المتماثلين من السرعة في النطق مما يدل على السرعة في الفعل ومباشرته بمجرد حدوثه، والله أعلم.

يقول القرطبي: «وقرأ ابن القعقاع ﴿وَلِتُضِنَّ﴾ بإسكان اللام على الأمر وظاهره للمخاطب والمأمور غائب»^(٨٤).

ويؤازره كلام ابن جني - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - حيث يقول:

«وأما ﴿وَلِتُضِنَّ﴾ فَإِنَّ المأمورَ غائبٌ غيرُ مخاطبٍ، فإنَّما هو كقولنا:

(٨١) هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عُرَيْز، أبو الخطاب الدوسي البصري الأعمى المفسر، أحد الأئمة في حروف القرآن وله اختيار، ولد سنة ٦١هـ، وتوفي سنة ١١٧هـ. انظر: غاية النهاية ج ٢/ص ٢٥.

(٨٢) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، أبو عبيد النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده سنة ١١٠هـ بالبصرة، ووفاته بها سنة ٢٠٩هـ. انظر: وفيات الأعيان ج ٥/ص ٢٣٥.

(٨٣) تفسير ابن كثير ج ٣/ص ١٩٩.

(٨٤) تفسير القرطبي ج ٦/ص ٤٢٣٧.

وَلْتُغْنِ بِحَاجَتِي، وَلْتَوْضَعْ فِي تِجَارَتِكَ؛ لِأَنَّ الْعَانِيَّ بِهَا وَالْوَاضِعَ فِيهَا غَيْرَهُمَا، وَهُمَا الْمَخَاطَبَانِ، فَهَذَا كَقَوْلِكَ: لِيُضْرَبَ زَيْدٌ، وَلْتُضْرَبَ هِنْدٌ^(٨٥).

ويقول ابن عطية - رَحِمَهُ اللهُ -: «إِذَا الْأَمْرُ أَقْطَعَ الْأَفْعَالِ وَأَوْجَبَهَا»^(٨٦).

وهكذا يكون قد وَجَبَ تحقيقُ أمر الله تعالى بِأَنْ يُصَنَعَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عَيْنِهِ وَبِرَعَايَتِهِ وَبِأَمْرِ مِنْهُ تَعَالَى.

أَمَّا الْقِرَاءَةُ الْآخَرَى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى﴾ بِكسر اللام فقد أفادت التعليل، وهي متعلقة إمَّا بِالْقَيْتِ أَوْ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: فَعَلْتَ ذَلِكَ لِتُصْنَعَ.

يقول أبو السعود^(٨٧) - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿إِذَا تَمَشَّى أَفْئَكَ﴾ ظَرْفٌ لِّ﴿لِتُصْنَعَ﴾ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ وَقْتُ وَقَعِ فِيهِ مَشْيُهَا إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، وَمَا تَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالرَّجْعِ إِلَى أُمِّهَا وَتَرْبِيعِهَا لَهُ بِالْبَرِّ وَالْحَنُوِّ، وَهُوَ الْمَصْدَاقُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ إِذْ لَا شَفَقَةَ أَعْظَمَ مِنْ شَفَقَةِ الْأُمِّ وَصُنْعِهَا عَلَى مُوجِبِ مَرَاعَاتِهِ تَعَالَى»^(٨٨).

ويقول الشيخ محيي الدين الدرويش^(٨٩) - رَحِمَهُ اللهُ -: «واللام متعلقة بمحذوف، أي: فَعَلْتَ ذَلِكَ لِتُصْنَعَ، وَقِيلَ: متعلقة بِالْقَيْتِ»^(٩٠).

ويقول الصابوني - رَحِمَهُ اللهُ -: «الاستعارة التمثيلية ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾

(٨٥) المحتسب ج ٢/ص ٥١.

(٨٦) المحرر الوجيز ج ٤/ص ٤٤.

(٨٧) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر، شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، كان حاضراً ذهن سريع البديهة. توفي سنة ٩٨٢هـ وهو مدفون بقرب مرقد أبي أيوب الأنصاري. انظر: الأعلام ج ٧/ص ٥٩.

(٨٨) تفسير أبي السعود ج ٦/ص ١٥، وانظر: روح المعاني ج ١٦/ص ١٨٧.

(٨٩) هو محيي الدين الدرويش من علماء العربية في سورية وصحفيها، ولد في حمص سنة ١٣٢٦هـ، وتعلم بها، ثم غادرها لدمشق. له كتاب «إعراب القرآن الكريم وبيانه». انظر: إتمام الأعلام ص ٤٣٤.

(٩٠) إعراب القرآن للدرويش ج ٤/ص ٦٨٢.

تمثيلٌ لشدة الرعاية، وفرط الحفظ والكلاءة بمن يُصنع بمرأى من الناظر؛ لأنَّ الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر إليه، فمَثَلٌ لذلك بمن يُصنع على عين الآخر^(٩١).

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله تعالى أنفَذَ أمره المقدَّس بأن يُربِّي موسى ﷺ ويغذِّي في بيت فرعون، وأن تربيته أمُّه على موجب رعايته تعالى، ولذلك ألقي الله محبَّته في قلب كلِّ من رآه وحرَّم عليه المراضع، وهياً لأخته أن تدلِّهم على أمِّها فترضعه ويعود إلى حضنها، ويُصنع بيدها في بيت فرعون، وعلى عين الله ﷻ وبحفظه ورعايته.

٦ - قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَدْ خَلَتْ نَفْسًا فَجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَمَّا بَلَغْتِ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوِئُ ﴿٤٠﴾﴾ [طه: ٤٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ السوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة (جِئْتَ) بياء ساكنة مبدلة عن الهمزة.

٢ - وقرأ الباقون (جِئْتَ) بهمزة ساكنة وسط الكلمة^(٩٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(جِئْتَ): «جِئاً: المجيء: الإتيان، جاء يجيء جيئاً ومجيئاً. وحكى سيبويه^(٩٣) عن بعض العرب: هو يَجِيئُ بحذف الهمزة»^(٩٤).

(٩١) صفوة التفاسير ج ٢/ص ٢٠٣.

(٩٢) انظر: النشر ج ١/ص ٣٩٠.

(٩٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقَّب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاهقه، وصنَّف كتابه المسمى: (كتاب سيبويه) في النحو، لم يُصنع قبله ولا بعده مثله. سيبويه بالفارسية: رائحة التفاح، كان شاباً أنيقاً جميلاً، توفي شاباً، وفي مكان وسنة وفاته خلاف، توفي حوالي سنة ١٨٠ هـ. انظر: الأعلام ج ٥/ص ٨١.

(٩٤) لسان العرب ج ١/ص ٦٢.

وقال الأصفهاني - رَحِمَهُ اللهُ -: «جاء يجيء جَيَاءً ومجيئاً، والمجيء كالإتيان، لكنَّ المجيء أعم؛ لأنَّ الإتيان مجيءٌ بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقالُ اعتباراً بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولَمَّا يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولَمَن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً»^(٩٥).

ثالثاً: التفسير:

يُذَكِّرُ اللهُ - ﷻ - موسى بما حدث له حين رفضَ المراضعَ بقدرِ الله تعالى ليكون ذلك سبباً في رجوعه لأُمِّه كي تقرَّ عينها، ثم ذكَّره كيف نَجَّاه من الغمِّ ومن فرعون، حين قتل القبطيَّ وهربَ إلى أرضِ مدين، فمكثَ فيها إلى أن حان موعده مع النبوة فجاء بقدر الله تعالى.

يقول العلامة محمد الصابوني - رَحِمَهُ اللهُ -: «إِذْ تَنَسَّى أَخْتُكَ...» أي حين تمشي أختك وتتبع أثرك فتقول لآل فرعون حين طلبوا لك المراضع: هل أدلكم على من يضمن لكم حضانتَه ورضاعته؟ ... فطلبوا منها إحضارها فأتت بأمِّ موسى، فلَمَّا أخرجت ثديها التقمه، ففرحت زوجة فرعون فرحاً شديداً، وقالت لها: كوني معي في القصر، فقالت: لا أستطيع أن أترك بيتي وأولادي ولكن آخذه معي وآتي لك به كل حين، فقالت: نعم، وأحسنَت إليها غاية الإحسان، ... ثم قتلت القبطيَّ حين أصبحت شاباً، فنجَّيناك من غمِّ القتل وصرفنا عنك شرَّ فرعون وزبانيته، وفي صحيح مسلم: (وَكَانَ قَتْلُهُ خَطَأً)^(٩٦)، وابتليناك ابتلاءً عظيماً بأنواع من المحن، فمكثت سنين عديدة عند شعيب في أرض مدين، ثم جئت على موعدٍ ووقتٍ مُقَدَّرٍ للرسالة والنبوة^(٩٧).

(٩٥) المفردات ص ٢١٢.

(٩٦) أخرجه مسلم بمعناه في صحيحه ج ٤ / ص ٢٢٢٨ / ح ٥١٣٧، كتاب: الفتن وأشرار الساعة، باب: الفتنة من المشرق حيث يطلع قرنا الشيطان.

(٩٧) صفوة التفسير ج ٢/ ص ٢٠٢، ٢٠٣.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاء في شرح المَقْصَل: الهمزة حرف شديدٌ مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخلَ الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به إذ كان إخراجُه كالتهوُّع^(٩٨) فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوعٌ استحسانٍ لثقل الهمزة... وتخفيفها كما ذُكِرَ بالإبدال والحذف وأن تُجْعَلَ بَيْنَ بَيْنٍ^(٩٩).

وقال سيبويه - رَحِمَهُ اللهُ -: «... وذلك الذُّبُّ والمِثْرَةُ: ذِبُّ ومِيرة^(١٠٠)، فإنما تُبَدِّل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنَّه ليس شيء أقرب منه، ولا أولى به منها»^(١٠١). وبناءً على ذلك:

فقد أفادت القراءة (جيت) عناية الله - رَحِمَهُ اللهُ - بتدبير إجراء أحوال موسى رَحِمَهُ اللهُ وتسهيلها له على ما يُسفر عن عاقبة الخير، إلى أن بلغ الموضع الذي كلمه منه.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «فقلوه : ﴿ثُمَّ جِئْت عَلَى قَدَرٍ﴾ يفيد أن ما حصل لموسى رَحِمَهُ اللهُ من الأحوال كان مقدراً من الله مناسباً متدرجاً، بحيث تكون أعماله، وأحواله قد قدرها الله، وحددها تحديداً مُنَظَّماً؛ لأجل اصطفائه، وما أراد الله من إرساله، فالقدر هنا كناية عن العناية بتدبير إجراء أحواله على ما يسفر عن عاقبة الخير، فهذا تقدير خاص، وهو العناية بتدرج أحواله إلى أن بلغ الموضع الذي كلمه الله منه، وليس المراد القَدْر الذي قدره الله لتكوين جميع الكائنات؛ فإن ذلك لا يُشعر بمزية لموسى رَحِمَهُ اللهُ.

(٩٨) هَاع يَهْوَع وَيَهَاع هَوَّعاً وَهَوَّعاً: تَهَوَّعَ وَقَاءً وَقِيلَ قَاءَ بِلَا كُفَّةٍ، وَإِذَا تَكَلَّفَ ذَلِكَ قِيلَ تَهَوَّعَ... ويقال تهوَّع نفسه إذا قَاءَ بِنَفْسِهِ كَأَنَّهُ يَخْرِجُهَا... قال بعضهم تَهَوَّعَ أَي قَاءَ الدَّم. انظر: لسان العرب ج ٨/ص ٣٧٧.

(٩٩) انظر: شرح المفصل ج ٩/ص ١٠٧.

(١٠٠) مير: «المِيرةُ الطَعَامُ يَمْتَارُهُ الْإِنْسَانُ». لسان العرب ج ٥/ص ١٨٨.

(١٠١) كتاب سيبويه ج ٣/ص ٥٤٤.

وقد انتبه إلى هذا جرير^(١٠٢) بذوقه السليم، فقال في مدح عمر بن عبد العزيز:

أتى الخلافة إذ كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر^(١٠٣)»^(١٠٤)

أما القراءة (جِثَّتْ) فقد أفادت ندرة ذلك الموقف، وصعوبة ذلك الظرف الذي حدث لموسى ﷺ حين عودته من مدين إلى أرض مصر وشدته عليه وعلى أهله، حيث إن الهمزة حرف ثقيل.

وفي هذا المعنى يقول الدكتور فاضل السامرائي^(١٠٥): «فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة»^(١٠٦).

وبيّتن أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ - ذلك بقوله: «ثُمَّ جِثَّتْ» إلى المكان الذي أونس فيه النار ووقع فيه النداء والجوار^(١٠٧)، وفي كلمة التراخي إيذان بأن مجيئه ﷺ كان بعد اللَّيْلَا^(١٠٨)، والتي من ضلال الطريق وتفرُّق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية، وغير ذلك»^(١٠٩).

(١٠٢) هو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يزبوع، شاعر مشهور بالهجاء لم يثبت أمامه إلا الأخطل والفرزدق، ولد سنة ٢٨، وقيل سنة ٣٥هـ، ومات سنة ١٠٠هـ وقيل ١١١هـ. انظر: معجم الشعراء ص ٨٠.

(١٠٣) انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب مج ١/ص ٤١٦.

(١٠٤) التحرير والتنوير ج ١٦/ص ٢٢٢، وتفسير الطبري ج ١٦/ص ١٨٥.

(١٠٥) هو «فاضل صالح مهدي السامرائي: نحوي، لغوي، باحث، ولد في سامراء بالعراق، وتخرج في كلية التربية، وهو أول طالب حاز على شهادة الماجستير من جامعة بغداد في اللغة العربية سنة ١٩٦٥م، ثم التحق في كلية الآداب بجامعة عين شمس، فحصل على الدكتوراة سنة ١٩٦٨م. معجم الأدباء للجبوري ج ٤/ص ٤١٤.

(١٠٦) بلاغة الكلمة ص ٥٧.

(١٠٧) جَازَ إلى الله: «تضرع بالدعاء». مختار الصحاح ص ١١٩.

(١٠٨) «يقال وقع فلان في اللَّيْلَا والتي وهما اسمان من أسماء الداهية». مختار الصحاح ص ٦١٢.

(١٠٩) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٢٨١.

ويقول الماوردي^(١١٠) - رَحِمَهُ اللهُ -: «جثت على مقدار في الشدة وتقدير المدة»^(١١١).

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتبين أن موسى رَحِمَهُ اللهُ جاء إلى جانب الطور الأيمن في ظروف ثقيلة ونادرة الحدوث، لكنها كانت على وفق ما سبق في قضاء الله وقدره، فكانت العناية منه تعالى بتدبير إجراء أحواله وتدرجها إلى أن بلغ ذلك الموضع الذي كلمه الله منه، فهو المسير عبادة وخلقه فيما يشاء، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكوفيون ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مِهْدًا﴾ بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها^(١١٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المَهْدُ: الفرش، وهو الموضع يُهَيَّأ للصبي ويوطأ، والأرض كالمهاد، أي كالفرش، والجمع: مِهْدٌ، وبالضم: النَّشْرُ من الأرض، أو ما انخفض منها في سهولة واستواء، من المجاز: مَهْدُ الْأَمْرِ: وَطْأُهُ وَسَوَاهُ. والمَهْدُ والمِهَادُ: المكان المُمَهَّدُ المُوَطَّأ.

والمهاد أجمع من المَهْد، كالأَرْضِ جعلها الله مِهَاداً للعباد، وأصل

(١١٠) هو علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (أبو الحسن) ولد سنة ٣٦٤هـ ولقيه بسبب عمل والده ببيع ماء الورد كان حليماً وقروراً أديباً، لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه. توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٨/ص ٦٧، والبداية والنهاية ج ١٢/ص ٨٠.

(١١١) تفسير الماوردي ج ٣/ص ٤٠٤.

(١١٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٠.

المَهْدُ التَّوْثِيرُ؛ يقال مَهَّدْتُ لِنَفْسِي وَمَهَّدْتُ: أي جعلت لها مكاناً وطِيباً سهلاً^(١١٣).

ثالثاً: التفسير:

يَصِفُ موسى ﷺ رَبَّهُ لفرعون - حين سألَه عنه تعجيزاً - بأنه الذي جعل الأرض مَهْدَةً؛ يستقرُّ عليها الخلائق، وسلك بين الجبال طرقاً؛ يسير عليها الناس في تنقلاتهم من مكان لآخر، كما أنزل لكم من السماء ماءً عذباً فراتاً، وأخرج من الأرض أنواعاً شتى من النباتات، مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع.

جاء في تفسير الجلالين: «هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً ﴿وَسَلَكَ﴾ سَهْلَ ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طُرُقًا، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً، قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً، ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ شَجَرٍ﴾ صفة أزواجاً أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شت الأمر: تفرق^(١١٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قيل: إنَّ المَهْدَ والمِهَادَ بمعنى واحد، وقيل: هما لغتان، حيث جاء في كتاب طلائع البشر ما نصّه: «وَقُرِئَ بفتح الميم وسكون الهاء، وحذف الألف لغةً في المهاد، يُقال: مَهْدٌ ومِهَادٌ لما يُمَهَّدُ»^(١١٥).

إلا أنَّ كثيراً من المفسرين ذكروا فَرْقاً بين اللفظين فقالوا: إنَّ المَهْدَ اسم فعل أو مصدر، والمِهَادُ اسم، وقد ورد في التفسير الكبير قول أبي عبيد بأنَّ المهاد اسم، والمهْدُ اسم فعل، كما أنَّ الفراش اسم، والفِرَشُ

(١١٣) انظر: القاموس المحيط ص ٤٠٩. ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٥٢.

وأساس البلاغة ص ٤٣٨. وزاد المسير ج ٣/ص ١٦٢.

(١١٤) تفسير الجلالين ص ٤١٠.

(١١٥) طلائع البشر ص ١٢٦.

فعل^(١١٦).

مما سبق يتضح أنَّ القراءة الأولى ﴿مَهْدًا﴾ تبين أن الله - تعالى - مهد الأرض وبسطها لتكون صالحة لحياة الإنسان عليها.

يقول الأستاذ سعيد حوى - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: «أي: بساطاً و فراشاً، أي: صالحة للقرار والاستقرار، والنوم والراحة»^(١١٧).

ويقول أبو حيان: «ومعنى ذلك أنه تعالى جعلها يتصرفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم»^(١١٨).

ويقول البقاعي^(١١٩) - رَحِمَهُ اللهُ -: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ أَيُّهَا الْخَلَائِقُ ﴿الْأَرْضَ﴾ أي أكثرها ﴿مَهْدًا﴾ تَفْتَرِشُونَهَا، وجعل بعضها جبلاً، لا يمكن القرار عليها، وبعضها رخواً تسرَّحُ فيه الأقدام، وبعضها جلدًا، إلى غير ذلك مما تشهدون فيها من الاختلاف»^(١٢٠).

وأما القراءة الثانية ﴿مِهْدًا﴾ فهي اسم والاسم يدلُّ على الثبوت والاستقرار، أي إنَّ الأرض مكانٌ للقرار والاستقرار عليها.

يقول القرطبي^(١٢١): «ومعنى ﴿مِهْدًا﴾ أي: فراشاً، وقراراً تستقرون

(١١٦) انظر: تفسير الرازي ج ٢٢ / ص ٦٨، جامع البيان ج ١٦ / ص ١٩٢، البحر المحيط ج ٦ / ص ٢٣٤، والدر المصون ج ٥ / ص ٢٨.

(١١٧) الأساس ج ٧ / ص ٣٣٦٤.

(١١٨) البحر المحيط ج ٦ / ص ٢٣٤.

(١١٩) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرِّخ أديب، أصله من البقاع في سورية، له نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. توفي بدمشق سنة ٨٨٥. انظر: الأعلام ج ١ / ص ٥٦.

(١٢٠) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢٣.

(١٢١) هو محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه ووفور فضله. مات سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج ١ / ص ٧٩.

عليها» (١٢٢).

ويقول ابن خالويه (١٢٣) - رَحِمَهُ اللهُ -: «...» فالحجة لمن أثبت الألف ها هنا وفي (الزخرف): أنه جعله اسماً للأرض، أي: جعلها لهم فراشاً» (١٢٤).

وبالجمع بين القراءتين لا يمكن للمؤمن إلا أن يقف وقفة إجلالٍ وتعظيم أمام عظيم قدرة الله الخلاق العليم، وهو يتفكر في خلق الأرض بكل ما عليها من مخلوقات، فقد بسطها الله تعالى وجعلها ممهدة فأصبحت كالفراش لتكون الأرض للإنسان قراراً وفراشاً، يستقر عليها إلى أن يرث الله - تعالى - الأرض وما عليها، والله أعلم.

٨ - قال تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسَحَرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلَ يَتَنَّا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ﴿٥٨﴾ [طه: ٥٨].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾ بإسكان الفاء جزماً.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾ بالرفع.

القراءات في ﴿سُوًى﴾:

١ - وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وعاصم، وحمزة، وخلف ﴿سُوًى﴾ بضم السين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿سُوًى﴾ بكسر السين (١٢٥).

(١٢٢) تفسير القرطبي ج ٦ / ص ٤٢٥٤٩.

(١٢٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي، أصله من همدان لكنه دخل بغداد، وأدرك جلة العلماء، كانت وفاته سنة ٣٧٠هـ بحلب. انظر: وفيات

الأعيان ج ٢ / ص ١٧٨ - ١٧٩.

(١٢٤) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤١.

(١٢٥) انظر: النشر ج ٢ / ص ٣٢٠.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«أخلفه: الوَعَدَ: قال ولم يفعلْهُ»^(١٢٦).

«والإخلاف: أن يَعِدَ شيئاً ولا يُنجزه»^(١٢٧).

«ومكانٌ سُويٌّ وسواءٌ: وَسَطٌ (مَكَاناً سُويٌّ) و(مكانٌ سُويٌّ): بالكسر والضمّ: مَعْلَمٌ أي أثر يستدل به على الطريق، وتقديره: ذو معلم يُهتدى به إليه»^(١٢٨).

«ومكان سُوي وسوي: مستو، وأرض سي: مستوية»^(١٢٩).

«وقد يُقال في سواء بمعنى عدل: سُويٌّ وسُويٌّ كما قال - جلّ ثناؤه -: (مَكَاناً سُويٌّ) و(سُويٌّ) يراؤ به: عدلٌ ونصفٌ بيننا وبينك. وقد رُوِيَ أَنَّ ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ ذلك (إلى كلمةٍ عدلٍ بيننا وبينكم)»^(١٣٠).

ثالثاً: التفسير:

اتهم فرعون موسى عليه السلام بأنه ساحر - وذلك بعد أن أفحمه عليه السلام بالحجة والبرهان - وطلب فرعون من موسى عليه السلام أن يُحدد موعداً يتبارى فيه مع السحرة، وذلك ليخفي فشله وضعفه أمام موسى عليه السلام.

يقول أبو السعود - رحمته الله - في تفسير الآية: «فلنأتينك بسحر مثله» الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرِكَ، فاجعل بيننا وبينك موعداً، أي: وعداً كما يُنبئُ عنه وصفُه بقوله تعالى (لا تُخلفه) فإنه المناسب لا المكان والزمان، أي: لا نخلفُ ذلك الوعدَ نحن ولا أنت، وإنما فوَضَ

(١٢٦) القاموس المحيط ص ١٠٤٤.

(١٢٧) البحر المحيط ج ٦/ص ٣٣٥.

(١٢٨) القاموس المحيط ص ١٦٧٣.

(١٢٩) لسان العرب ج ١٤/ص ٤١٤.

(١٣٠) دقائق لغة القرآن ج ١/ص ٧٣. وانظر: مختار الصحاح ص ١٣٦.

اللعينُ أَمَرَ الوعدِ إلى موسى ﷺ للاحترازِ عن نسبته إلى ضعفِ القلبِ، وضيقِ المجالِ، وإظهارِ الجلادةِ^(١٣١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لَا تُخْلِفُهُ) بالرفع أنه صفةٌ لـ(موعداً) باعتبار معناه المصدري، أي: لا تُخلفُ ذلك الوعدُ، أو هو موعدٌ غيرُ مُخْلَفٍ^(١٣٢).

أمّا قراءة الجزم (لَا تُخْلِفُهُ) على أن لا ناهية، والجزمُ جوابٌ للأمر أي: إن جعلتَ ذلك لا تُخْلِفُهُ، والنهيُ تحذيرٌ من إخلافه^(١٣٣).

جاء في كتاب أضواء البيان: «قوله تعالى: (لَا تُخْلِفُهُ) أي الوعد الكامن في مفهوم اسم المكان الذي هو الموعد، لأنه مكان الوعد، فمعناه مركَّبٌ إضافيٌّ، وآخر جزأيه لفظ الوعد وهو مرجع الضمير في (لَا تُخْلِفُهُ). فإذا عرفت معنى هذا الكلام الذي أخبر الله أن فرعون قاله لموسى، فاعلم أن قوله عن موسى (قَالَ موعِدُكُمْ يومَ الزينة) يدلُّ على أنه وافق على طلب فرعون ضمناً، وزاد تعيين زمان الوعد بقوله (موعِدُكُمْ يومَ الزينة)، ولا إشكال في ذلك»^(١٣٤).

بالجمع بين القراءتين يُعلم أن فرعون طلب من موسى ﷺ أن يُحدِّد موعداً صفته أنه غيرُ مُخْلَفٍ، فإن جعله هكذا فلن يُخْلِفَهُ فرعون وأعوانه، وقد حذَّر من إخلافه، ونهى عن إخلافه؛ وذلك ليوهم قوّته، ويحترز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال، وليظهر جلادته أمام الناس.

أما بالنسبة لقراءة (سوى) بالضم والكسر، فيقول الإمام الطبري:

(١٣١) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٢٨٩.

(١٣٢) انظر: التحرير والتنوير ج ١٦ / ص ٢٤٥، مجمع البيان ج ١٣ ص ١١٠، وروح المعاني ج ١٥ / ص ٣١٦.

(١٣٣) انظر: تفسير القرطبي ج ٦ / ص ٤٢٥٢، مجمع البيان ج ١٣ ص ١١٠، روح المعاني ج ١٥ / ص ٣١٦، الدر المصون ج ٥ / ص ٣١، والتحرير والتنوير ج ١٦ / ص ٢٤٥.

(١٣٤) أضواء البيان ج ٣ / ص ٢٤.

«والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما لغتان - أعني الكسر والضم من (سوى) - مشهورتان في العرب» (١٣٥).

«(سوى) و(سوى): هو المكان النصف بين الفريقين» (١٣٦).

حيث إن (سوى) و(سوى) هو فعلٌ من التسوية، فكأنَّ المعنى مكانٌ تستوي فيه المسافة على الفريقين فتكون مسافة كلِّ فريق كمسافة الآخر.

وهي أيضاً مكانٌ وسطٌ بيننا وبينك، وهو من الاستواء؛ لأنَّ المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية، أي مكاناً وسطاً مستوياً حتى يشاهده كلُّ الحاضرين.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - في المعاني السابقة: «وذكروا في معناه وجوهاً:

(أحدها) قال أبو علي: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين وهو المراد من قول مجاهد، قال قتادة: منصفاً بيننا.

(ثانيها) ... (سوى) أي مستوياً لا يحجب العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض. فتكون (سوى) على التقدير الأولِ صفةُ المسافة، وعلى هذا التقدير صفةُ المكان، والمقصود أنهم طلبوا موضعاً مستوياً لا يكون فيه ارتفاعٌ ولا انخفاض حتى يشاهد كلُّ الحاضرين كلَّ ما يجري.

(وثالثها) مكاناً يستوي حالنا في الرضاء به...» (١٣٧).

(١٣٥) تفسير الطبري ج ١٦/ص ١٩٥.

(١٣٦) معاني القراءات ج ٢/ص ١٤٧. وانظر: المحرر الوجيز ج ٤/ص ٤٩، الكشف ج ٢/ص ٥٤٢، تفسير القرطبي ج ٦/ص ٤٢٥٢، زاد المسير ج ٣/ص ١٦٣، تفسير البيضاوي ص ٤٢٩، ومجمع البيان ج ١٣/ص ١١٠.

(١٣٧) تفسير الرازي ج ٢٢/ص ٧٢ (بتصرف)، وانظر: تفسير الطبري ج ١٦/ص ١٩٥، الملخص ص ٢٦٦، الحجة في القراءات السبع ص ٢٤١، الحجة للقراء السبعة ج ٥/ص ٢٢٤، مفاتيح الأغاني ص ٢٩٣، روح المعاني ج ١٥/ص ٣١٧، والتحرير والتنوير ج ١٦/ص ٢٤٦.

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتَّضح أنَّ المكان المراد تحديده يتَّصفُ بأنَّه مكانٌ تستوي مسافته بين الفريقين، ويوصفُ بأنَّه مُستَوٍ مُنْكَشِفٌ للناظرين ليشهدوا أعمال موسى ﷺ وأعمال السحرة، كما تستوي فيه حال الجميع؛ فتكون المنازل فيه واحدة: يتَّحدُ الرئيسُ والمرؤوس والسائسُ والمَسُوسُ، وهذا هو المراد بالعدل، والله أعلم.

٩ - قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ ﴿١١﴾ [طه: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، ورويس (فَيُسْحِتَكُم) بضم الياء وكسر الحاء.

٢ - قرأ الباقون (فَيُسْحِتَكُم) بفتحهما (١٣٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السَّحَت: الاستئصال. يقال: سَحَتَهُ وَأَسَحَتَهُ» (١٣٩).

يُسْحِتَكُم: يَسْتَأْصِلُكُمْ. وَيَسْحِتَكُم: يَفْشِرُكُمْ. والسحت في اللغة أصله الهلاك والشدة، سحت: السَّحْتُ والسَّحْتُ: كل حرام قبيح الذكر. وسَحَت الشيء يَسْحِتُهُ سَحْتًا: قشره قليلاً قليلاً، والسَّحْتُ: العذاب (١٤٠).

ثالثاً: التفسير:

يؤدِّي موسى ﷺ واجبه كداعية إلى الله تعالى؛ فلا يتركُ فرصةً دون أن يستغلَّها في الدعوة إلى الله؛ فها هو ذا ينتهزُ فرصةً اجتماع السحرة فيُنذِرهم بالهلاك والاستئصال إن كذبوا على الله بادعائهم أن ما جاء به موسى ﷺ هو السحر.

(١٣٨) انظر النشر ج ٢/ص ٣٢٠.

(١٣٩) الاشتقاق ص ٥٠٩. وانظر: معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٩.

(١٤٠) انظر: لسان العرب ج ٢/ص ٤٦.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي - حفظه الله - في هذا المعنى: «أي قال موسى لفرعون والسحرة: الهلاك والعذاب لكم إن اختلقتم على الله كذباً وزوراً، بأن تزعموا أن الذي جئت به ليس بحق، وأنه سحر، فيستأصلكم الله بعذاب شديد من عنده، وقد خسر وهلك من افترى على الله أي كذب كان» (١٤١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول السمين الحلبي (١٤٢) - رحمه الله -: «قرأ الأخوان وحفص عن عاصم بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما، وقراءة الأخوين من أسحت رباعياً، وهي لغة نجد وتميم.

قال الفرزدق (١٤٣):

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا بَنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدَغْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحِتًا أَوْ مُجَلَّفٌ (١٤٤)(١٤٥)

وقراءة الباقيين من سَحَتْه ثلاثياً وهي لغة الحجاز. وأصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاذ، ومنه: سَحَتَ الحائِثُ الشعرَ أي استقصاه فلم يترك منه شيئاً، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْإِهْلَاكِ وَالْإِذْهَابِ (١٤٦).

(١٤١) التفسير المنير ج ١٦/ص ٢٣٥.

(١٤٢) هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي: مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي من أهل حلب، استقر واشتهر بالقاهرة، من كتبه الدر المصون. انظر: الأعلام ج ١/ص ٢٧٤.

(١٤٣) هو همام بن غالب بن صعصعة، أبو فراس المعروف بالفرزدق، الشاعر المشهور، كان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية، مات سنة عشر ومائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء مج ١٠/ج ١٩/ص ٢٩٧ - ٣٠٣.

(١٤٤) الْمُجَلَّفُ: الذي أتى عليه الدهر فأذهب ماله. انظر: لسان العرب ج ٩/ص ٣٧.

(١٤٥) البيث من قصيدة للفرزدق يخاطب بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. انظر: شرح ديوان الفرزدق ج ٢/ص ١١٧.

(١٤٦) الدر المصون ج ٥/ص ٣٣، وانظر: المحرر الوجيز ج ٤/ص ٥٠، زاد المسير ج ٣/ص ١٦٤، تفسير القرطبي ج ٦/ص ٤٢٥٥، مجمع البيان ج ١٣/ص ١١٢.

ويقول الدكتور محمد سالم محيسن: «ونحن إذا ما نظرنا إلى هاتين القراءتين وجدناهما ترجعان إلى أصل الاشتقاق، حيث إنَّ القراءة الأولى مضارع (أسحته من الثلاثي المزيد بالهمزة، والقراءة الثانية مضارع (سحته) من الثلاثي المجرد، يقال: (سحته وأسحته) بمعنى (سحقته وأهلكته)»^(١٤٧).

ويقول النسفي^(١٤٨) - رَحِمَهُ اللهُ -: «السَحْتُ والإِسْحَاتُ بمعنى الإِعدام»^(١٤٩).

إذا تأملنا النصوص السابقة نستنتج أنَّ الآراء اجتمعت على أنَّ القراءتين من قبيل اللغات، وأنَّهما بمعنى واحد، ولكن إذا نُقِبَ عن الفرق بينهما فإنَّه - استثناساً بما قاله الدكتور فاضل السامرائي - قد يتبيَّن فرقاً، حيث يقول: «ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقتٍ أطول، وأنَّه يُفِيدُ تَلْبِثاً ومُكْنَأً»^(١٥٠).

إنَّ النُّطق بالقراءة الأولى - والتي هي مضارع (أسحت) - تدلُّ على المبالغة في الاستئصال والإهلاك بما يزيدُ على القراءة الثانية - والتي هي مضارع (سحت) حيث إنَّ النطق بأصل اشتقاق القراءة الأولى (أسحت) يستغرق وقتاً أطولَ في النطق بها عمّا يحتاجه أصل اشتقاق القراءة الثانية (سحت)، كما أنَّ القراءة الثانية تدلُّ على سرعة الحدث وهو الاستئصال وأنَّه يستغرق وقتاً أقصر في حدوثه، ويعاضده ما قاله الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى: ﴿فَيَسْحَتُكُمْ بِعَذَابٍ﴾ حيث يقول:

(١٤٧) القراءات وأثرها في علوم العربية ج ١/ص ٢٧٤. وانظر: الفتوحات الإلهية ج ٣/ ص ٩٨.

(١٤٨) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي، ثم السمرقندي، كان إماماً فاضلاً، مبرزاً متفنناً، صنف في كل نوع من العلم: في التفسير والحديث والشروط، وبلغت تصانيفه المائة، وله شعر حسن. مات سنة سبع وثلاثين وخمسائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج ١/ص ٧٥.

(١٤٩) تفسير النسفي ج ٣/ص ٨٩.

(١٥٠) بلاغة الكلمة ص ٦٢.

«فيسأصلكم بهلاكٍ فيبيدكم، وللعرب فيه لغتان: سحتٌ وأسحتٌ، وسحتٌ أكثرُ من أسحتٍ، يقالُ منه: سحتَ الدهرُ، وأسحتَ مَالُ فلانٍ: إذا أهلكه، فهو يسحته سحتاً وأسحته يسحته إسحاتاً»^(١٥١).

بالجمع بين القراءتين يصبح المعنى أنَّ من افتري على الله كذباً عذبه الله تعالى بالاستئصال في الدنيا وكان استئصاله مُبالغاً فيه، ويكون بسرعة وبهذه الشدة حيث لا يُبقي لكم في الدنيا بقيةً، والله أعلم.

١٠ - قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَىٰ﴾ ﴿١٣٦﴾ [طه: ٦٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير (قَالُوا إِنْ هَٰذَا) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف وتشديد النون من (هَٰذَا) مع المد المشبع.

٢ - قرأ أبو عمرو (قَالُوا إِنْ هَٰذَا) بتشديد النون من (إِنْ)، وبالياء من (هَٰذَا).

٣ - قرأ حفص (قَالُوا إِنْ هَٰذَا) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف من (هَٰذَا).

٤ - قرأ الباقون (قَالُوا إِنْ هَٰذَا) بتشديد النون من (إِنْ)، وبالألف من (هَٰذَا)^(١٥٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إِنْ): بالكسر والتخفيف، على أوجه منها ما ذكره السيوطي حيث يقول: «الثالث: أن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين، ثم الأكثر إذا دخلت على الاسمية إهمالها نحو: (إِنْ هَٰذَا لِسَاحِرَانِ) في قراءة

(١٥١) تفسير الطبري ج ١٦/ص ١٩٦.

(١٥٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٠، ٣٢١.

حفص وابن كثير^(١٥٣).

(إِنَّ) بالكسر والتشديد على أوجه منها: أنها بمعنى (نعم)^(١٥٤).

ثالثاً: التفسير:

وافق السحرة قولَ بعضهم لبعض إِنَّ موسى وهارون عليهما السلام ما هما إلا ساحران عالمان خبيران يريدان أن يتَفَرَّدَا بكلِّ ما ملكتموه من مال ومكانة، كما يريدان إخراجكم من أرضكم.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان قوله تعالى: (قالوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ): «وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ومنهم من قرأ (إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أَنَّ هذا الرجل وأخاه - يعنون موسى وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.

وقوله: ﴿وَيَذَٰبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى﴾ أي: ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر، فإنهم كانوا معظمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتفردا بذلك وتَمَحَّضَت لهما الرِّياسة بها دونكم^(١٥٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

أفادت القراءة الأولى (قَالُوا إِنَّ هَٰذَا) بتخفيف النون من (إِنَّ)، وبالألف وتشديد النون من (هَٰذَا) مع المد المشيع التأكيد على قولهم بأنَّ

(١٥٣) الإتيان ج ١/ص ٢٠١ (بتصرف).

(١٥٤) انظر: الإتيان ج ١/ص ٢٠٤.

(١٥٥) تفسير ابن كثير ج ٣/ص ٢٨٠.

موسى وأخاه - عليهما السلام - ساحران، وهذا الرأي يستمدُّ قوَّةً وتأكيداً من هذه النون القوية التي لا تسقط بحالٍ من الأحوال، والذي يزيد الكلام تأكيداً المد المشبع الذي يوحى بالإطالة في الحديث حول هذا الرأي وكذلك تشديد النون من (هَذَانُ).

يقول أبو العلاء الكرمانى^(١٥٦) - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ ابن كثير (إِنْ هَذَا) بتخفيف (إِنْ) على معنى: ما هذان إلاَّ ساحران. و(إِنْ) إذا خفت كان الوجه أن ترفع الاسم بعدها»^(١٥٧).

«ورد في قوله تعالى: (هذان) قراءتان هما:

أولاً: قراءة ابن كثير لهما بتشديد النون.

ثانياً: قراءة بقية السبعة لهما بنون خفيفة.

ولقد وجَّه النحاة قراءة ابن كثير هذه على أنه قد شدَّ عوضاً عن الألف والياء المحذوفتين فيه، إذ إنَّ أصله (هذان) فحذفت الياء والألف منه، وشدَّدت النون فيه عوضاً عن الحرف المحذوف فيه.

وهنا ربما يثار سؤال مفاده: لماذا عُوِّض الحرف المحذوف هنا ولم يُعَوِّض المحذوف في المثني كما في غلامان و(بُرْهَنَانِ) [القصص: ٣٢]؟ وللإجابة عن ذلك وجهان، أحدهما:

أنَّ نون (هذان) ثابتة في كلِّ الأحوال، ولا تسقط بالإضافة كما تسقط نون المثني، وذلك لكون هذه الأسماء لا تقبل الإضافة، لذلك فرقوا بين هذه النون القوية التي لا تسقط في حال من الأحوال وبين نون التثنية الضعيفة^(١٥٨).

(١٥٦) هو «محمد بن أبي المحاسن بن أبي الفتح الكرمانى، أبو العلاء، مقرئ من آثاره مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني فرغ منها سنة ٥٦٣هـ. معجم المؤلفين ج ٦/ ص ١٧٣. وانظر: كشف الظنون ج ٢/ ص ٦١١.

(١٥٧) مفاتيح الأغاني ص ٢٧٤.

(١٥٨) ما انفرد به كل من القراء السبعة ص ٤٤ - ٤٥.

وأما القراءة الثانية (قَالُوا إِنَّ هَٰذِينَ) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالياء من (هَٰذِينَ) على إعمال (إِنَّ) تفيدُ معنى: نعم هذان ساحران، أو أجل هذان ساحران على معنى تأكيد كلام مقدّر تحدّثوا به حين أسروا النجوى، يقول أبو الحسن الفارسي: فيكون نعم منصرفاً على تصديق أنفسهم فيما ادّعوه من السحر و(إِنَّ) بمنزلة نعم، وقال سيبويه: نعم عدةً وتصديق، وأن تُصَرَفَ إلى الناصبة للاسم أولى^(١٥٩).

كما أفادت القراءة الثالثة (قَالُوا إِنَّ هَٰذَا) بتخفيف النون من (إِنَّ)، وبالألف من (هَٰذَا) تأكيد كونهما ساحرين على المعنى في القراءة الأولى: ما هذان إلا ساحران.

في حين أفادت القراءة الرابعة (قَالُوا إِنَّ هَٰذَا) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالألف من (هَٰذَا) معنى: نعم هذان ساحران، تأكيداً لكلامهم حين أسروا النجوى بأنّ موسى وهارون عليهما السلام ساحران و(إِنَّ) هنا تكون عاملة وهي على لغة من يرفعون الاثنين في كلّ موضع.

يقول أبو علي الفارسي - رَحِمَهُ اللهُ -: «(إِنَّ هَٰذَا) لَسَاحِرَانِ) بتخفيف (إِنَّ) لأن الكتاب: (هَٰذَا) فيحملها على لغة من يخفف (إِنَّ) فيرفع بها، وإن ثقلت فهي لغة لبني الحارث بن كعب^(١٦٠) يرفعون الاثنين في كلّ موضع»^(١٦١).

ويقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «قالوا: أي بطريق التناجي والإسرار (إِنَّ هَٰذَا) لَسَاحِرَانِ) الخ، فإنه تفسيرٌ له، ونتيجة لتنازعهم، وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور، و(إِنَّ) مُحَقَّقَةٌ من (إِنَّ) قد أهملت عن

(١٥٩) انظر: الحجة للقراء السبعة ج ٥/ص ٢٣٠.

(١٦٠) هذه النسبة إلى قبائل، منها إلى بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ومنها إلى بني الحارث بن كعب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، منهم شريح بن هانيء الحارثي صاحب علي عليه السلام. انظر: لب الألباب ج ١/ص ٢٣١، واللباب ج ١/ص ٣٨١.

(١٦١) الحجة للقراء السبعة ج ٥/ص ٢٣١.

العمل، واللام فارقة، وقُرِئَ بتشديد نون (هذان) وقيل: هي نافية واللام بمعنى إلا، أي: ما هذان إلا ساحران، وقرئ (إن) بالتشديد، و(هذان) اسمها على لغة بلحارث بن كعب، فإنهم يعربون التثنية تقديرًا، وقيل: اسمها ضمير الشأن المحذوف، و(هذان لساحران) خبرها، وقيل: (إن) بمعنى (نعم)، وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر، وفيهما أن اللام لا تدخل خبر المبتدأ، وقيل أصله أنه هذان لهما ساحران، فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقُرِئَ (إن هذين لساحران) وهي قراءة واضحة^(١٦٢).

بالجمع بين القراءات يتبين أن السحرة حين تنازعوا أمرهم، وأسروا النجوى أجمعوا على قولهم إن موسى وهارون عليهما السلام ما هما إلا ساحران، وأكدوا قولهم بهذا الرأي، ووافقوا عليه فقالوا: أجل هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم، والله أعلم.

١١ - قال تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو ﴿فَاجْمَعُوا﴾ بوصل الهمزة وفتح الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَاجْمَعُوا﴾ بالقطع وكسر الميم^(١٦٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الجمع: أن تجمع شيئاً إلى شيء، والإجماع: أن تجمع الشيء المتفرق جميعاً، فإذا جعلته جميعاً بقي جميعاً ولم يكد يتفرق، كالرأي المعزوم عليه الممضى.

(١٦٢) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٢٩٠.

(١٦٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١.

قال الفراء: الإجماعُ: الإعداد والعزيمة على الأمر^(١٦٤).

ثالثاً: التفسير:

قال السحرة لبعضهم وهم يتناجون في أمر مغالبة موسى عليه السلام: أزمعوا كيدكم واجعلوه مُجمعاً عليه، ثم ائتوا صفّاً ليهاكم الناظرون، وقد فاز اليوم من كانت له الغلبة.

يقول أبو السعود - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾: «تصريحٌ بالمطلوب إثر تمهيد المقدمات، والفاء فصيحة، أي: إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج والإذهاب فأزمعوا كيدكم واجعلوه مُجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم، وارموا عن قوسٍ واحدة، وقرئ ﴿فَأَجْمَعُوا﴾ من الجمع، ويعضده قوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ [طه: ٦٠] أي: فاجمعوا أدوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفّاً، أي: مُضطَفِّين، أمروا بذلك لأنه أهيّب في صدور الرائيين، وأدخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين، قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كل منهم حبلٌ وعصا، وأقبلوا عليه إقبالةً واحدةً»^(١٦٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد سالم محيسن في الفرق بين (جَمَعَ) و(أَجْمَعَ): «واعلم أن (جَمَعَ) الثلاثي يتعدى للحسني والمعنوي، تقول: جمعتُ القوم، وجمعتُ أمري، وأن (أَجْمَعَ) الرباعي لا يتعدى إلا للمعنوي، تقول: أجمعتُ أمري، ولا تقول: أجمعتُ القوم»^(١٦٦).

استثناساً بما سبق فإنَّ القراءة الأولى تُفيدُ جمع السحرة الكيد وما يستطيعون من الأمور الحسية وغيرها ليبالغوا في سحرهم.

(١٦٤) انظر: لسان العرب ج ٨/ص ٦٧ - ٦٨.

(١٦٥) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٢٩١.

(١٦٦) المغني لمحيسن ج ٢/ص ٢٥، وانظر: المستنير ج ٢/ص ٣٣، وروح المعاني ج ١٥/ص ٣٢٨.

أما القراءة الثانية فإنها تُفِيدُ إحكامَ أمرهم وكيدهم وأن يجعلوه مُجمِعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه منهم أحد؛ «وأجمعتُ كذا: أكثر ما يُقال فيما يكون جمعاً يُتَوَصَّلُ إليه بالفكر»^(١٦٧).

وفي الموازنة بين القراءتين يقول الإمام الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: «والصواب في قراءة ذلك عندنا همزُ الألفِ من (أَجْمَعَ) لإجماع الحجة من القراءة عليه، وأنَّ السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: (اجمعوا) ما دُعيتُم له ممَّا أنتم به عالمون؛ لأنَّ المرءَ إنما يَجْمَعُ ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يومَ يزيد^(١٦٨) في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرقاً مما هو عنده بعضه إلى بعض، ولم يكن السحرُ متفرقاً عندهم فيجمعونه، وأما قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ [طه: ٦٠] فغيرُ شبيهه المعنى بقوله: ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ وذلك أنَّ فرعونَ كان هو الذي يجمعُ ويحتفلُ بما يغلبُ به موسى ﷺ مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقيل: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ [طه: ٦٠]»^(١٦٩).

مستعينةً بالله - تعالى - أقول: إنَّ قولَ الطبريِّ هذا مأخوذٌ عليه - رَحِمَهُ اللهُ - حيث لا يجوزُ ردُّ قراءةٍ صحيحةٍ أو تضعيفها، ولعلَّ المُسَوِّغَ له كَوْنُ زمانه قبلَ تحديدِ القراءات العشر الصحيحة، والقراءة الأولى (فأجمعوا) بالوصلِ وفتح الميم صحيحةٌ ولها مُسَوِّغٌ مقبولٌ يذكره أبو الحسن الفارسي - رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول:

«وإنما يقولون بالقطع إذا قالوا: أجمعنا على كذا وكذا، وأما إذا قالوا: اجمعوا أمركم، أو اجمعوا كيدكم، فلا يقولون إلاً بالوصل، قال: والقطع أكثرُ القراءة.

قال: فإمَّا أن يكونَ لغةً في ذا المعنى؛ لأنَّ بابَ فعلتُ وأفعلتُ كثيرٌ.

(١٦٧) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ١٨٩.

(١٦٨) جاء في تفسير الطبري لفظة (تزيد) بالتاء بدلاً من (يزيد) بالياء.

(١٦٩) تفسير الطبري ج ١٦/ص ٢٠٢.

أو يكون (اجمعوا) أي: أجمعوا على كذا وكذا، ثم قال: (كيدكم) على أمرٍ مُستأنف. فإن قيل: فقد تقدّم ذكرُ قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدُهُ﴾ [طه: ٦٠]، فإذا قالوا: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ كان تكريراً، قيل: لا يكون كذلك، ذاك إخبارٌ عن فرعون في جمعه كيده وسحره، وهذا فيما يتوصى به السحرة في جمع كيدهم، وما يستظهرون في المبالغة في سحرهم^(١٧٠).

ويقول الخطيب التبريزي - رَحِمَهُ اللهُ -: «فمن قرأ بالوصل فعلى أن المعنى جيئوا بكل كيد تقدرون عليه، لا تُبقوا منه شيئاً، وشاهده ﴿...فَجَمَعَ كَيْدُهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [٦٠]»، ومن قرأ بالقطع فعلى أن المعنى، ليكن عزمكم مُجمِعاً عليه ثم لا تختلفوا فتختلوا^(١٧١).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن السحرة أَسْرُوا لبعضهم بعضاً بأن يجمعوا كيدهم فلا يدعوا منه شيئاً إلا جاءوا به، وأن يُحكّموا أمرهم وكيدهم ورأيهم، وأن يرموا عن قوسٍ واحدة؛ ليكون لهم الفوز والفلاح، والله أعلم.

١٢ - قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئَاهُمْ وَعَصَيْتُهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن ذكوان وروح (تُخَيِّلُ) بالتاء على التانيث.

٢ - قرأ الباقر (يُخَيِّلُ) بالياء على التذكير^(١٧٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خيل: خال الشيء يخال خيلاً، وخيلة، وخيلة، وخالاً، وخيلاً،

(١٧٠) الحجة للقراء السبعة ج ٥/ص ٢٣٢.

(١٧١) الملخص ص ٢٦٩.

(١٧٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١.

وَحَيَلَانًا، وَمَخَالَةً، مَخِيلَةً، وَخَيْلُولَةً: ظَنَّهُ^(١٧٣). وَتَخَيَّلَ الشَّيْءَ لَهُ: تَشَبَّهَ^(١٧٤).

قال الفيروزآبادي^(١٧٥) - رَحِمَهُ اللهُ -: «الخيال والخيالة بمعنى: وأصله الصُّورة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرأة وفي القلب بُعيد غيبوبة المرئي... ثم يستعمل في صورة كلِّ أمر متصور، وفي كلِّ أمر متصور، وفي كلِّ شخص دقيق يجري مجرى الخيال. والتَّخْيِيل: تصوير خيال الشيء في النفس، والتَّخْيِيل: تصور ذلك»^(١٧٦).

ثالثاً: التفسير:

لَمَّا اجْتَمَعَ موسى ﷺ والسحرة في الميقات المعلوم أمام الناس، وشاور السَّحْرَةَ موسى ﷺ تَأْدِباً معه فيمن يلقي أولاً، قال لهم موسى بأن يبدؤوا هم بالإلقاء، وقد كانوا أودعوا عصيهم وحبالهم من الزئبق ما جعلها تبدو وكأنها تتحرك وذلك بتأثير حركة الزئبق الذي تمدد مع حرارة الشمس في وقت الضحى، حتى إنَّ موسى ﷺ فَزَعَ واضطرب من عظمة سحر السحرة^(١٧٧).

يقول الصابوني في بيان قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ تُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْقَى﴾ [طه: ٦٦]: «في الكلام حذف دلٌّ عليه المعنى: أي فألْقَوْا فإذا تلك الحبال والعصي التي ألْقَوْها يتخيّلها موسى ويظنّها - من عظمة السحر - أنّها حَيَات تتحرك وتسعى على بطونها، والتعبير يوحي

(١٧٣) لسان العرب ج ١١/ص ٢٧٢.

(١٧٤) القاموس المحيط ص ١٢٨٨.

(١٧٥) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب، ولد بكازارين من أعمال شيراز، وانتقل إلى العراق، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. مات سنة ٨١٧ هـ. انظر: الأعلام ج ٧/ص ١٤٦.

(١٧٦) بصائر ذوي التمييز ج ٢/ص ٥٨٠ (بتصرف).

(١٧٧) انظر: تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٢٩٢.

بعظمة السحر حتى إن موسى فزع منها واضطرب» (١٧٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

القراءتان على البناء للمفعول ولكن القراءة (تُخَيَّلُ) بقاء التأنيث حملاً على معنى تخيل الحبال والعصي، في حين أَنَّ القراءة (يُخَيَّلُ) بقاء التذكير حملاً على معنى يُخَيَّلُ لهم السحر.

والتذكير يحمل معاني عدة منها: القوة والقلّة، والتأنيث يحمل معاني عدة: منها الكثرة والضعف (١٧٩).

بالجمع بين القراءتين يتضح أَنَّ الله تعالى - بمشيئته القدرية الكونية - خَيَّلَ للحاضرين - للامتحان والابتلاء - أَنَّ الحبال والعصي على كثرتها أو قلّتها تسعى، حتى تخيلوها من عظمة السحر أَنَّها تسير وتعدو مثل الحيات، ورغم تمكن السحرة من السحر وإتقانهم له فكيدهم وإن ظهر قوياً فهو في حقيقته ضعيف، والله أعلم.

١٣ - قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَكِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ ﴿٦٩﴾ [طه: ٦٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في (تَلَقَّفَ):

- ١ - قرأ ابن ذكوان (تَلَقَّفَ) برفع الفاء.
- ٢ - وقرأ حفص (تَلَقَّفَ) بإسكان اللام مع تخفيف القاف.
- ٣ - وقرأ البزي (يَمِينِكَ تَلَقَّفَ) بالجزم والتشديد وعلى أصله في تشديد التاء وصلاً.

(١٧٨) صفوة التفسير ج ٢/ص ٢٠٧. وانظر: تفسير البغوي ج ٣/ص ١٨٨.

(١٧٩) انظر: التأنيث في اللغة ص ٢٧.

٤ - وقرأ الباقون (تَلَقَّف) بالجزم والتشديد^(١٨٠).

القراءات في (سِخْر):

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف (سِخْر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقون (سَاحِر) بالألف وفتح السين وكسر الحاء^(١٨١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(تَلَقَّف): لقف: اللَّقْفُ: تناول الشيء يرمي به إليك. تقول: لَقَفَنِي تَلْقِيفاً فَلَقَفْتُهُ. واللَّقْفُ: سرعة الأخذ لما يُرمى إليك باليد أو باللسان. (وفي حديث الحج: تَلَقَّفْتُ التلبية مِن فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(١٨٢) أي: تَلَقَّيْتُهَا وحَفِظْتُهَا بسرعة. والتَلَقَّفُ: الابتلاع^(١٨٣).

سِخْر: السِّخْر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه كل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى. السِّخْر: الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والجمع أسحار وسحور، سحره يسحره سحراً. ورجل ساحر: من قوم سحرة، سَحَّار: من قوم سَحَّارين^(١٨٤).

«وقد (سَحَرَهُ) بالفتح، (سِخْرًا) بالكسر. و(الساحر): العالم»^(١٨٥).

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله - تعالى - نبيه موسى ﷺ قائلاً: أَلْقِ ما في يمينك - وهي

(١٨٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١.

(١٨١) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١.

(١٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر ج ٢/ص ٨٤١ ح ١١٨٤، كتاب: الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها.

(١٨٣) انظر: لسان العرب ج ٩/ص ٣٨٢. وانظر: التفسير الوسيط للطنطاوي ج ٩ / ص ٦١.

(١٨٤) انظر: المرجع السابق ج ٤/ص ٣٤٨.

(١٨٥) مختار الصحاح ص ٣٢٦.

العصا - تبتلعُ بفمها كلَّ ما صنعوا من السحر، فقد اخترعوه وافتعلوه من باب الشعوذة والسحر؛ لذا فإن الساحر لا يفوز بمطلوبه فهو كاذبٌ مضللٌ.

يقول الأستاذ محيي الدين الدرويش - رَحِمَهُ اللهُ -: «قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَتُوسَى﴾ [طه: ١٧] وقد أظهر له آيتها، فيكون ذلك تنبيهاً له، وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها، وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت في موقف يزايل الوقار أشد النفوس قوة ورباطة» (١٨٦).

ويقول الشيخ مصطفى الحصن المنصوري - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ أي ألقِ عصاك التي بيمينك، وإنما أوتر الإبهام تهويلاً لأمرها، وتفخيماً لشأنها، وإيداناً بأنها ليست من جنس العصي المعهودة ﴿تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا﴾ بالجزم جواباً للأمر، أي تبتلع ما صنعوه من السحر، من لَقْفِهِ إذا ابتلعه بسرعة، والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير، والعربُ تقول في الكذب كلام مصنوع ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ أي إنما افتعلوه هو من باب الشعوذة والسحر ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ أي هذا الجنس، لأن السحر صنعة خسيصة، ﴿حَيْثُ أَقْبَلَ﴾ أي حيث كان، وأين أقبل» (١٨٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة (تَلْقَفُ) سرعة التلقف وكثرته: حيث تلتهم ما صنعوا بسرعة، وتقتلع مادة الخوف من نفس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكلية. فمعنى (تَلْقَفُ) أي: «تبتلع بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك» (١٨٨).

يقول الألوسي: «رفع الفعل على أنَّ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، أو

(١٨٦) إعراب القرآن للدرويش ج ٤/ص ٧٠٢.

(١٨٧) المقتطف ج ٣/ص ٣٤٧، ٣٤٨، وانظر: روح المعاني ج ١٥/ص ٣٣٤.

(١٨٨) السراج المنير ج ٢ / ص ٤٧٢. وانظر: التبيان ج ١/ ص ٢٠٧.

حال مقدرة من فاعل ألقي بناءً على تسببه أو من مفعوله، أي متلقفاً أو متلقفة؛ وجملة الأمر معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجه بيان كيفية علوه وغلبه ﷺ، فإن ابتلاع عصاه ﷺ لأباطيلهم التي منها أوجس في نفسه خيفة، يقلع مادة الخوف بالكلية^(١٨٩).

أما فيما يتعلق بالقراءة (تَلَقَّفُ) فقد أفادت إثبات أصل الحدث، واستحضار حقيقة الصورة دون مبالغة فيها.

جاء في كتاب التوجيه اللغوي لقراءة عاصم ما يلي: «قرأ حفص: (تَلَقَّفُ) مضارع من الثلاثي المجزء (لَقَفَ يَلْقَفُ لَقْفاً) والمعنى: تَلَقَّمَ أي: تأخذه فتأكله وتبتلعه، وهذه القراءة إثبات لأصل الحدث، واستحضار لحقيقة الصورة دون مبالغة فيها وقرأ شعبة: (تَلَقَّفُ) وهو مضارع حُذِفَتْ إحدى تاءيه تخفيفاً، والأصل: (تَتَلَقَّفُ) من (تَلَقَّفَ) الماضي المزيد بالتاء وتضعيف العين، وهما ... صوتان لهما معنى في البناء الصرفي. ولا شك أن المعنى - بفضلهما - زاد قوة، وتعبيراً عن الإمعان في الالتهام^(١٩٠).

أما القراءة الثالثة (يَمِينُكَ تَلَقَّفُ) فقد ورد فيها الآتي: «وقوله بتشديد التاء أي إدغام التاء الأولى في الثانية في حالة الوصل، لئلا يلزم الابتداء بالساكن على ما بيّن في علم النحو^(١٩١).

ولا يخفى ما في هذه القراءة من الشدة والسرعة في النطق مما يُوحى بالشدة والسرعة في الحدث.

في حين أفادت القراءة (تَلَقَّفُ) بالجزم على أنه جوابٌ للأمر، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ﴾، وما كان جواباً للأمر كان مجزوماً؛ لأنه على تقدير جواب الشرط، كأنه قال: وألقِ ما في يمينك فإنك إن تلقه تَلَقَّفُ^(١٩٢).

(١٨٩) روح المعاني ج ١٥/ص ٣٣٤، وانظر: أضواء البيان ج ٣/ص ٢٧.

(١٩٠) التوجيه اللغوي ص ١٨٧.

(١٩١) حاشية الشهاب ج ٦/ص ٣٧٠.

(١٩٢) انظر: الموضح ج ٢/ص ٨٤٣.

أما القراءة (كيد سحر) فقد أفادت توغل السحرة في السحر كأنهم السحر بعينه، كما بيئت الكيد، وفي ذلك يقول الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَقُرِئَ (كَيْدُ سِحْرٍ) بِمَعْنَى كَيْدِ ذِي سِحْرٍ، أَوْ ذَوِي سِحْرٍ، أَوْ هُمْ لَتَوْغُلُهُمْ فِي سِحْرِهِمْ كَأَنَّهُمْ السِّحْرُ بِعَيْنِهِ وَبِذَاتِهِ، أَوْ بَيَّنَّ الكَيْدَ لِأَنَّهُ يَكُونُ سِحْرًا، وَغَيْرُ سِحْرٍ، كَمَا تُبَيَّنُّ الْمَائَةُ بِدَرَاهِمٍ، وَنَحْوُهُ: عِلْمُ فَقْهٍ، وَعِلْمُ نَحْوٍ» (١٩٣).

بينما أفادت القراءة ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾ تحقير كيد السحرة.

قال أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾ بالرفع على أَنَّهُ خَبْرٌ؛ أَي: كَيْدُ جِنْسِ السَّاحِرِ، وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى تَنْكِيرِ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ لِلتَّحْقِيرِ. وَقُرِئَ ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾ عَلَى أَنَّ الْإِضَافَةَ لِلْبَيَانِ كَمَا فِي عِلْمٍ فَقْهٍ، أَوْ عَلَى مَعْنَى ذِي سِحْرٍ، أَوْ عَلَى تَسْمِيَةِ السَّاحِرِ سِحْرًا مَبَالِغَةً» (١٩٤).

وبالجمع بين القراءات الست يتبين أن الله - تعالى - أوحى إلى موسى ﷺ حين أوجس في نفسه خيفة أن يلقي عصاه، وبمجرد إلقاءه لها إذا هي تبتلع، وتلتهم كل ما صنعوه من السحر بسرعة، وحذق، ولم تُبقِ مما صنعوا شيئاً، وقد كانت مُستخضرةً لحقيقة الصورة، مثبتة لأصل الحدث.

كما بيّن الله - ﷻ - لموسى أنهم رغم توغلهم في السحر - حتى لكأن الساحر منهم أصبح جنس السحر نفسه - إلا أن ما صنعوا هو كيدٌ حقيرٌ تلتهمه هذه العصا رغم صغر حجمها، فهي أعظم مما صنعوه جميعاً، والله أعلم.

١٤ - قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطِعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا تُصَلِّتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا شَدِيدًا وَعَذَابُنَا وَابْقَى﴾ [طه: ٧١].

(١٩٣) الكشف ج ٢/ص ٥٤٥.

(١٩٤) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٢٩٣. وانظر: الملخص ص ٢٧١. والفتوحات الإلهية ج ٣/ص ١٠٠.

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ حفص، ورويس: (ءَامَثْتُمْ لَهُ) على لفظ الخبر.
- ٢ - قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، (ءَامَثْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزيين الأولى مُحَقَّقَةً والثانية بين بين.
- ٣ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح (ءَامَثْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزيين مُحَقَّقَتَيْنِ^(١٩٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«آمَنَ به إيماناً: صدَّقه، والإيمانُ: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة»^(١٩٦).

ثالثاً: التفسير:

يستنكر فرعون على السحرة أنهم آمنوا برب موسى ﷺ دون إذنٍ منه، ويتهمهم أنهم تأمروا مع موسى ﷺ عليه وعلى قومه، وأن موسى ﷺ هو كبيرهم الذي تعلَّموا السحر على يديه، وهدَّدهم بقتلهم وإشهارهم.

فقد «كان فرعون قد ادَّعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وادَّعى الألوهية وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وفوجئ فرعون بإيمان السحرة، وسجودهم لله رب العالمين؛ وخشي أن يمتد الإيمان إلى سائر الشعب؛ فادَّعى: أنها مؤامرة، وادَّعى: أن موسى هو المعلم الذي تعلَّموا على يديه السحر، وأنهم بيَّتوا هذا الأمر؛ ليتظاهروا أمام الناس بأنهم غلبوا، وهدَّد السحرة بالغضب والانتقام، والعذاب الأليم.

وقال: آمنتم بموسى قبل أن أعطيكم الإذن بذلك؛ لأقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى من خلاف، أي: لا يكون القطع لليد والرجل عن وفاق؛ فيقطع اليد اليمنى والرجل اليمنى؛ فيكون للإنسان نصف كامل، بل

(١٩٥) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١، والبدور الزاهرة ص ١٢٠.

(١٩٦) القاموس المحيط ص ١٥١٨.

يريد أن ينتشر النقص في الجسم كله. ولأصلبئكم على جذوع النخل من باب التشهير والتنكيل - قال ابن عباس: فكان أول من عذب بهذا العذاب - ولتعلمن أيها السحرة أننا أشد تعذيباً لكم، وأبقى في إنزال الهلاك بكم؛ أنا أم موسى وربّه؟» (١٩٧).

«فإن حرف الجر (في) جيء به قصداً ولا يسد غيره مسده؛ ذلك لأن الحرف يصور لنا ما في نفس فرعون من حقد وغيظ على أولئك السحرة المؤمنين. فهو لا يريد فقط تصليبهم على الجذوع، بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويحشرهم فيها» (١٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

ناسبت القراءة الأولى (آمَنْتُمْ لَهُ) على لفظ الخبر، إخبار فرعون للسحرة على جهة التوبيخ أن إيمانهم كان بدون إذنٍ منه، فبهذا يكون إيمانهم في نظره إيماناً لا يُعْتَدُّ به، وهو غير مُعْتَبَرٍ.

كما ناسبت القراءة الثانية (أَمْ آمَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين الأولى مُحَقَّقَةٌ والثانية بين بين، استنكار فرعون إيمان السحرة بغير إذنه، ففي الآية استفهام توبيخي، واستنكارٌ لفعل الإيمان من قِبَلِ السحرة بسهولة وبلا تردد من السحرة، وأن هذا الإيمان لا يُعْتَدُّ به لكونه بغير إذنٍ منه؛ إذ لا يحقُّ لهم إلا تبعية فرعون. وهذا ما يوحي به وضع الهمزتين في هذه الكلمة حيث إنّه إذا اجتمع في كلمة همزتان وجب التخفيف إن لم يكونا في موضع العين (١٩٩)، وهذا ما حدث في القراءتين السابقتين.

وناسبت القراءة الثالثة (أَمْ آمَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين مُحَقَّقَتَيْنِ، استنكار فرعون إيمان السحرة بدون إذنه، واستثقاله هذا الفعل، فهو الذي جاء بهم ليقضي على موسى ويُبطل أمره، فإذا به يُفاجأ بهم يؤمنون بدعوته،

(١٩٧) تفسير القرآن الكريم ج ١٥ / ص ٣١٧٧.

(١٩٨) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ٣٨.

(١٩٩) انظر: شرح ابن عقيل ج ٢ / ص ٢١٦.

فكان تحقيق الهمزة الثانية إلى جانب تحقيق الهمزة الأولى ثقيلًا على النطق ليدلَّ على أنَّ هذا الأمر ثقيلٌ على نفس فرعون، ويوجبُ للسحرة أشدَّ العقاب.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «إن مرادهم فرعون قال أي فرعون للسحرة: (آمنتم له) أي لموسى رَحِمَهُ اللهُ واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع، وقرئ على الاستفهام التوبيخي (قبل أن آذن لكم) أي: من غير أن آذن لكم في الإيمان له كما في قوله تعالى: ﴿لَنفَعَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَعَدَّ كَيْفَ رَقِي﴾ [الكهف: ١٠٩]، لا أن إذنه لهم في ذلك واقعٌ بعده أو متوقع، إنه يعني موسى رَحِمَهُ اللهُ لكبيركم أي: في فنكم، وأعلمكم به وأستاذكم الذي علّمكم السحر، فتواطأتم على ما فعلتم، أو فعلمكم شيئاً دون شيء؛ فلذلك غلبكم، وهذه شبهة زورها للعين، وألقاها على قومه، وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه، فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن مُعْتَدًا به، وأنهم من تلامذته رَحِمَهُ اللهُ فلا عبرة بما أظهره، كما لا عبرة بما أظهره؛ وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله تعالى» (٢٠٠).

ويقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الأكثر (آمنتم) على الاستفهام التوبيخي، والتوبيخ هو المراد من الجملة على القراءة الأولى أيضاً لا فائدة الخبر أو لازمها، ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أي: من غير إذني لكم في الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿لَنفَعَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَعَدَّ كَيْفَ رَقِي﴾ [الكهف: ١٠٩]، لا أن إذنه لهم في ذلك واقعٌ بعد أو مُتَوَقَّعٌ، وفرَّق الطبرسي بين الإذن والأمر بأن الأمر يدلُّ على إرادة الأمرِ الفعلِ المأمور به، وليس في الإذن ذلك» (٢٠١).

بالجمع بين القراءات يتبيَّن أن فرعون يخبرُ السحرة باستفهامه التوبيخي استنكاره لإيمانهم بربِّ موسى بهذه السهولة وبدون إذنه، وأنَّ هذا الإيمان لا

(٢٠٠) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٢٩٤.

(٢٠١) روح المعاني ج ١٥ / ص ٣٣٨.

يُغْتَدُّ بِهِ، ولذلك ففعلتهم شديدة مُسْتَقْلِلَةٌ ويستحقُّون - في نظره - العقاب الشديد؛ لذا فسيستقم منهم انتقاماً لم يُسَبَقْ إليه بعد، بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويحشرهم فيها، والله أعلم.

١٥ - قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٧٢﴾ [طه: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة (نؤثرُك).

٢ - وقرأ الباقون (نؤثرُك) (٢٠٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

آثره: أكرمه، استأثر بالشيء: استبدَّ به وخصَّ به نفسه، رجلٌ يستأثرُ على أصحابه أي: يختارُ لنفسه أشياء حسنة. وآثرُك إثارةً أي: فضَّلُك. لن نؤثرُك: لن نفضلُك ونختارُك (٢٠٣).

ثالثاً: التفسير:

يردُّ السحرة على وعيد فرعون لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في جذوع النخل بأنهم لن يُفضِّلوه على ما جاءهم من الله - ﷻ - على يد موسى ﷺ من المعجزات الظاهرة، وأنهم غير مبالين بوعيده.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ مصطفى المنصوري - ﷺ -: ﴿قَالُوا﴾ غير مكترئين بوعيده ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: لن نختارُك، ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا﴾: من الله تعالى على يد موسى ﷺ، ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ من المعجزات الظاهرة، فَإِنَّ مَا ظهر من العصا، كان مشتملاً على معجزات جمَّة، فإنهم عارفون بجلالها،

(٢٠٢) انظر: النشر ج ١/ ص ٣٩٠.

(٢٠٣) انظر: القاموس المحيط ص ٤٣٦. ولسان العرب ج ٤/ ص ٨. وأيسر التفاسير ج ٣/ ص ٣٦٣.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: لن نؤثرك وحق الذي فطرنا، وهو قسم بعزة الله وجلاله، ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾: جواب عن تهديده، أي: فاصنع ما أنت صانعه بنا، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾: تعليل لعدم المبالاة بوعيده، أي: إنما ينفذ حكمك في ﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي إنما تصنع ما تهواه في هذه الحياة الدنيا فحسب، وهي فانية زائلة، ورغبنا في النعيم الدائم^(٢٠٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنّ الهمزة حرف ثقیل یوحى بثقل الأمر الذي تعبّر عنه الكلمة التي يشتمل عليها، في حين أنّه يجوز في اللغة تخفيف الهمزة بإبدالها بحرف مد مجانس لحركتها^(٢٠٥).

ولذا فقد أفادت القراءة الأولى ﴿نُؤْثِرُكَ﴾ تخفيف أمر فرعون وتهوين وعيده بتعذيب السحرة وذلك أنّ الحياة الدنيا مهما طالّت فهي فانية زائلة لذا فإنّ ضررها هيّن.

يقول الطبرسي - رَحِمَهُ اللهُ - على لسان السحرة في ردّهم على وعيد فرعون لهم بالعذاب: «إِنَّمَا تَصْنَعُ بِسُلْطَانِكَ أَوْ تَحْكُمُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ فَلَا سُلْطَانَ لَكَ فِيهَا وَلَا حُكْمَ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِنَّمَا تَقْضِي وَتَذْهَبُ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ»^(٢٠٦).

أما القراءة الثانية ﴿نُؤْثِرُكَ﴾ فقد أفادت شدة الوعيد من فرعون بتعذيبهم بكيفية لم يسبقه إليها أحد، وعلى رغم ذلك فإنّ تفضيل فرعون واتباع أوامره وترك ما جاء به موسى أمر ثقیل صعب، وهو أمرٌ مُسْتَبْعَدٌ لديهم على رغم علمهم بشدة العذاب الذي يتوعّدهم به فرعون.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «اعلم أنّه تعالى لما حكى تهديد فرعون لأولئك حكى جوابهم عن ذلك بما يدل على حصول اليقين والبصيرة

(٢٠٤) المقتطف ج ٣/ص ٣٤٩.

(٢٠٥) انظر: الموضع رقم (٦) من هذه السورة ص ٤٦ - ٤٨.

(٢٠٦) مجمع البيان ج ١٣/ص ١٢٣.

الكاملة لهم في أصول الدين، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وذلك يدل على أن فرعون طلب منهم الرجوع عن الإيمان وإلا فعل بهم ما أوعدهم فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ جواباً لما قاله وبيّنوا العلة وهي أن الذي جاءهم بَيِّنَات وأدلة، والذي يذكره فرعون محض الدنيا، ومنافع الدنيا ومضارّها لا تعارض منافع الآخرة ومضارّها... واعلم أنّهم لما علموا أنّهم متى أصروا على الإيمان فعل فرعون ما أوعدهم به فقالوا: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ لا على معنى أنّهم أمروه بذلك لكن أظهروا أنّ ذلك الوعيد لا يزيلهم البتّة عن إيمانهم وعمّا عرفوه من الحقّ علماً وعملاً، ثمّ بيّنوا ما لأجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا: إنّ قضاءك وحكمك إنّما يكون في هذه الحياة الدنيا وهي كيف كانت فانية وإنّما مطلبنا سعادة الآخرة وهي باقية، والعقل يقتضي تحمّل الضرر الفاني المُتَوَصِّل به إلى السعادة الباقية» (٢٠٧).

بالجمع بين القراءتين يتضح أنّ السحرة فضّلوا اتباع موسى ﷺ والإيمان بالله بالرغم ممّا سيلاقونه من التعذيب الشديد على يد فرعون، وقد استهانوا بما سيفعله بهم لأنّ قضاءه وحكمه منحصر في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم.

١٦ - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الثَّلَاثُ﴾ (٧٥) [طه: ٧٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ رويس، وقالون بخلف عنه ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ من غير صلة.

٢ - قرأ السوسي ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ بالسكون وإبدال الهمزة ألفاً.

٣ - قرأ الباقون ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ بالكسر مع الصلة، وهو الوجه الثاني لقالون (٢٠٨).

(٢٠٧) تفسير الرازي ج ٢٢/ص ٨٩ (بتصرف).

(٢٠٨) انظر: النشر ج ١/ص ٣٩٠.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أني: الإتيان: المجيء^(٢٠٩).

الأتو: الاستقامة في السير، والسرعة، والطريقة، أتيتُهُ أتياً وإتياناً وإتيانة: جئته^(٢١٠).

ثالثاً: التفسير:

يقول الله - تعالى - مخبراً عن قول السحرة لفرعون أنه من يجيء إلى ربّه يوم القيامة مؤمناً بالله، فأولئك لهم درجات الجنة العلاء.

يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً» موحداً لا يُشرك به «فَدَعِمِلَ الصَّالِحَاتِ» يقول: قد عمل ما أمره به ربّه، وانتهى عما نهاه عنه «فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا» يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلاء^(٢١١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

أفادت القراءة الأولى «وَمَنْ يَأْتِهِ» أنّ من يأت ربّه مؤمناً وقد عمل الصالحات فهو المستحق للدرجات العليا في الجنة، وقد جعلها الله جزاء صبره على أداء الطاعات، ومجاهدة النفس حتّى لا تقع في المعاصي وهذا ما دلّت عليه الهمزة بما فيها من ثقل في النطق بها وفيما تدلّ عليه من المعاني^(٢١٢).

يقول الشوكاني - رحمه الله -: «أي ومن يأت ربّه مصداقاً به قد عمل الصالحات أي الطاعات»^(٢١٣).

(٢٠٩) مختار الصحاح ص ٥.

(٢١٠) انظر: القاموس المحيط ص ١٦٢٣، ١٦٢٤.

(٢١١) تفسير الطبري ج ١٦/ ص ٢٠٩.

(٢١٢) للاطلاع على مفهوم الهمزة وما يدل عليه النطق بها، انظر: ص ٤٦ - ٤٨.

(٢١٣) فتح القدير ص ١١٠٩.

أما القراءة الثانية ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ ففيها خُفِّتَ الهمزة وأُبدِلَتْ بألف، كما خُفِّتَ الكسرة وأُبدِلَتْ بالسكون، وفي هذا دلالة على التخفيف عن المؤمنين الذين زَلَّتْ أقدامهم وهم في طريق الإيمان فارتكبوا المعاصي، بأن الله تعالى جعل لهم في الجنة درجات دون الدرجات العلاء، وأنهم لن يُخَرَّموا الجنة بإذن الله تعالى.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وفي الآية تنبيه على حصول العفو لأصحاب الكبائر؛ لأنه تعالى جعل الدرجات العلى من الجنة لمن أتى ربه بالإيمان، والأعمال الصالحة، فسائر الدرجات التي هي غير عالية لا بد وأن تكون لغيرهم، وما هم إلا العصاة من أهل الإيمان»^(٢١٤).

أما القراءة الثالثة ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ بالكسر مع الصلة وذلك يكون بإشباع الكسرة حتَّى تصبح ياءً، فقد أفادت أن السحرة كانوا في حالة التجاء، وخوف، وخشية، جعلتهم يلتصقون بمن يحميهم، ويلتجئون إلى من ينصرهم.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز الياء، لأنه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يَلْصَقَ الإنسان بمن يحميه ويلقي بنفسه كلها عليه، ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكل أحاسيسه ومشاعره التجاء كاملاً... لذا فإنَّ إظهار الياء دلالة على كمال الالتجاء وإلقاء النفس كلها أمام خالقه^(٢١٥).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّن أنَّ السحرة وهم في كمال التجائهم إلى خالقهم واحتمائهم به؛ بسبب خشيتهم وخوفهم من فرعون، يخبرون فرعون بمآلهم عند خالقهم، حيث إنَّ من يأت ربه مؤمناً وقد عمل الصالحات فإنَّ له الدرجات العلاء في الجنة، وأما ما دونها من الدرجات فهي لمن آمن وخلط الطاعات بالمعاصي، حيث يدخله الله تعالى الجنة برحمته،

(٢١٤) تفسير الرازي ج ٢٢/ص ٩١.

(٢١٥) انظر: التعبير القرآني ص ٨٤.

لمجرّد إيمانه بالله ﷻ، والله أعلم.

١٧ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في (أَنْ أَسْرِ):

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر (أَنْ أَسْرِ) بوصل الألف ويكسرون النون من (أَنْ) للساكنين وصلاً، ويتدثون بكسر الهمزة.

٢ - وقرأ الباقون (أَنْ أَسْرِ) بقطع الهمزة مفتوحة.

القراءات في (لَا تَخَافُ):

١ - قرأ حمزة (لَا تَخَافُ) بالجزم.

٢ - وقرأ الباقون (لَا تَخَافُ) بالرفع^(٢١٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السَّرَى: سَيَّرَ الليل: يُقَالُ: سَرَى وَأَسَرَى، قال تعالى: (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ) [هود: ٨١]»^(٢١٧).

«سَرَى الرَّجُلُ يسري سُرَى، وسُرِيَّةً، وسَرِيَّةً، وسَرِيَّةً، وسَرِيَّاناً، ومسرىً: سار الليل كله، فهو سارٍ.

أَسَرَى الرجلُ إِسْرَاءً مثل سَرَى، وقيل: أَسَرَى لأول الليل، وسَرَى لآخر الليل، أسراه وأَسَرَى بِهِ: سَيَّرَهُ لَيْلاً»^(٢١٨).

الْخَوْفُ: انفعالٌ في النفس يَحْدُثُ لِتَوَقُّعِ مَا يَرْدُ مِنَ الْمَكْرُوهِ أَوْ يَفْوتُ مِنَ الْمَحْبُوبِ، وهذا يعني أَنَّهُ تَوَقُّعُ مَكْرُوهِ عَنْ أَمَارَةٍ مَظْنُونَةٍ أَوْ مَعْلُومَةٍ،

(٢١٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٩٠، ٣٢١.

(٢١٧) المفردات ص ٤٠٨.

(٢١٨) الوافي ص ٢٨٠.

ويضاد الخوف الأمن^(٢١٩).

ثالثاً: التفسير:

يوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ بأن يسير ببني إسرائيل ليلاً، فيتخذ لهم طريقاً يابساً في البحر، ولا يخاف من فرعون أن يلحق به فيمسكه، ولا يخشى الغرق في أثناء سيره في البحر.

وفي ذلك يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نَبِيِّنَا (مُوسَى) إِذْ تَابَعْنَا لَهُ الْحَجِجَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَأَبَىٰ أَنْ يَسْتَجِيبَ لأَمْرَ رَبِّهِ، وَطَعَىٰ وَتَمَادَىٰ فِي طُغْيَانِهِ، ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ لَيْلاً ﴿بِعِبَادِي﴾ يعني: بعبادي من بني إسرائيل، ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً. واليَّس واليَّس: يُجَمَع أَيَّاس، تقول: وقفوا في أيَّاس من الأرض. واليَّس المخفف: يجمع ييوس...، وأما قوله: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقاً من بين يديك ووحلاً^(٢٢٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محسن - حفظه الله -: «يقال: سَرَى وأسَرَى للسَّير ليلاً، وقيل أسَرَى لأول الليل، وسَرَى لآخره، أما سار فمختص بالنهار»^(٢٢١).

واستثناساً بما سبق تكون القراءة الأولى ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ قد ناسب الأمر من الله تعالى لموسى ﷺ بسرعة السير ببني إسرائيل^(٢٢٢) ليلاً وهذا ما تشير إليه سرعة النطق بهمزة الوصل.

(٢١٩) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٤، وانظر: المفردات ص ٣٠٣.

(٢٢٠) انظر: تفسير الطبري مج ٩ / ج ١٦ / ص ٢١٠٩.

(٢٢١) المستنير ج ٢ / ص ٣٦.

(٢٢٢) وقد شرف الله بني إسرائيل بإضافتهم إليه بقوله: بعبادي. انظر: دلالات الظاهرة الصوتية ص ٢١٠ - ٢١٢.

في حين ناسبت القراءة الثانية ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ الأمر من الله - تعالى - لموسى عليه السلام بالسير ببني إسرائيل ليلاً في أول الليل، ولا يخفى على أحد ما في ذلك من الخطورة على موسى عليه السلام وبني إسرائيل، حيث يكون احتمال أن يراهم فرعون أو ملؤه ما زال قائماً، وهذا ما تشير إليه الهمزة بثقلها.

يقول الدكتور فاضل السامرائي - حفظه الله -: «فاستعمل الهمزة لثقلها في الحالات الثقيلة النادرة»^(٢٢٣).

أما القراءة (لَا تَخَفْ) فقد أفادت النهي عن الخوف، والجزم على جواب الأمر.

قال الإمام ابن أبي مريم - رحمه الله -: «والوجه أَنَّ (لَا تَخَفْ) جزم على جواب الأمر، وهو قوله (فاضربْ)، والتقدير: فاضربْ لهم طريقاً فإنك إن تضربْ لَا تَخَفْ»^(٢٢٤).

ولقراءة التهي توجية في النحو العربي مفاده: «وهذا أولى من جعل الكلام على الخبر ورفع الفعل (يخاف)؛ ذلك لأنَّ في النهي تأكيداً على المعنى، ولا وجود لذلك التأكيد في أسلوب الخبر، فإنَّ من يعمل الصالحات توجَّب عليه عدم الخوف من وقوع الظلم عليه، أو هضم أعماله في الحياة الدنيا»^(٢٢٥).

وقد يفيد حذف الألف من الفعل (تَخَفْ) تخفيف أمر الخوف، وتهوينه على نفس موسى عليه السلام، حتى لا يبقى في نفسه شيء منه.

يقول الدكتور فاضل السامرائي في هذا المعنى: «فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر على النفس»^(٢٢٦).

(٢٢٣) بلاغة الكلمة ص ٥٧.

(٢٢٤) الموضح ج ٢/ص ٨٤٦.

(٢٢٥) ما انفرد به كل من القراء السبعة ص ٥٣.

(٢٢٦) التعبير القرآني ص ٧٧.

وقد أفادت القراءة (لَا تَخَافُ) أَنَّ موسى ﷺ وهو يَضْرِبُ لهم طريقاً يَبْساً في البحر، حاله غير خائفٍ من فرعون، ولا خاشٍ من الغرق.

قال الإمام ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «والوجه أنه فعلٌ مضارع وقع موقعَ الحالِ من الفاعلِ والتقدير: اضربْ لهم طريقاً غَيْرَ خَائِفٍ ولا خَاشٍ، ويجوز أن يكونَ على القَطْعِ ممَّا قبله، والتقدير: أنت لا تخافُ دركاً مَمَّنْ خلفك ولا تخشى غرقاً من بين يديك» (٢٢٧).

وبالجمع بين القراءات الأربع يتضح أَنَّ الله - تعالى - يأمرُ موسى ﷺ بالإسراع بالسير بيني إسرائيل الذين شرفهم بعبوديتهم له - سبحانه - في أول الليل في مُتَسِّعٍ من الوقت مع الحذرِ والحِيطَةِ حتى لا يراهم أحدٌ من الأعداء، ويأمره الله - ﷻ - أن يكونَ حاله عدم الخوفِ من فرعون أن يذركه، وعدم الخشية من الغرق في البحر، والله أعلم.

١٨ - قال تعالى: ﴿يَبْنَیْ إِسْرَءِیْلَ قَدْ أُنْجِیْتُکُمْ مِّنْ عَدُوِّکُمْ وَوَعَدْتُکُمْ جَانِبَ آلُفُورِ الْأَیْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَیْکُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَویَّ ﴿٨١﴾ کُلُوا مِن طَیِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاکُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِیْهِ فِیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبِیْ وَمَنْ یَحِلَّ عَلَیْهِ غَضَبِیْ فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٠ - ٨١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف (أُنْجِیْتُکُمْ وَوَعَدْتُکُمْ وَرَزَقْتُکُمْ) بالتاء مضمومة على لفظ الواحد من غير ألف في الثلاثة.

٢ - وقرأ الباقون (أُنْجِیْنَاکُمْ، وَوَعَدْنَاکُمْ، وَرَزَقْنَاکُمْ) بالنون مفتوحة وألف بعدها فيهنّ.

٣ - وقرأ أبو جعفر والبصريّان (وَعَدْنَاکُمْ) بحذف الألف من (وَعَدْنَاکُمْ) (٢٢٨).

(٢٢٧) الموضح ج ٢/ص ٨٤٧.

(٢٢٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نَجَّى من الهلاك وينجو نَجاةً: خَلَصَ، والاسم النَجاء بالمد وقد يقصر فهو ناج، والمرأة ناجية... ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال أنجيتَه وَنَجَّيْتُهُ (٢٢٩).

وَعَدَ: «في الخير: وَعَدَ، وفي الشر: أوعَدَ، وقالوا: أوعَدَ الخيرَ وبالشَّرِّ، والميعاد: وَقْتُهُ، موضِعُهُ، المواعِدَةُ. وتواعدوا وأتَّعدوا، أو الأولى: في الخير، والثانية: في الشر، وواعده الوقت والموضع فَوَعَدَهُ: كان أكثرَ وَعْداً منه» (٢٣٠).

رَزَقَ: «رَزَقَ الله الخلق يرزقهم، والرَّزْق بالكسر اسم المرزوق، والجمع الأرزاق مثل حمل وأحمال، وارتزق القوم أخذوا أرزاقهم فهم مُرْتَزِقَةٌ» (٢٣١).

ثالثاً: التفسير:

يذكر الله - ﷻ - لبني إسرائيل بعضاً من نعمه عليهم كالنجاة من فرعون وإنزال التوراة والمن والسلوى.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - في هذا المعنى: «اعلم أنه تعالى لما أنعم على قوم موسى ﷺ بأنواع النعم، ذكَّره إياها، ولا شك أن إزالة المضرة يجب أن تكون متقدمة على إيصال المنفعة، ولا شك أن إيصال المنفعة الدينية أعظم في كونه نعمة من إيصال المنفعة الدنيوية، فلهذا بدأ الله تعالى بقوله (أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ) وهو إشارة إلى إزالة الضرر فإنَّ فرعون كان ينزل بهم من أنواع الظلم كثيراً من القتل والإذلال، والإخراج، والإتعاب في الأعمال، ثم ثنى بذكر المنفعة الدينية وهي قوله ﴿وَوَعَدْنَاهُ جَانِبَ الطُّورِ الْآيَمَنِ﴾، وَوجه المنفعة فيه أنه أنزل في ذلك الوقت عليهم كتاباً فيه

(٢٢٩) انظر: المصباح المنير ص ٣٥٣.

(٢٣٠) القاموس المحيط ص ٤١٦.

(٢٣١) المصباح المنير ص ١٣٧.

بيان دينهم، وشرح شريعتهم، ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية، وهي قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الِّمْنَ وَالسَّلَوى (٨١) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠ - ٨١] ثم زجرهم عن العصيان بقوله ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [الأنبياء: ٢٣٢] [٨١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أُنَجِّنَاكُمْ وَوَعَدْتُكُمْ وَرَزَقْنَاكُمْ) إخبار الله تعالى عن نفسه، قال ابن خالويه: «فمن قرأه بالتاء. فالحجة له: أنه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه؛ لأنَّ التاء اسم الفاعل المنفرد بفعله» (٢٣٣).

وقد أفادت القراءة الثانية (أُنَجِّنَاكُمْ، وَوَعَدْنَاكُمْ، وَرَزَقْنَاكُمْ) بالنون مفتوحة وألف بعدها فيهنَّ إخبار الله تعالى عن نفسه بلفظ التعظيم.

يقول الإمام ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «والوجه أنه إخبارٌ عن النفس أيضاً على سبيل التعظيم» (٢٣٤).

ويقول الدكتور محمد سالم محيسن - حفظه الله -: «وقرأ الباقون ﴿وَعَدْنَا﴾ بألف بعد الواو، من المواعدة، فالله سبحانه وتعالى وعد موسى الوحي على الطور، وموسى وعد الله المسير لما أمره به» (٢٣٥).

ويقول ابن خالويه - رَحِمَهُ اللهُ -: «وإن كان الله هو المخبر عن نفسه، إلا أنَّ الملك والرأس، والرئيس، والعالم يخبرون عن أنفسهم بلفظ الجماعة، والله تعالى ملك الأملاك. ألا ترى أنَّ العبدَ لما سأل ربه فقال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] ولم يقل ربُّ ارجعني» (٢٣٦).

أما القراءة الثالثة ﴿وَعَدْنَاكُمْ﴾ بحذف الألف من ﴿وَوَعَدْنَاكُمْ﴾ فإنها قد

(٢٣٢) تفسير الرازي ج ٢٢/ص ٩٥.

(٢٣٣) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٥، وانظر: إعراب القراءات السبع ج ٢/ص ٤٧.

(٢٣٤) الموضح ج ٢/ص ٨٤٧، وانظر: المغني لمحيسن ج ٢/ص ٢٩.

(٢٣٥) القراءات وأثرها في علوم العربية ج ١/ص ٥٦٠.

(٢٣٦) إعراب القراءات السبع ج ٢/ص ٤٧.

أفادت أنَّ الوعد كان من الله تعالى لموسى عليه السلام. وأنه تعالى وحده المنفرد بالوعد والوعد.

يقول الإمام مكي بن أبي طالب - رحمه الله -: وعلة من قرأ بغير ألف إجماعهم على قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ...﴾ [طه: ٨٦]، ولم يقل ﴿يواعدكم﴾، فالوعد من الله - عز وجل - وعده لموسى عليه السلام. وأيضاً فإنَّ المفاعلة أكثر ما تكون من اثنين بين البشر، والوعد من الله وحده كان لموسى، فهو منفرد بالوعد والوعد، وعلى ذلك جاء القرآن، قال تعالى ذكره: ﴿وَعَدَكُمْ...﴾ [إبراهيم: ٢٢]، و﴿إِذْ يَعِدُكُمْ...﴾ [الأنفال: ٧]، و﴿النَّارُ وَعَدَهَا...﴾ [الحج: ٧٢] و﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ...﴾ [طه: ٨٦]. وأيضاً فإنَّ ظاهر اللفظ فيه وعد من الله لموسى عليه السلام، فوجب حملُه على الواحد بظاهر النص، لأنَّ الفعل مضاف إلى الله وحده، ... قال أبو حاتم^(٢٣٧): قراءة العامة عندنا ﴿وعدنا﴾ بغير ألف. وقال: إنَّ المواعدة أكثر ما تكون بين المخلوقين والمتكافئين، كلُّ يَعِدُ صاحبه^(٢٣٨).

ويقول الدكتور فضل حسن عباس^(٢٣٩) - حفظه الله -: «قراءة الجمهور فيها معنى المفاعلة، فالمواعدة تكون بين اثنين، فهناك وعدٌ من الله لموسى بإعطائه التوراة ووعدٌ من موسى بالتنفيذ والالتزام والحضور، أما قراءة أبي عمرو فإنها تدل على أنَّ الوعد كان من الله - تبارك وتعالى - لموسى عليه السلام، فهو من جهة واحد، فإذا كانت قراءة الجمهور دالة على ما كان يطمح إليه كليم الله - تبارك وتعالى - من فرحة اللقاء، ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها

(٢٣٧) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو حاتم الحنظلي الرازي، أحد أئمة الحفاظ الأئبات، العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل، وهو قرين أبي زرعة - رحمهما الله - كانت وفاته في شعبان من سنة ٢٧٧هـ. انظر: البداية والنهاية ج ١١/ص ٥٩.

(٢٣٨) انظر: الكشف ج ١/ص ٢٣٩.

(٢٣٩) هو فضل حسن عباس، نال الدكتوراه من جامعة الأزهر بمصر سنة ١٩٧٣م، وهو أستاذ مساعد في قسم أصول الدين بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، أشرف على العديد من الرسائل العلمية لأساتذة مرموقين أمثال الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الجمل، وله أبحاث في القراءات القرآنية، وفي بلاغة القرآن وإعجازه.

من قبل وهو عائد من مدين حينما خوطب: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ...﴾ [طه: ١٢] وحين سُئِلَ: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْسِكُ﴾ [طه: ١٧] فأطال القول: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَمُّ بِهَا عَلَىٰ غَنِيِّ وَلِيِّ فِيهَا مِثْرَتٌ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، أقول إذا كانت قراءة الجمهور دالةً على ذلك كله فإنَّ قراءة أبي عمرو تدلُّ على أنَّ الوعدَ كان فيه إكرامٌ وتكليفٌ لموسى عليه السلام ﴿٢٤٠﴾.

بالجمع بين القراءات يتبين أنَّ الله تعالى بعظمته وجلاله هو وحده الذي أنجى بني إسرائيل، وهو وحده الذي وعد موسى جانب الطور، وكان من موسى عليه السلام قبول الوعد والتَّحرِّي لإنجازه، وقد وَعَدَ رَبُّهُ المَسيرَ لما أمره به، كذلك فالله وحده بعظمته هو الرزاق سبحانه وتعالى، والله أعلم.

١٩ - قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ الكسائي (فَيَحِلُّ) بضم الحاء، و(يَحِلُّ) بضم اللام.
- ٢ - قرأ الباقون (فَيَحِلُّ) بكسر الحاء، و(يَحِلُّ) بكسر اللام (٢٤١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حل: «أصل الحَلُّ: حَلَّ العقدة ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

وحللتُ: نزلت، أصله من حَلَّ الأحمال عند النزول، ثم جُرِّدَ استعماله للنزول، فقليل: حَلَّ حلولاً، وأحلَّه غيره» (٢٤٢).

(٢٤٠) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٣.

(٢٤١) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢١.

(٢٤٢) المفردات ص ٢٥١.

«حَلَّ العذاب يَحِلُّ بالكسر (حَلَّلاً) أي وَجِبَ، وَيَحِلُّ بالضم (حُلُولاً) أي نَزَلَ» (٢٤٣).

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله تعالى بني إسرائيل بأكل ما أُجِلَّ لهم، ويحذرهم من الطغيان فيه. فيقول تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ «أي: كلوا من هذا الرزق الذي رزقناكم، ولا تطغوا في رزقي، فتأخذوه من غير حاجة، وتخالقوا ما أمرتكم به؛ ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾، أي: أغضب عليكم، ﴿وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ أي: فقد شقي» (٢٤٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فَيَحِلُّ) بضم الحاء، و(يَحِلُّ) بضم اللام نزول العذاب وحلوله ووقوعه.

وفي ذلك يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: ﴿فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ﴾ ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه: فيقع وينزل عليكم غضبي» (٢٤٥).

في حين أنَّ القراءة الثانية (فَيَحِلُّ) بكسر الحاء، و(يَحِلُّ) بكسر اللام قد أفادت وجوب العذاب.

وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الجمهور ﴿فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ﴾ - بكسر الحاء -، وقرأوا ﴿وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ بكسر اللام الأولى على أنهما فعلا حَلَّ الدَّيْنِ إذا آن أجل أدائه» (٢٤٦).

(٢٤٣) مختار الصحاح ص ١٥١، وانظر: معاني القرآن للأخفش ج ٢/ص ٦٣٠، والنجواهر الحسان ج ٢/ص ٣٥٥.

(٢٤٤) مختصر ابن كثير ج ٢/ص ٤٨٩.

(٢٤٥) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٦/ص ٢١٢.

(٢٤٦) التحرير والتنوير ج ٤/ص ٢٧٥.

ويقول الماوردي - رَحِمَهُ اللهُ -: «(فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) قُرِئَ بضم الحاء وبكسرهما ومعناه بالضم ينزل، وبالكسر يجب» (٢٤٧).

كما يقول ابن خالويه - رَحِمَهُ اللهُ -: «والعرب تفرق بين الضم والكسر. حَلَّ يَحُلُّ: نزل ووقع، وحَلَّ يَحِلُّ: وَجَبَ عليه العَذَابُ، والأمر بينهما قَرِيبٌ» (٢٤٨).

وقال الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، وقد حذر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم إن هم عصوه، وخوفهم وجوبه لهم، فسواء أقرئ ذلك بالوقوع أم بالوجوب، لأنهم كانوا قد خَوْفُوا المعنيين كليهما... يقول تعالى ذكره ومن يجب عليه غضبي، فينزل به. فقد هوى، يقول فقد تَرَدَّى فشقي» (٢٤٩).

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى يحذر من يخاطبهم في هذه الآية إن خالفوا ما أمرهم به بأنه يجب عليهم غضب الله - عَزَّوَجَلَّ - فينزل بهم، والله أعلم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٨٤) [طه: ٨٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ رويس ﴿إِثْرِي﴾ بكسر الهمزة وإسكان الشاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَثْرِي﴾ بفتحهما (٢٥٠).

(٢٤٧) تفسير الماوردي ج ٣/ص ٤١٦.

(٢٤٨) إعراب القراءات السبع ج ٢/ص ٤٨.

(٢٤٩) تفسير الطبري مج ٩ / ج ١٦/ص ٢١٢. وانظر: الحجة للقراء السبعة ج ٥/ ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢٥٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أثرُ الشيء: حصول ما يدلُّ على وجوده، يقال: أثر وإثرٌ والجمع الآثار، ومن هذا يُقال للطريق المُستَدَلُّ به على ما تقدَّم: آثار، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ (٢٥١).

قال ابن منظور: «أثر: الأثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور. وخرجت في إثره وفي أثره: أي بعده» (٢٥٢).

ثالثاً: التفسير:

يجيب موسى ﷺ ربُّه حين سأله عن قومه، بأنهم قريبون منه، وهم يأتون بعده، وقد سبقهم في القدوم إلى ربِّه؛ لينال رضاه ﷻ.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «المعنى: لما ذهب نبي الله موسى إلى مناجاة ربه، وكان معه النقباء، تعجَّل نبي الله موسى ﷺ، وأسرع في المشي حتَّى سبق النقباء، وهذا الأمر وإن كان في ظاهره البراءة، إلا أنَّ الله تعالى أراد أن يلفت نظر سيدنا موسى ﷺ بأنَّ مثل هذه الأمور لا ينبغي أن تحدث بين أفراد الجماعة الواحدة؛ لأنَّها قد تُحدث بينهم التفرقة والبغضاء» (٢٥٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذكر المفسرون أنَّ القراءتين (عَلَى أَثَرِي) و(عَلَى إِثَرِي) هما لغتان، بمعنى بعدي، وفي ذلك المعنى يقول الدكتور محمد سالم محيسن:

«وقرأ رويس (عَلَى إِثَرِي) بكسر الهمزة وسكون الشاء، والباقون بفتحهما وهما لغتان. بمعنى بعدي، يقال جاء على أثره وعلى إثره بمعنى جاء بعده. ولم يتخلَّف عنه طويلاً» (٢٥٤).

(٢٥١) انظر: المفردات ص ٣٦.

(٢٥٢) لسان العرب ج ٤/ص ٦.

(٢٥٣) المستنير ج ٢/ص ٤٠.

(٢٥٤) انظر: المستنير ج ٢/ص ٤٠، وفتح القدير ص ١١١٢.

وهكذا تفيد القراءتان معنى واحداً وهو أن قوم موسى عليه السلام قريبون منه وهم يأتون بعده ويتبعونه وليس بينهم وبينه إلا مسافة قصيرة^(٢٥٥)، والله أعلم.

٢١ - قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في (بِمَلَكِنَا):

١ - قرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر] وعاصم (بِمَلَكِنَا) بفتح الميم.

٢ - وقرأ حمزة والكسائي وخلف (بِمَلَكِنَا) بضمها.

٣ - وقرأ الباقون (بِمَلَكِنَا) بكسرها^(٢٥٦).

القراءات في (حُمَلْنَا أَوْزَارًا):

١ - وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، وروح (حُمَلْنَا أَوْزَارًا) بفتح الحاء والميم مخففة.

٢ - وقرأ الباقون (حُمَلْنَا أَوْزَارًا) بضم الحاء وكسر الميم مشددة^(٢٥٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المَلِكُ: هو التَّصَرُّفُ بالأمر والنَّهي في الجمهور، وذلك يَخْتَصُّ بسياسة الناطقين، ولهذا يُقال مَلِكُ الناس، ولا يقال: مَلِكُ الأشياء... والمَلِكُ ضربان: مَلِكٌ هو التملك والتَّوَلَّى، ومَلِكٌ هو القُوَّةُ على ذلك، تَوَلَّى أو لم يَتَوَلَّ، فمن الأول قوله: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤] ومن الثاني قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٥٥].

(٢٥٥) انظر: المبصر ج ٦/ص ١٧٧.

(٢٥٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٢٥٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢١ - ٣٢٢.

٢٠] فجعل الثبوتَ مخصوصةً والمُلْكَ عاماً، فإنَّ معنى المُلْكِ ههنا هو القوة التي بها يترشَّح للسياسة، لا أنه جعلهم كُلُّهم مُتَوَلِّينَ للأمر... المَلِكُ اسمٌ لكلِّ من يَمْلِكُ السياسة؛ إمَّا في نفسه وذلك بالتمكين من زمام قُوَّاه وصرَفِها عن هواها؛ وإمَّا في غيره، سواءً أتولَّى ذلك، أم لم يتولَّ على ما تقدَّم (٢٥٨).

حَمَلٌ: الحَمْلُ ما يُحْمَلُ على الظَّهر. ويُقرأ (حُمَلْنَا) بالتشديد على ما لم يُسمِّ فاعله؛ أي حَمَلْنَا قَوْمَنَا (٢٥٩).

ثانياً: التفسير:

لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ تعالى موسى ﷺ بما فعله قومه من بعده رجع إليهم غضبانَ أسفاً يستنكرُ عليهم ما فعلوه، فأجابوه بأنهم ما أخلفوا موعدة بأمرهم، وقُدِّرَتِهم، وسُلْطَانِهم، وإنَّما كانوا مُكْرَهِينَ، حيثُ كانوا يحملون حُلِيِّ الْقَبِطِ، فأَوْهَمَهُمُ السَّامِرِيُّ أَنَّ موسى ﷺ أخلف موعدهم بسببِ هذه الحُلِيِّ، وأمرهم أَنْ يَتَخَلَّصُوا منها بإلقائها في حفرة فيها نار، فألقى السَّامِرِيُّ، وفعلَ القَوْمُ مثْلَما فعلَ السَّامِرِيُّ.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري - رَحِمَهُ اللهُ -: «قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ» أي ما أخلفنا وعدنا إِيَّاكَ ﴿بِمَلِكِنَا﴾ أي بإرادتنا واختيارنا بأن مَلِكُنَا أمورنا، يعنون أَنَا لو خُلِينَا وأمورنا ولم يُسَوَّلْ لَنَا السَّامِرِيُّ ما سَوَّلَهُ لَمَّا أَخْلَفْنَاهُ، فقد كُنَّا مُكْرَهِينَ، والمرءُ إِذَا وَقَعَ في فِتْنَةٍ لم يَمْلِكِ نَفْسَهُ ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا﴾ اغْتِذَارَ عَمَّا فَعَلُوا بَيَّانَ مَنَشَأِ الْخَطَا ﴿أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي حُمَلْنَا أَحْمَالاً مِنْ حُلِيِّ الْقَبِطِ، التي اسْتَعَزَّناها منهم، حينَ هَمَمْنَا بالخروج من مصر، وقيلَ كانوا استعاروها لِعَبِيدِ كانَ لَهُم، ثُمَّ لم يَرُدُّوها عِنْدَ الخروج، ولعلَّ تسميتهم لها أَوْزَاراً، لِأَنَّهَا آثَامٌ وَتَبِيعَاتٌ، لِأَنَّهُمْ كانوا في حُكْمِ الْمُسْتَأْمَنِينَ، وليسَ لِلْمُسْتَأْمَنِ أَنْ يَأْخُذَ مَالَ الْحَرْبِيِّ، على أَنَّ الْغَنَائِمَ لم

(٢٥٨) انظر: المفردات ص ٧٧٤ - ٧٧٥.

(٢٥٩) انظر: مختار الصحاح ص ١٦٧. والبيان ج ٢/ص ١٩١.

تَكُنْ تَحِلُّ حَيْثُذُ ﴿فَقَدْفَنَاهَا﴾ أَي فِي النَّارِ رَجَاءٌ لِلْخَلَاصِ مِنْ ذَنْبِهَا ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أَي مَا كَانَ مِنْهَا مَعَهُ، رُوِيَ أَنَّهُمْ لَمَّا حَسِبُوا أَنَّ الْعِدَّةَ قَدْ كَمَلَتْ، قَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: إِنَّمَا أَخْلَفَ مُوسَى مِيعَادَكُمْ لِمَا مَعَكُمْ مِنْ حُلِيِّ الْقَوْمِ، وَهُوَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، فَالرَّأْيُ أَنَّ نَحْفَرَ حُفْرَةً، وَنَسْجُرَ فِيهَا نَارًا، وَنَقْذِفَ كُلَّ مَا مَعَنَا فِيهَا فَفَعَلُوا» (٢٦٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (بِمُلْكِنَا) بفتح الميم أنهم ما أخلفوا موعد موسى ﷺ بِمُلْكِهِمُ الصَّوَابَ لَكِنْ بِالْخَطَا.

يقول ابن عطية - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَأَمَّا فَتَحَ الْمِيمِ فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ مَلَكٌ، وَالْمَعْنَى: مَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بَأْتًا مَلَكْنَا الصَّوَابَ، وَلَا وَفَّقْنَا لَهُ بَلْ غَلَبَتْنا أَنْفُسُنَا» (٢٦١).

فِي حِينَ أَفَادَتِ الْقِرَاءَةُ الثَّانِيَّةُ (بِمُلْكِنَا) بِضَمِّ الْمِيمِ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ فِي إِخْلَافِهِمْ مَوْعِدَ مُوسَى ﷺ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُلْكٌ وَسُلْطَانٌ فِي ذَلِكَ.

يقول ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَالْمَعْنَى فِي الضَّمِّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مُلْكٌ فَتَخَلَّفَ مَوْعِدُكَ لِمَكَانِ مُلْكِنَا، بَلْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ» (٢٦٢).

أَمَّا الْقِرَاءَةُ الثَّالِثَةُ (بِمُلْكِنَا) بِكسْرِ الْمِيمِ فَقَدْ أَفَادَتِ أَنََّّهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ، وَمَا أَخْلَفُوا مَوْعِدَهُ بِمَا مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ.

يقول ابن زنجلة: «(بِمُلْكِنَا) بِكسْرِ الْمِيمِ، أَي مَا أَخْلَفْنَا بِقُوَّتِنَا، أَي بِمَا مَلَكَاهُ» (٢٦٣).

(٢٦٠) المقتطف ج ٣/ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٢٦١) المحرر الوجيز ج ٤/ص ٥٩. وانظر: الجواهر المصنوع ص ١٣٨.

(٢٦٢) الموضح ج ٢/ص ٤٨٩. وانظر: الحجة للقراء السبعة ج ٥/ص ٢٤٤.

(٢٦٣) حجة القراءات ص ٤٦١، وانظر: المعنى اللغوي لهذا الموضع، والملخص ص ٢٧٥.

كما أفادت القراءة (حَمَلْنَا أَوْزَارًا) بالتخفيف أَنَّ القوم حَمَلُوا ما كان معهم من الحلي يارادتهم.

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: «وحجة من فَتَح الحاء وَخَفَّفَ أَنَّهُ أَضَافَ الحَمْلَ إِلَى الْمُخْبِرِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ هُمْ حَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا صَاغُوا مِنْهُ الْعَجَلَ. قَوَّى ذَلِكَ أَنَّ الْفِعْلَ بَعْدَهُ مُضَافٌ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: (فَقَدَفْنَاهَا)» (٢٦٤).

أما القراءة (حُمَلْنَا أَوْزَارًا) فقد أفادت أَنَّ القوم أَمَرُوا بِحَمْلِ الحلي وَحَمَلَهُمْ غَيْرَهُمْ عَلَى حَمْلِهَا.

يقول ابن خالويه - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَالْحُجَّةُ لِمَنْ شَدَّدَ: أَنَّهُ جَعَلَ الْفِعْلَ لِمَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ، وَذَلَّ عَلَيْهِ بِضَمٍّ أَوَّلُهُ وَكَانَ أَصْلُهُ وَلَكِنَّا حَمَلْنَا السَّامِرِيَّ» (٢٦٥).

بالجمع بين القراءات الخمس يتبين العذر الذي ذكره قوم موسى ﷺ له حيث إِنَّ القوم قالوا لموسى ﷺ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلِِفُوا مَوْعِدَهُ بِقَوَّتِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ، وَإِنَّمَا بِمَا سَوَّلَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ حِينَ أَمَرُوا بِحَمْلِ أَوْزَارٍ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ، فَحَمَلُوهَا، فَلَمَّا صَارَتْ عَجَلًا لَهُ خُورَ عَبْدَهُ غَالِبِيَّتَهُمْ، وَقَدْ أَجْبَرُوا عَلَى ذَلِكَ وَاضْطُرُّوا لَهُ؛ لِأَنَّهُمْ وَقَعُوا فِي الْخَطَا، أَمَّا هَارُونَ ﷺ وَالبقية القليلة التي لَمْ تَغْبُدِ الْعَجَلَ فَقَدْ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ.

٢٢ - قال تعالى: ﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصِيَّتَ أَمْرِي﴾ ﴿٩٣﴾ [طه: ٩٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو عمرو (تَتَّبِعُنِي) بإثبات ياء المتكلم ساكنة وصلًا.

٢ - وقرأ ابن كثير ويعقوب (تَتَّبِعُنِي) بإثبات ياء المتكلم ساكنة وصلًا ووقفًا.

(٢٦٤) الكشف ج ٢/ص ١٠٥.

(٢٦٥) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٧.

٣ - وقرأ أبو جعفر (تَتَّبِعْنِي) بإثبات ياء المُتَكَلِّم ساكنة وقفاً، و(تَتَّبِعْنِي) مفتوحة وصلًا.

٤ - وقرأ الباقون (تَتَّبِعْنِي) بحذف ياء المتكلم وصلًا ووقفًا^(٢٦٦).

ثانيًا: المعنى اللغوي للقراءات:

«تَبَعَ: تَبَعَ الشَّيْءَ تَبْعًا وَتَبَاعًا فِي الْأَفْعَالِ، وَتَبِعْتُ الشَّيْءَ تَبُوعًا: سِرْتُ فِي إِثْرِهِ. وَاتَّبَعَهُ وَاتَّبَعَهُ وَتَتَّبَعَهُ: قَفَاهُ وَتَطَلَّبَهُ مُتَّبِعًا لَهُ، وَكَذَلِكَ تَتَّبَعْتَهُ تَتَّبُعًا»^(٢٦٧).

ثالثًا: التفسير:

يسأل موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام وهو في حالة من الحزن والغضب؛ بسبب عبادة قومه العجل قائلًا له: ما الذي منعك من مُقاتلة الذين كفروا بالله غضبًا له، هل عصيت أمري فتهأونت في الدين، وفي القيام بمصالحهم؟

يقول الشيخ مصطفى الحصن المنصوري - رحمه الله -: «أَلَا تَتَّبِعُنِي» أي أي شيء منعك، حين رأيت ضلالهم، من أن تَتَّبِعْنِي، في الغضب لله تعالى، ومُقاتلة من كفر به؟ «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي»؟ بالصلابة في الدين، وبالقيام لمصالحهم»^(٢٦٨).

رابعًا: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَتَّبِعْنِي) بإثبات ياء المُتَكَلِّم ساكنة أن موسى عليه السلام أراد من أخيه هارون أن يذكر له تفاصيل ما حدث منه، وسبب عدم اتباعه في الغضب لله تعالى ومُقاتلة الكفار عبدة العجل.

في حين أفادت قراءة (تَتَّبِعْنِي) بفتح ياء المتكلم أن موسى عليه السلام

(٢٦٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٣.

(٢٦٧) انظر: لسان العرب ج ٨/ص ٣٢.

(٢٦٨) المقطف ج ٣/ص ٣٥٧.

يستنكرُ على أخيه هارون عليه السلام عدم الإسراع في الغضبِ لله تعالى، ومقاتلة الذين كفروا باتباعهم العجل، وذلك أنَّ الحركة القصيرة فوق الياء تفيد السرعة لأنها أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الحركة الطويلة، والتي هي هنا الياء الساكنة المدية.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي: «لا شك أنَّ الحركة القصيرة أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الطويلة» (٢٦٩).

أما قراءة (تَتَّبَعْنَ) بحذف الياء والاجتزاء بالكسرة عنها فإنها تفيد الاجتزاء في الكلام، وذلك أنَّ موسى عليه السلام كان في حالةٍ تتطلب ذلك حيثُ إنه كان غضباناً أسفاً، فكان يريد أن يعلم بأقلِّ القول وبأسرعه، وبأسرع وقتٍ ما حدث وسببه، فلمَ لمَّا عبدوا العجل لم يقاتلهم هارون، وبقي مُنتظراً عودته هو؟

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أن نذكر أصلاً عاماً في ذكر الياء وحذفها وهو: أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلفُ عن ذكر الياء في كلِّ ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كلِّ ذلك خطُّ عامٌ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطالة، وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاء بالكسرة، فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام» (٢٧٠).

بالجمع بين القراءات يتبين أنَّ موسى عليه السلام أراد أن يعلم من أخيه هارون سبب عدم اتباعه له في الغضبِ لله تعالى، ومقاتلة الذين عبدوا العجل، وقد أراد معرفة ذلك بالتفصيل وبأسرع وقتٍ وبأقلِّ الكلام، والله أعلم.

٢٣ - قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ يَلْحَقِي وَلَا يَرَأِيَّ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

(٢٦٩) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٩.

(٢٧٠) التعبير القرآني ص ٨٠.

أولاً: القراءات:

القراءات في (يَنُومُ):

١ - قرأ ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف (يَبْنُوْمْ) بكسر الميم.

٢ - وقرأ الباقون (يَبْنُوْهُمْ) بفتح الميم (٢٧١).

القراءات في (برأسي إني):

١ - وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر (بِرَأْسِيْ إِنِّي) بفتح الياء مع إبدال الهمز لأبي جعفر والسوسي.

٢ - وقرأ الباقون (برأسي - إني) بالمد^(٢٧٢).

ثانياً: التفسير :

حين رجع موسى ﷺ إلى قومه غضبان أسفاً لأجل عبادتهم العجل، أخذ برأس أخيه ولحيته يجره إليه، فأخذ هارون ﷺ يستعطف قلب أخيه موسى ويذكر له العذر الذي جعله لا يقاتل السامري ويذره بالقوة.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ﴾ خَصَّ
الإضافة بالأَم، استعطافاً وترقيقاً لِقَلْبِهِ، أَي يا أَخِي ويا بن أُمِّي ﴿لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أَي ولا بشعر رأسي، وكان موسى ﷺ شديداً، مُتَصَلِّباً
في كُلِّ شَيْءٍ، فلم يَتَمَالَكْ حين رَأَهم يعبدون العجل ففَعَلَ ما فَعَلَ ﴿إِنِّي
خَشِيتُ﴾ أَي إِنِّي خِفْتُ إِنْ زَجَرْتَهُم بِالقُوَّةِ، أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ بَيْنَهُمْ، فيسْفِكُوا
الدَّمَاءَ وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وكما خَشِيتُ لو قَاتَلْتُ بَعْضَهُمْ بَعْضٌ،
وَتَفَرَّقُوا، ﴿أَنْ نَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أَي: أَشْعَلْتَ الْفِتْنَةَ بَيْنَهُمْ، وَأَرَادَ
ﷺ بالتفريق، ما يَسْتَتْبِعُهُ الْقِتَالُ مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ صُفُوفِ بَنِي إِسْرَءِيلَ،

(٢٧١) انظر: النشر ج ٢/ ص ٢٧٢، في هامش القرآن الكريم ص ٣١٨، وفريدة الدهر ج ٢/ ص ٦٩٩.

(٢٧٢) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢٣.

وتمزيق وخذيتهم، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أي: وتقول: لم تنتظر أمري فيهم، يعني إني رأيت أن الإصلاح في حفظ الدماء، والمدارة معهم، إلى أن ترجع إليهم، لتكون أنت المتدارك للأمر، لا سيما وقد كانوا في القوة، ونحن على القلة، كما يُعربُ عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوا وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] وفيه دليل على جواز الاجتهاد، فلما فرغ من مخاطبة هارون عليه السلام، وعرف العذر أقبل على السامري (٢٧٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (يَبْنُوْم) أن هارون عليه السلام خص الإضافة بالأم استعطافاً وترقيقاً لقلب موسى عليه السلام والمعنى: يابن أمي، وقد حذفت ياء المتكلم اجتزاءً بالكسرة منها.

يقول ابن خالويه: «فالحجة لمن كسر: أنه أراد: يابن أمي، فحذفت الياء اجتزاءً بالكسرة منها، والوجه إثباتها، لأن هذه الياء إنما تُحذف في النداء المضاف إليك، إذا قلت: يا غلامي، لأنها وقعت موقع التنوين، والتنوين لا يُثبت في النداء، فأما الياء هنا فالتنوين ثبت في موضعها إذا قلت: يا بن أم زيد، وإنما حذفت الياء لما كثر به الكلام، فصار المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد، فحذفت الياء كذلك» (٢٧٤).

في حين أفادت القراءة الثانية (يَبْنُوْم) رقةً في النداء وإشعاراً بالحنو نستشعره في الترخيم (٢٧٥) بما يوحى بالاستعطاف، كما أن اختيار الفتحة وهي أخف الحركات، يوحى بخفة النطق (٢٧٦) والسرعة في طلبه من أخيه

(٢٧٣) المقتطف ج ٣/ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٢٧٤) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢٧٥) الترخيم هو: حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً، وهو لا يكون إلا في النداء إلا أن يضطر شاعر، وإنما كان ذلك في النداء لكثرة في كلامهم فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين وكما حذفوا الياء من قومي [ونحوه] في النداء. انظر: كتاب سيبويه ج ٢/ص ٢٣٩.

(٢٧٦) انظر: شرح التصريح ج ١/ص ٥٨.

عدم الأخذ بلحيته ولا برأسه.

يقول ابن خالويه - رحمته الله -: «ومن فَتَحَ فله ثلاث حجج:

إحدها: أن يكون أراد: يا بن أُمّاه فَرَحَمَ.

والثانية: أن يكون جَعَلَ الاسمين اسماً واحداً نحو: بعل بك، ومعد يكرب، وجاري بيت بيت.

والثالثة: أن يكون أراد يا بن أُمّاه؛ لأنّ العرب تقول: يا أُمّا بمعنى يا أُمّي، ويا ربّاً بمعنى يا رَبّي» (٢٧٧).

وقد ناسبت القراءة (بِرَأْسِي إِنْني) السرعة من هارون في ذكر العُذر لموسى وذلك يَتَضَحُّ لنا في السرعة في الكلام، وهو ما يوحي به اختيار الفتحة وهي أخفُّ الحركات - كما بيّنت سابقاً - للاجتزاء بها عن الياء وهي الكسرة الطويلة التي تستغرق وقتاً أطول كما هو معلوم.

أما القراءة (بِرَأْسِي - إِنْني) فقد أفادت التجاء هارون لموسى لينصّره ويأخذ بيده.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «وذلك أن المقام يستدعي إبراز ياء المتكلّم، لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يُلصَق الإنسان بمن يحميه ويُلقي بنفسه كلّها عليه، ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصّره ويأخذ بيده بكلّ أحاسيسه ومشاعره التجاء كاملاً» (٢٧٨).

بالجمع بين القراءات الأربع يظهر التجاء هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام لطلب النصرة منه، واستعطافه له حتى لا يُشِمَّت به الأعداء، ويفعل ذلك كلّهُ بالإضافة إلى اعتذاره لموسى وتوضيح موقفه وسبب إخلافه مواعده في أقصر وقتٍ يُمكنه فعل ذلك فيه، والله أعلم.

٢٤ - قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ

(٢٧٧) إعراب القراءات السبع ج ٢/ص ٥١ وانظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٧.

(٢٧٨) التعبير القرآني ص ٨٤.

أَشْرَ الرُّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ [طه: ٩٦].

أولاً: القراءات:

القراءات في (يُبْصِرُوا بِهِ):

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (تُبْصِرُوا بِهِ) بالخطاب.

٢ - وقرأ الباقون (يُبْصِرُوا بِهِ) بالغيب.

القراءات في (فَنَبَذْتُهَا):

١ - قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام بخلف عنه (فَنَبَذْتُهَا) بإدغام الذال في التاء.

٢ - وقرأ الباقون (فَنَبَذْتُهَا) بالإظهار، وهو الوجه الثاني لهشام^(٢٧٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الْبَصَرُ، مُحَرَّكَةً: حِسُّ الْعَيْنِ... وَأَبْصَرُهُ وَتَبَصَّرُهُ: نَظَرَ هَلْ يُبْصِرُهُ^(٢٨٠).

الْبَصَرُ يُقَالُ لِلجَارِحَةِ النَّاطِرَةِ... وَجَمْعُ الْبَصَرِ أَبْصَارٌ، وَجَمْعُ الْبَصِيرَةِ: بَصَائِرٌ، وَلَا يَكَادُ يُقَالُ لِلجَارِحَةِ بَصِيرَةٌ، وَيُقَالُ مِنَ الْأَوَّلِ: أَبْصَرْتُ، وَمِنِ الثَّانِي: أَبْصَرْتُهُ وَأَبْصَرْتُ بِهِ، وَقَلَّمَا يُقَالُ بَصَرْتُ فِي الْحَاسَةِ إِذَا لَمْ تُضَامَهُ رُؤْيَةُ الْقَلْبِ^(٢٨١).

ثالثاً: التفسير:

يُجِيبُ السَّامِرِيُّ^(٢٨٢) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَأَلَهُ عَمَّا دَفَعَهُ لَاتِّخَاذِ الْعَجَلِ

(٢٧٩) انظر: النشر ج ٢/ص ١٦، ٣٢٢.

(٢٨٠) انظر: القاموس المحيط ص ٤٤٨.

(٢٨١) انظر: معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٤.

(٢٨٢) «السامري لم يكن من بني إسرائيل أصلاً، وبما أنه كان في مصر جاز أن يكون من قرية بمصر اسمها سامرة، ثم سكن فلسطين، ونسبت السامرة إليه وما زالت إلى اليوم ويقرنها اليهود يهودا فيقولون: (يهودا والسامرة)». تفسير سورة طه (تفسيراً موضوعياً) ص ١١٦.

آلهة فيخبره أنه رأى في نفسه رأياً لم يروه فألقي قبضة من أثر فرس جبريل ﷺ في النار التي صهروا فيها ذهب القوم فأصبحت الحلي عجلأ له خوار.

يقول الأستاذ محمد علي الصابوني - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: «أي قال السامري: رأيت ما لم يروه وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة فَأُلْقِيَ في نفسي أن أقبض من أثره قبضة، فما أَلْقَيْتُهُ على شيء إلا دَبَّت فيه الحياة، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ أي قبضت شيئاً من أثر فرس جبريل فطرختها على العجل فكان له خوار (٢٨٣) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ أي: وكذلك حسنت وزينت لي نفسي» (٢٨٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (تَبْصُرُوا بِهِ) أن الخطاب كان من السامري لموسى ﷺ وقومه، وأنه عَلِمَ حين رأى فرس جبريل ﷺ ما لم يعلمه موسى ﷺ لذا فَعَلَ ما فَعَلَهُ.

وقد أفادت القراءة الثانية (يَبْصُرُوا بِهِ) بالغيبة أن السامري يقصد بكلامه بني إسرائيل.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «قوله ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ قرأه حمزة والكسائي بالتاء، ردّاه على الخطاب في قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾. وقرأ الباقر بالباء على الغيبة أي: بما لم يَبْصُرْ به بنو إسرائيل، والياء أولى لأنّ المُخاطَبَ وهو موسى ﷺ لم يكن حاضراً إذ قَبَضَ السامري القبضة، ولأنّ الأكثر على ذلك» (٢٨٥).

(٢٨٣) ذكر الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - هذه الرواية في تفسيره بمعناها. انظر: تفسير الطبري ج ١٦ / ص ٢١٩.

(٢٨٤) صفوة التفاسير ج ٢ / ص ٢١٢.

(٢٨٥) الكشف ج ٢ / ص ١٠٥.

كما أفادت القراءة الثالثة (فَتَبَذْتُهَا) أَنَّ السامريَّ ألقى ما قَبَضَهُ من أثر فرس جبريل ﷺ فيما ألقاه القوم من الحلي.

أما القراءة الرابعة (فَتَبَذْتُهَا) بالإدغام فإنها تفيد سرعة الإلقاء من قِبَلِ السامريِّ لما قَبَضَهُ من أثرِ فرسِ جبريل ﷺ وهذا يتضح من سرعة النطق التي تكون في الإدغام.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: عن ابن عباس قال: لَمَّا قَذَفَتْ بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسَّرت، ورأى السامري أثر فرس جبريل ﷺ فأخذ تراباً من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها، وصنع منه عَجَلاً جسداً له خُوار، فكان للبلاء والفتنة^(٢٨٦).

بالجمع بين القراءات الأربع يتضح أَنَّ السامريَّ بَيَّتْ لفعلته المشينة منذ رأى فرس جبريل ﷺ، وقد كان يعلم ببصيرته من أمرها ما لم يعلمه بنو إسرائيل، فلَمَّا رأى زينة آل فرعون تذوب في النار، قام بما كان ينوي مسبقاً فألقي سريعاً ما قَبَضَهُ من أثر فرس جبريل ﷺ في النار، فتحولت الحلي كما أرادها السامري، ابتلاء من الله - ﷻ - وفتنة لبني إسرائيل والله أعلم.

٢٥ - قال تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٩٧) [طه: ٩٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَازْهَبْ فَإِنَّ﴾:

١ - قرأ أبو عمرو، والكسائي، وكُلًّا من هشام وخلاد بخلفٍ عنهما ﴿فَازْهَبْ فَإِنَّ﴾ بإدغام الباء في الفاء.

٢ - قرأ الباقر ﴿فَازْهَبْ فَإِنَّ﴾ بالإظهار وهو الوجه الثاني لهشام وخلاد^(٢٨٧).

(٢٨٦) انظر: تفسير الطبري مج ٩ ج ١٦/ص ٢٢٤.

(٢٨٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢، ٨.

القراءات في ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾:

١ - قرأ ابن كثير والبصريان [أبو عمرو، ويعقوب] ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بكسر اللام.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بفتح اللام.

القراءات في ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾:

١ - وقرأ أبو جعفر برواية ابن وردان عنه ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بفتح النون، وإسكان الحاء، وتخفيف الراء مع ضمها.

٢ - وقرأ أبو جعفر برواية ابن جَمَاز عنه ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وإسكان الحاء وتخفيف الراء مع كسرها.

٣ - وقرأ الباقون ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وفتح الحاء وتشديد الراء وكسرها (٢٨٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حَرَقَ: «حَرَقَهُ بِالنَّارِ يَحْرِقُهُ، وَأَحْرَقَهُ وَحَرَّقَهُ: بِمَعْنَى فَاخْتَرَقَ وَتَحَرَّقَ» (٢٨٩). قال الفراء - رحمه الله -: من قرأ ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ لَنَبْرُدَّنَّهُ بالحديد برداً من حَرَقْتُهُ أَحْرَقْتُهُ حَرْقاً، قال: وقرأ عليّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ أي لَنَبْرُدَّنَّهُ، يُقَالُ: حَرَقَهُ بِالْمَخْرِقِ أَي بَرَدَهُ بِهِ؛ وَمِنْهُ الْقِرَاءَةُ ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِحْرَاقَهَا بِالنَّارِ، وَحَرَقَهُ مُكْثَرَةً عَنْ حَرَقَهُ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّجَّاجُ مِنْ أَنَّ ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بِمَعْنَى لَنَبْرُدَّنَّهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، لِأَنَّ الْجَوْهَرَ الْمَبْرُودَ لَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ، وَبِهَذَا رَدَّ عَلَيْهِ الْفَارِسِيُّ قَوْلَهُ (٢٩٠).

ثالثاً: التفسير:

لَمَّا سَمِعَ مُوسَى ﷺ قَوْلَ السَّامِرِيِّ فِيمَا عَمَلَهُ فِي فِتْنَةِ عِبَادَةِ الْعَجَلِ

(٢٨٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢.

(٢٨٩) القاموس المحيط ص ١١٢٨.

(٢٩٠) انظر: لسان العرب ج ١٠/ص ٥٤.

أمره أن يذهب بعيداً عنه، ودعا عليه بعدم مماسة أحد أو مسه، ثم برد العجل بالمبارد ونثره في اليم.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية: ﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: «أي كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس، أي لا تماس الناس ولا يمسُّونك ﴿وَإِنَّكَ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي يوم القيامة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ أي لا محيد لك عنه... وقوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ أي معبودك ﴿الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاقِبًا﴾ أي أقمت على عبادته يعني العجل ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس والسدي: استحله بالمبارد وألقاه على النار وقال قتادة: استحال العجل من الذهب لحماً ودماً، فحرقه بالنار، ثم ألقى رماده في البحر، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾» (٢٩١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فَأَذْهَبَ فَإِنَّ) بإدغام الباء في الفاء السرعة في إصدار الأمر من موسى رَحِمَهُ اللهُ لِلْسَامِرِيِّ بأن يذهب من بينهم لما في الإدغام من السرعة والخفة في النطق.

وحيث تشتد وجوه التناسب الصوتي بين حرفي الباء والفاء فإن هذه القراءة توحى بتناسب العقوبة التي أصدرها موسى رَحِمَهُ اللهُ مع الذنب الذي اقترفه السامري.

في حين أن القراءة الثانية ﴿فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ﴾ بإظهار الباء والفاء تفيد إعلان وإظهار الجرم الذي أجرمه السامري، ومن ثم كان الطرد والعزل عقوبة له على جرمه.

يقول سيد قطب - رَحِمَهُ اللهُ -: «أذهب مطروداً لا يمسُّك أحدٌ لا بسوء ولا بخير، ولا تمسُّ أحدًا، وكانت إحدى العقوبات في ديانة موسى رَحِمَهُ اللهُ

عقوبة العزل، وإعلان دنس المدنس فلا يقربه أحد ولا يقرب أحدًا» (٢٩٢).

أما القراءة الثالثة ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ فقد أفادت عدم إخلاف السامري لهذا الموعد وعدم غيابه عنه.

في حين أفادت القراءة الرابعة ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ أَنَّ الله تعالى لن يُخْلِفَ السامريّ موعدَ عذابه، وعقوبته، ولكن يذيقه إيّاه.

يقول الإمام الطبري: «وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإنَّ لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يُخْلِفَكُ الله، ولكن يُذِيقُكَه.

وقرأ ذلك الحسن وقتادة وأبو نهيك (٢٩٣) ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بضمّ التاء وكسر اللام، بمعنى: وإنَّ لك موعداً لن تُخْلِفَهُ أنت يا سامريّ، وتأولوه بمعنى: لن تَغِيْبَ عنه» (٢٩٤). أما القراءة ﴿لَنُخْرِقَنَّهُ﴾ بفتح النون وتخفيف الراء، وضمها فقد أفادت برد العجل المصنوع من الذهب بالمبرد.

في حين أَنَّ القراءة ﴿لَنُخْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وتخفيف الراء وكسرها قد أفادت إحراق العجل بالنار.

في حين أفادت القراءة ﴿لَنُخْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وكسر الراء وتشديدها المبالغة في برده أو إحراقه بالنار.

يقول ابن عطية الأندلسي - رَحِمَهُ اللهُ - في معنى القراءات الثلاث الأخيرة: وقرأت فرقة ﴿لَنُخْرِقَنَّهُ﴾ بتخفيف الراء بمعنى بالنار، وقرأ عليّ بن أبي

(٢٩٢) في ظلال القرآن ج ٤/ص ٢٣٤٩.

(٢٩٣) هو عثمان بن نهيك الأزدي الفراهيدي، أبو نهيك البصري القاري، كان يختلف إلى خراسان، من التابعين، أحاديثه في البخاري. انظر: تهذيب التهذيب ج ٧/ص ١٤٢، وتهذيب الكمال ج ١٩/ص ٥٠١.

(٢٩٤) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٦/ص ٢٢٦.

طالب، وابن عباس - رضي الله عنه - «لَتَحْرِقَنَّ» بضم الراء وفتح النون بمعنى لنبردنه بالمبرد، وقرأ نافع وغيره «لَتَحْرِقَنَّ» بضم النون وكسر الراء وشدها وهذا تضعيف مبالغة لا تعدية وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل بالمبرد» (٢٩٥).

بالجمع بين القراءات يتبين أن نبي الله موسى عليه السلام أصدر حكماً نافذاً على السامريّ بالعزل والطرْد بمجرد اعترافه بجريمته أمام قومه، كما هدّده بأن له موعداً لعقوبته يوم القيامة لن يستطيع إخلافه، ولن يخلفه الله إياه بل سينجزه، وأمّا بالنسبة للعجل الذي اتخذهُ إلهاً فيحتمل أن يكون قد برده بالمبرد، أو أحرّقه بالنار أو الأمرين معاً، ومن ثمّ ألقى بقاياها في اليم؛ مبالغةً في إتلافه والتخلّص منه، وكذلك إهانته وتحقيره بإظهار عجزه عن أن يكون إلهاً، وإمعاناً في تقريع الذين اتخذوه إلهاً بعبادتهم إيّاه من دون الله، والله أعلم.

٢٦ - قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو (يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) بالنون وفتحها وضم الفاء.

٢ - وقرأ الباقون (يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) بالياء وفتح الفاء (٢٩٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نَفَخَ: النَّفْخُ مغروف، نَفَخَ فِيهِ فَانْتَفَخَ، نَفَخَ فِيهِ نَفْخاً إِذَا أَخْرَجَ مِنَ الرِّيحِ، يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما (٢٩٧).

(٢٩٥) المحرر الوجيز ج ٤/ص ٦٢ ، وانظر، الملخص ص ٢٧٧.

(٢٩٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢.

(٢٩٧) انظر: لسان العرب ج ٣/ ص ٧٤.

ثالثاً: التفسير:

تَبَيَّنُ الْآيَةُ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ الْيَوْمَ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ، حَيْثُ يُخَشِّرُ الْمَجْرُمُونَ يَوْمَهَا إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ زُرْقَ الْعُيُونِ سَوْدَ الْوُجُوهِ ^(٢٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (نَنْفُخُ فِي الصُّورِ) أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَسْنَدَ النَّفْخَ فِي الصُّورِ لِنَفْسِهِ وَهُوَ الْأَمِيرُ بِالنَّفْخِ وَذَلِكَ لِتَعْظِيمِ الْمَأْمُورِ بِالنَّفْخِ، وَهُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يقول السمين الحلبي - رحمته الله -: «وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو (نَنْفُخُ) مَبْنِياً لِلْفَاعِلِ بَنُونَ الْعِظَمَةِ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَمِيرِ بِهِ تَعْظِيماً لِلْمَأْمُورِ وَهُوَ الْمَلَكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» ^(٢٩٩).

يقول ابن خالويه - رحمته الله -: «النَّافِخُ وَإِنْ كَانَ إِسْرَافِيلَ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ الْمُقَدِّرُ لَذَلِكَ، وَهُوَ الْأَمْرُ وَالْخَالِقُ فَيُنْسَبُ الْفِعْلُ إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وَالَّذِي يَتَوَفَّى هُوَ مَلَكُ الْمَوْتِ» ^(٣٠٠).

بينما أفادت القراءة الثانية (يَنْفُخُ فِي الصُّورِ) بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَهْمِيَّةُ ذَلِكَ الْحَدَثِ وَهُوَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ.

يقول الطبري - رحمته الله -: «وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَةً قِرَاءَةً الْأَمْصَارِ (يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ) بِالْيَاءِ وَضَمِّهَا عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، بِمَعْنَى: يَوْمَ يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ» ^(٣٠١).

(٢٩٨) صفوة التفاسير ج ٢/ص ٢١٥.

(٢٩٩) الدر المصون ج ٥/ص ٥٤.

(٣٠٠) إعراب القراءات السبع ج ٢/ص ٥٤.

(٣٠١) تفسير الطبري مج ٩ ج ١٦/ص ٢٢٩.

بالجمع بين القراءتين يتبين تعظيم الله تعالى لإسرافيل عليه السلام فهو الذي ينفخ في الصور بأمر الله تعالى وتقديره، كما يتبين تعظيم الحدث وهو النفخ في الصور يوم القيامة، والله أعلم.

٢٧ - قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عَلِمًا﴾ [طه: ١١٠].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب (أَيْدِيَهُمْ) بضم الهاء.
- ٢ - وقرأ الباقون (أَيْدِيَهُمْ) بكسر الهاء (٣٠٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(الْيَدُ) أصلها يَدِي عَلَى فَعْل ساكنة العين لَأَنَّ جَمَعَهَا (أَيْدٍ) و(يُدِي)، و(الْيَدُ) القُوَّة (٣٠٣).

ثالثاً: التفسير:

يقول الله - ﷻ - لمحمد ﷺ إِنَّهُ يَعْلَمُ أحوال الخلائق فلا تخفى عليه خافية من أمور الدنيا وأمور الآخرة، ولا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: «يقول تعالى ذكره: يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر يوم القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: ويعلم أمر ما خَلْفُوهُ وراءهم من أمر الدنيا... وقوله: ﴿وَمَا يُحِيطُونَ بِهِ. عَلِمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علماً ومعنى الكلام: أَنَّهُ مُحِيطٌ بعباده علماً، ولا يُحِيطُ عباده به علماً» (٣٠٤).

(٣٠٢) انظر: القراءات في هامش القرآن الكريم ص ٣١٩.

(٣٠٣) انظر: مختار الصحاح ص ٧٥١.

(٣٠٤) انظر: تفسير الطبري مج ٩ / ج ١٦ / ص ٢٣٥.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

استثناساً بما سبق ذكره في الفقرة رقم (١) من هذه السورة، حيث أوضحت أنَّ الضمة هي أقوى الحركات وأثقلها ثمَّ تليها الكسرة فإنَّ:

القراءة الأولى (أَيَدِيَهُمْ) تفيد ثَقُلَ هذا الموقف وهوَّه على من يعبد الملائكة الذين لا يحيطون علماً بما بين أيديهم وما خلفهم، وهذا ما نفهمه من خلال تَقْرِيعهم.

يقول نظام الدين القمي النيسابوري^(٣٠٥) - رَحِمَهُ اللهُ -: «وفيه تقرُّيع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له: أي يعلم ما كان قبل خلقهم، وما كان منهم بعد خلقهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وأنهم لا يعلمون شيئاً من ذلك، فكيف يصلحون للمعبودية»^(٣٠٦).

أما القراءة الثانية (أَيَدِيَهُمْ) فإنَّها تفيد أنَّ علوم هذه الخلائق لا تساوي شيئاً يُذكرُ بجانب معلومات الله جلَّ وعلا.

يقول ابن جني - رَحِمَهُ اللهُ -: «فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يَقلُّ بل يُعَدُّ ارتفاعه»^(٣٠٧).

ويقول الشيخ مصطفى المنصوري - رَحِمَهُ اللهُ -: «أي لا تحيط علومهم بمعلوماته جلَّ وعلا»^(٣٠٨).

بالجمع بين القراءتين تتجلى صفة من صفات الله - تعالى - وهي أنَّه الكامل في علمه، والذي يحيط علماً بجميع مخلوقاته، فهو المستحق وحده

(٣٠٥) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بلدة (قم)، ومنشأه وسكنه في نيسابور، له كتب منها غرائب القرآن، توفي بعد سنة ٨٥٠ هـ. انظر: الأعلام ج ٢ / ص ٢١٦.

(٣٠٦) غرائب القرآن ج ٣/ص ٢٢٧٧.

(٣٠٧) المحتسب ج ٢/ص ١٩.

(٣٠٨) المقتطف ج ٣/ص ٣٦٢.

للعباد، لذا فإن الذين عبدوا الملائكة الذين هم مخلوقات لله لا تحيط علومهم بمعلوماته - جلّ وعلا - شيئاً فهؤلاء يستحقون التقرّيع والعقاب من الله تعالى، والله أعلم.

٢٨ - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [طه: ١١٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير (فلا يَخَفُ) بالجزم.

٢ - وقرأ الباقر (فلا يَخَافُ) بالرفع (٣٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الْخَوْفُ: انفعال في النفس يَحْدُثُ لَتَوْعٍ ما يَرِدُ من المكروه أو يفوت من المحبوب، وهذا يعني أنه تَوْعٌ مكروه عن أَمَارَةٍ مَظْنُونَةٍ أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن» (٣١٠).

ثالثاً: التفسير:

يُبَشِّرُ الله - ﷻ - المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنهم لن يزداد في سيئاتهم ولن يُنْقَصُ من حسناتهم.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - في هذا المعنى: «لَمَّا ذَكَرَ الظَّالِمِينَ ووَعِيدَهُمْ، تُنَى بِالْمُتَّقِينَ وَحُكْمِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَلَا يُهْضَمُونَ، أَيْ لَا يَزَادُ فِي سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ» (٣١١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فلا يَخَفُ) النهي عن الخوف.

(٣٠٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢

(٣١٠) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٤، وانظر: المفردات ص ٣٠٣.

(٣١١) تفسير ابن كثير ج ٣/ص ٢٩٤.

قال الإمام ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «والوجه أنه مجزوم؛ لأنه نهى يراد به الخبر، ولكونه نهياً صار مجزوماً، وذلك لأنَّ المعنى من يعمل من الصالحات وهو مؤمن قَلِيَّامَنَ، والمراد بالكلام الإخبار، كأنه قال: من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا خَوْفَ عَلَيْهِ، فهذا من النَّهْيِ المراد به الخبر، والفاء في قوله (فلا يَخَفُ) إنما جاءت لكون ما بعدها جواباً للشرط، وهو قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ)، وموضع الفاء مع ما بعدها جزمٌ أيضاً؛ لكونها جواباً» (٣١٢).

ويقول أبو العلاء الكرمانى - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ ابن كثير (فلا يَخَفُ) عن الخوف أمرٌ بالأمن» (٣١٣).

وقد وجَّه الثُّحَاةُ قراءة ابن كثير هذه على أنَّ الفعلَ قد سُبِقَ به (لا الناهية) فجُزِمَ بها. وهذا أولى من جعل الكلام على الخبر ورفع الفعل (يخاف)، ذلك لأنَّ في النهي تأكيداً على المعنى ولا وجود لذلك التأكيد في أسلوب الخبر، فإنَّ من يعمل الصالحات توجَّبَ عليه عدم الخوف من وقوع الظلم عليه أو هضم أعماله في الحياة الدنيا (٣١٤).

وقد يفيد حذف الألف من الفعل (فلا يَخَفُ) تخفيف أمر الخوف وتهوينه على نفس المؤمن حتى لا يبقى في نفسه شيء منه.

وفي هذا المعنى يقول الدكتور فاضل السامرائى - رَحِمَهُ اللهُ -: «فخفف الفعل بالحذف إشارةً إلى تخفيف الأمر على النفس» (٣١٥).

أما القراءة الثانية (لَا يَخَافُ) فقد أفادت الإخبار عن المؤمن الذي يعمل الصالحات بأنه لا يخاف ظلماً ولا هضمًا.

(٣١٢) الموضح ج ٢/ص ٨٥٤.

(٣١٣) انظر: غرائب القرآن ج ٣/ص ٢٢٧٨.

(٣١٤) انظر: ما انفرد به كل من القراء السبعة ص ٥٣، غرائب القرآن ج ٣/ص ٢٢٧٨، ومفاتيح الأغاني ص ٢٧٨.

(٣١٥) التعبير القرآني ص ٧٧.

يقول الإمام مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الباقون بالرفع على الخبرِ أنه ليس يخافُ أن يظلمه أحد» (٣١٦).

بالجمع بين القراءتين تتبلور بشارة من الله تعالى للمؤمن الذي يعمل الصالحات في الدنيا بأن لا يخاف أن يظلم، أو يُنقص عمله، وأنه تعالى يوجب له الأمن فيأمره به، كما يؤكد عليه فينهاه عن نقيضه وهو الخوف، والله أعلم.

٢٩ - قال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب (تَقْضِي) بالنون مفتوحة، وكسر الضاد وفتح الياء نصباً على تسمية الفاعل (وَحْيُهُ) بالنصب.

٢ - قرأ الباقون (يُقْضَى) بالياء مضمومة، وفتح الضاد ورفع (وَحْيُهُ) (٣١٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قَضَى: «(قَضَى) يَقْضِي بالكسر (قَضَاءً) أي حَكَمَ، والقَضَاءُ: الْحُكْم» (٣١٨).

«يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ: أي يَفْرُغُ جبريلُ من إبلاغِهِ إِلَيْكَ» (٣١٩).

ثالثاً: التفسير:

تبدأ الآية بإجلال الله - تعالى - وتقديسه ثم بأمره - جلَّ وعلا - لسيدنا محمد ﷺ بعدم قراءة القرآن على أصحابه من قبل أن يُبينَ له معانيه.

(٣١٦) الكشف عن وجوه القراءات ج ٢/ص ١٠٧.

(٣١٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢.

(٣١٨) انظر: مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٣١٩) المستنير ج ٢/ص ٤٨.

يقول الطبري: «يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتقرئه أصحابك، أو تقرئه عليهم، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله يُنزلُه عليه من كتابه من كان يُكتبُه ذلك، من قبل أن يُبين له معانيه، وقيل لا تتلوه على أحدٍ ولا تُملِّه عليه، حتى نُبينه لك» (٣٢٠).

وقيل: أمره بالألا يتعجل بالقراءة مع جبريل عليه السلام مخافة أن ينسى القرآن، وأمره بأن يسأل الله زيادةً في علمه.

يقول الصابوني - رحمه الله - في بيان قوله تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: «أي: جلَّ الله وتقدَّس الملك الحق الذي قهر سلطانه كلَّ جبارٍ عما يصفه به المشركون من خلقه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي إذا أقرأك جبريل القرآن فلا تتعجل بالقراءة معه، بل استمع إليه واصبر حتى يفرغ من تلاوته وحينئذٍ تقرئه أنت، قال ابن عباس: كان ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على حفظ القرآن ومخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك، قال القرطبي: وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي سأل الله - ﷻ - زيادة العلم النافع، قال الطبري: أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم» (٣٢١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى (نَقْضِي إِلَيْكَ وَحْيَهُ) على أنَّ الفعل مبني للمعلوم مُسْتَدٍّ إلى ضمير العظمة مما يفيد تعظيم أمر المنزل.

يقول الطبرسي: «ومن قرأ: (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْضِي إِلَيْكَ وَحْيَهُ) فإنه أضاف القضاء إلى الله وجعل الوحي مفعوله» (٣٢٢).

(٣٢٠) تفسير الطبري مج ٩ ج ١٦/ص ٢٤٠.

(٣٢١) صفوة التفاسير ج ٢/ص ٢١٦.

(٣٢٢) مجمع البيان ج ١٣/ص ١٤٤، وانظر: طلائع البشر ص ١٦٨.

أما القراءة الثانية (يُقْضَى إِلَيْكَ وَخِيَهُ) فعلى إسناد الفعل للمجهول والمقصود من ينزل بالوحي وهو جبريل عليه السلام لتعظيم شأن المنزل.

يقول ابن أبي مريم - رحمه الله -: «وقرأ الباقر (يُقْضَى) بضم الياء وفتح الضاد، (وَخِيَهُ) بالرفع. والوجه أنه على إسناد الفعل إلى المفعول به، هو الوحي، ومعلوم أن الله تعالى هو الموحى، فلذلك وقع الاستغناء عن ذكر الفاعل» (٣٢٣).

بالجمع بين القراءتين يتضح عظيم أمر الموحى والموحى به وبيان معانيه بوساطة الوحي جبريل عليه السلام، والله أعلم.

٣٠ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ ﴿١١٦﴾ [طه: ١١٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) بضم التاء.

٢ - قرأ الباقر (لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) بإخلاص كسر التاء (٣٢٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الملائكة جمع، وواحد (مَلَكٌ)، وهو مشتق من (أَلَك) بمعنى: أرسل، وأصل (مَلَكٌ): (مَأْلَكٌ)، فَقُدِّمَتِ العين وهي اللام، وأُخِرَتِ الفاء فصارت (مَأْلَكًا)، واستثقلت الهمزة، فنقلت إلى الساكن قبلها، وحذفت، فصار لفظه (ملكاً)، فإذا جُمع، رُدَّ إلى أصله من الهمزة وبقي على قلبه (٣٢٥).

سَجَدَ: «(سَجَدَ) خَضَعَ، ومنه (سُجُود) الصَّلَاة وهو وَضْعُ الْجَنْبَةِ عَلَى الْأَرْضِ» (٣٢٦).

(٣٢٣) الموضح ج ٢/ص ٨٥٥.

(٣٢٤) انظر: النشر ج ٢/ص ٢١٠، ٣٢٢.

(٣٢٥) انظر عمدة الحفاظ ج ١/ص ١١٢ - ١١٣. ومختار الصحاح ص ٦٤٢.

(٣٢٦) المرجع السابق ص ٣٢٦.

ثالثاً: التفسير:

يُذَكِّرُ الله - ﷻ - نبيه محمد ﷺ بأمره الملائكة بالسجود لآدم سجود تشريف وتكريم، فسجدوا كلهم إلا إبليس فقد رفض السجود^(٣٢٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى (لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) بضمّ التاء عِظَم الأمر وثَقْلَهُ على الملائكة، فكما أوضحت في الفقرة (١) من هذه السورة أَنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة. فقال: (الملائكة) وجاء بالضمة التي هي أثقل الحركات للدلالة على ثِقَلِ الموقف، حيث إِنَّ الملائكة استعظموا هذا الأمر.

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في هذا المعنى: «إِنَّ المَلَائِكَةَ لَمَّا استعظموا بتسبيحهم وتقديسهم أَمَرَهُم بالسجود لغيره ليريههم استغناء عنهم وعن عبادتهم. وقال بعضهم: عَيَّرُوا آدم واستصغروه ولم يعرفوا خصائص الصنع به فأَمَرُوا بالسجود له تكريماً؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يكون الله تعالى أَمَرَهُم بالسجود له معاقبة لهم على قولهم: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لما قال لهم:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وكان علم منهم أنه إن خاطبهم أنهم قائلون هذا فقال لهم: ﴿إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرٌ مِّنْ طِينٍ﴾. وجاعله خليفة فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، والمعنى ليكون ذلك عقوبة لكم في ذلك الوقت على ما أنتم قائلون لي الآن^(٣٢٨).

أما القراءة الثانية ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ فإنها تفيد التخفيف من ثَقَلِ الأمر حيث إِنَّ الكسرة أخف من الضمة، وحيث إِنَّ الملائكة فُطِرُوا على الطاعة فمهما كان الأمر الذي أَمَرُوا به فإنهم فاعلوه امتثالاً لأمر الله تعالى وطاعة

(٣٢٧) أضواء البيان ج ٣/ص ٧٣.

(٣٢٨) تفسير القرطبي ج ١/ص ٢٤٩.

له، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - تعالى - أمر الملائكة بالسجود لآدم - عليه السلام - ورغم عظم الأمر وثقله عليهم إلا أنهم أطاعوه ونفذوه بمجرد إصداره لهم وهذا ما يتناسب مع طبيعتهم وما خلِقوا عليه، والله أعلم.

٣١ - قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: ١١٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو بكر (شعبة) (وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ) بكسر الهمزة.

٢ - قرأ الباقون (وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ) بفتح الهمزة^(٣٢٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إِنَّ، أَنْ): سبق التعريف بكل منهما^(٣٣٠).

ظَمَأُ: «(الظَمَأُ): الْعَطَشُ»^(٣٣١). (ضَحَا) - ضَحُوا، وَضَحُوا وَضَحِيًّا: أصابه حرُّ الشمس^(٣٣٢).

ثالثاً: التفسير:

يَحْذَرُ الله تعالى آدم عليه السلام أن يتبع الشيطان فيكون ذلك سبباً في خروجه من الجنة حيث لا تعب ولا نصب^(٣٣٣)، فلك في الجنة ألا تجوع ولا تعرى، ولك أيضاً ألا تشعر بالعطش ولا بحر الشمس، جاء في صفوة التفاسير في تفسير الآية: «وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى» أي ولك أيضاً

(٣٢٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢.

(٣٣٠) انظر: الموضع رقم (٢) من هذه السورة ص ٣٣.

(٣٣١) مختار الصحاح ص ٤٠٧.

(٣٣٢) انظر: المعجم الوسيط ص ٥٣٥.

(٣٣٣) (نَصِبَ) نَصَبًا: أَعْيَا وَتَعَبَ وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ. انظر: المعجم الوسيط ص ٩٢٤.

أَلَا يَصِيبُكَ الْعُطْشُ فِيهَا وَلَا حَرُّ الشَّمْسِ، لَأَنَّ الْجَنَّةَ دَارُ السَّرُورِ
وَالْحَبُورِ^(٣٣٤)، لَا تَعْبُ فِيهَا وَلَا نَصَبٌ، وَلَا حَرٌّ وَلَا ظَمَأٌ بِخِلَافِ دَارِ
الدُّنْيَا^(٣٣٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ) بكسر همزة (إِنَّ) التأكيد على أَنَّ
آدم ﷺ له وعدٌ من الله - سبحانه وتعالى - بألا يظمأ ولا يضحى.

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللهُ -: (إِنَّ) بالكسر والتشديد على أحد أوجهها:
التأكيد والتحقيق وهو الغالب^(٣٣٦).

وحيث إِنَّ هذه القراءة بكسر همزة (إِنَّ) أفادت أحد أمرين:

أولهما: استئناف الكلام. حيث يقول الإمام ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -:
«والوجه أَنَّهُ مَقْطُوعٌ مِمَّا قَبْلَهُ، وَمُسْتَأْنَفٌ بِهِ، فَلِهَذَا كُسِرَ إِنَّ»^(٣٣٧).

وثانيهما: العطف على (إِنَّ لَكَ). حيث يقول الدكتور محمد سالم
محيسن: «قرأ نافع، وشعبة: (وَإِنَّكَ) بكسر الهمزة، عطفاً على قوله تعالى:
﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾^(٣٣٨) وهو من عطف الجمل».

فيكون المعنى لما سبق أَنَّهُ تعالى بعدما نفى عن آدم ﷺ الْجُوعَ
وَالْعُرَى، استأنف بجملة جديدة عطفها على الجملة السابقة، وقد نفى عنه
فيها أَلَمَ الظَّمَا، وَأَلَمَ الضُّخُو، وَكَرَّرَ فِيهَا حَرْفَ التَّوَكُّيدِ (إِنَّ) للتأكيد على
النَّفْيِ المذكور.

أما القراءة الثانية (وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ) فإنها تفيد أَنَّ لآدم عدم الجوع في
الجنة وعدم العري وعدم الظمأ، حيث إنها من عطف المفردات الذي يوحى

(٣٣٤) الحبور: السرور. انظر: مختار الصحاح ص ١٦٧.

(٣٣٥) صفوة التفاسير ج ٢/ص ٢١٦.

(٣٣٦) انظر: الإنقان ج ١/ص ٢٠٣.

(٣٣٧) انظر: الموضح ج ٢/ص ٨٥٥، وإعراب القراءات السبع ج ٢/ص ٥٦.

(٣٣٨) المغني لمحيسن ج ٢/ص ٣٤، وانظر: حجة القراءات ص ٤٦٤.

بانتفاء جميع تلك الآلام في الوقت نفسه بالدرجة والكيفية نفسها.

يقول ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الباقون (وَأَنْتَ) بفتح الألف، والوجه أنه معطوف على قوله: (أَلَا تَجُوعُ) كأنه قال: إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ وَأَلَا تَظْمَأُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى فِي أَنْ بِالْتَّخْفِيفِ وَأَنْ بِالتَّشْدِيدِ وَاحِدٌ فِي أَنَّهِمَا جَمِيعاً يُفِيدَانِ مَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّ لَكَ انْتِفَاءَ الْجُوعِ وَانْتِفَاءَ الظَّمْأِ» (٣٣٩).

بالجمع بين القراءتين يتضح لنا أن الله تعالى عَدَّدَ نِعَمَهُ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَلَا يَجُوعُ، وَلَا يَمْرُؤُ، وَلَا يَظْمَأُ، وَلَا يَضْحَى، مُؤَكِّدًا انْتِفَاءَ هَذِهِ الْآلَامِ جَمِيعَهَا بِقَطْعِ النَّظِيرِ عَنِ النَّظِيرِ الْمَزْعُومِ، وَالَّذِي غَرَضُهُ: تَحْقِيقُ تَعْدَادِ هَذِهِ النِّعَمِ وَتَكْثِيرُهَا (٣٤٠)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٣٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ ﴿١٢٥﴾

[طه: ١٢٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر (حَشَرْتَنِي أَعْمَى) بفتح الياء.

٢ - وقرأ الباقون (حَشَرْتَنِي - أَعْمَى) بمد الياء (٣٤١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«حَشَرَ: (حَشَرَ) النَّاسَ: جَمَعَهُمْ وَبَابَهُ ضَرَبَ وَ نَصَرَ وَمِنْهُ (يَوْمَ الْحَشْرِ)» (٣٤٢).

ثالثاً: التفسير:

يقول الكافر في هذه الآية سائلاً رَبَّهُ عَنْ سَبَبِ حَشْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا. جَاءَ فِي صَفْوَةِ التَّفَاسِيرِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:

(٣٣٩) الموضح ج ٢/ص ٨٥٥.

(٣٤٠) انظر: أضواء البيان ج ٣/ص ٧٥.

(٣٤١) انظر: في هامش القرآن الكريم ص ٣٢٠.

(٣٤٢) مختار الصحاح ص ١٣٧.

«أي قال الكافر: يا رَبُّ بَأَيِّ ذَنْبٍ عاقبتني بالعمى وقد كنتُ في الدنيا بصيراً؟» (٣٤٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى (حَشَرْتَنِي أَعْمَى) - بفتح ياء المتكلم وبغير مد - السرعة في طرح السؤال والاستفسار عن سبب كونه حُشِرَ أعمى وقد كان بصيراً.

ويقول الطبري: «فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه: ﴿...لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى...﴾ مع معاناة عظيم سلطانه، أَجْهَلُ في ذلك الموقِفِ أَنْ يَكُونَ لله أَنْ يَفْعَلَ به ما شاء، أم ما وَجَّهْ ذلك؟ قِيلَ: إِنَّ ذلك منه مَسْأَلَةٌ لربه يُعَرِّفُهُ الْجُزْمَ الذي استحقَّ به ذلك، إذ كان قد جَهِلَهُ، وظَنَّ أن لا جُزْمَ له، استحقَّ ذلك به منه، فقال: رَبِّ لَأَيِّ ذَنْبٍ ولَأَيِّ جُزْمٍ حَشَرْتَنِي أَعْمَى، وقد كنتُ من قَبْلُ في الدنيا بصيراً وأنت لا تعاقِبُ أحداً بدون ما يستحقُّ منك من العقاب» (٣٤٤).

قال الفراء: يُقَالُ إِنَّهُ يَخْرُجُ من قبرِهِ بصيراً فيُعْمَى في حَشَرِهِ (٣٤٥). وتفيد القراءة الثانية ﴿حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ بمد الياء، شعور الكافر بالضرر، وذلك أنه أصبح أعمى، ممَّا دفعه لمسألة ربه، وطلب دفع الضرر عنه، لذلك فإنَّ إظهار الياء يدلُّ على أَنَّ الكافر يريدُ طلباً لنفسِهِ حقًّا، وأَنَّهُ لا شيءَ أُلْزِمَ منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه (٣٤٦).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أَنَّ الكافر يُسارعُ في الطلبِ من ربه أن يدفعَ عنه ما به من ضرر، حيثُ إِنَّهُ حُشِرَ أعمى، وقد كان فيما سَبَقَ بصيراً، وذلك ظَنًّا منه أَنَّهُ لا جُزْمَ له يستحقُّ به منه ذلك، والله أعلم.

(٣٤٣) صفوة التفاسير ج ٢ / ص ٢١٧.

(٣٤٤) تفسير الطبري مج ٩ / ج ١٦ / ص ٢٥١.

(٣٤٥) انظر: مجمع البيان ج ١٣ / ص ١٥٣.

(٣٤٦) انظر: بلاغة الكلمة ص ٢٧.

٣٣ - قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ ﴿٣٤﴾ [طه: ١٣٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكسائي، وأبو بكر (تَرْضَى) بضم التاء.

٢ - قرأ الباقون (تَرْضَى) بفتح التاء (٣٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ترضى: «الرِّضَا مقصورٌ: ضدُّ السَّخَطِ» (٣٤٨).

ثالثاً: التفسير:

تَحُثُّ هذه الآية سيدنا محمد ﷺ على الصَّبْرِ على أذى قومه، بعد أن عَلِمَ أَنَّهُ سَبَقَتْ كَلِمَةٌ من الله - ﷻ - بتأخير عذاب هذه الأمة لأجلِ مُسْمَى، ثم تأمره الآية بأن يَتَّجِهَ إلى الله تعالى بتسبيحه قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وفي ساعات الليل والنهار حتى يرضى (٣٤٩).

يقول الشيخ مصطفى المنصوري - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾

أي: إذا كان الأمرُ كذلك، فاصبر على ما يقولون من الكُفْرِ، والتكذيبِ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي صَلِّ وأنت حامدٌ لربِّك، الذي يبلغك إلى كمالك، على هدايته وتوفيقه ونزْهَهُ عَمَّا ينسبونه إليه، ممَّا لا يليقُ بشأنه الرفيع، معترفاً أَنَّهُ مولى النعم كلها ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي: في صلاةِ الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني صلاة الظهر والعصر، لأنَّهما قبل غروبها ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي: ومن ساعاته، والمرادُ به المغرب والعشاء، وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيدِ الفضل، فإنَّ القلبَ فيهما أجمع، والنفسُ إلى الاستراحة

(٣٤٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢.

(٣٤٨) لسان العرب ج ١٤/ص ٣٢٣.

(٣٤٩) انظر: المستنير ج ٢/ص ٥١.

أَمِيلُ، فتكون العبادةُ فيهما أَشَقُّ، لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ [المزمل: ٦] ﴿وَأَطْرَافُ النَّهَارِ﴾ أَمْرٌ بالتطوع في أجزاء النهار، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ أي سَبَّح في هذه الأوقات، رجاء أن تنالَ عنده تعالى، ما تَرْضَى به نفسك، وَيَسِّرُ قَلْبَكَ، وهو إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] (٣٥٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (تَرْضَى) بضم التاء، أن محمداً ﷺ يُعْطَى الرضا، وَيَرْضِيهِ الله ﷻ، أي سَيُعْطِيكَ الله يا محمد من الفضائل والدرجات والشفاعة العظمى يوم القيامة، ما يُرضيك، وستكون عنده مرضياً (٣٥١).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «قوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ قرأه الكسائي، وأبو بكر بضم التاء، على ما لم يُسَمِّ فاعله، والذي قام مقام الفاعل هو النبي ﷺ والفاعل هو الله جلَّ ذِكْرُهُ، تقديره: لعلَّ الله يُرضيك بما يعطيك يوم القيامة، و(لعلَّ) من الله واجبة» (٣٥٢).

أما القراءة الثانية (تَرْضَى) بفتح التاء فهي بمعنى: لعلَّكَ تثابُّ يا محمد على هذه الأعمال بما تَرْضَى به (٣٥٣).

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: في معنى هذه القراءة: إِنَّ الله يُعْطِيكَ يا محمد حتَّى تَرْضَى عَطِيَّتَهُ وثوابه إِيَّاكَ (٣٥٤).

بالجمع بين القراءتين يُعْلَمُ إكرام الله - تعالى - لحبيبه وصفيه محمد ﷺ حتى يكون مَرْضِياً عنده، سوف يُرضيه، ويُعْطِيهِ على تلك الأعمال التي ذَكَرَتْهَا الآية ما يجعله يَرْضَى بما وهبه الله تعالى، والله أعلم.

(٣٥٠) المقتطف ج ٣/ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣٥١) انظر: مفاتيح الأغاني ص ٢٧٨.

(٣٥٢) الكشف ج ٢/ص ١٠٧، وانظر: طلائع البشر ص ١٦٩.

(٣٥٣) انظر: المحرر الوجيز ج ٤/ص ٧٠.

(٣٥٤) انظر: تفسير الطبري مج ٩/ج ١٦/ص ٢٥٦.

٣٤ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب (زَهْرَة) بفتح الهاء.

٢ - قرأ الباقون (زَهْرَة) بإسكان الهاء (٣٥٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الزَهْرَة: زَهْرَة النبت، والزَهْرَة - بسكون الهاء - زَهْرَة الحياة الدنيا، وهي: غضايرتها وحسنها» (٣٥٦).

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن لا ينظر إلى ما مَتَّعَ به أصنافاً من الكفار من نعيم الدنيا وزينتها، لأنها لا تدوم.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها، (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فإن زائل، وغرورٌ وخدعٌ تضحل، (وَرِزْقُ رَبِّكَ) الذي وعدك أن يَرْزُقَكَ في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه (خَيْرٌ) لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا. (وَأَبْقَى) يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاذ. وَذَكَرَ أَنَّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن رسول الله ﷺ بعث إلى يهودي يستلف منه طعاماً، فأبى أن يُسلفه إلا برهن» (٣٥٧).

(٣٥٥) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٢.

(٣٥٦) معاني القراءات ج ٢/ص ١٦١ وانظر: مختار الصحاح ص ٢٧٦.

(٣٥٧) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٦/ص ٢٥٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (زَهْرَة) بفتح الهاء قِصْرُ المُدَّة التي يتمتّع بها هؤلاء الأزواج في هذه الحياة الدنيا، أي أَنَّ المُدَّة التي يتمتّع بها هؤلاء هي مُدَّة قصيرة كما أَنَّ نَوْرَ النبات حين يُزْهِر لا يَمُكُثُ مُزْهِراً - كما هو معلوم - إلا فترة قصيرة.

يقول الكرمانى - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ يعقوب بفتح الهاء والزاي، أي نَوْرُ النبات» (٣٥٨).

وقال ابن عطية - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقوله تعالى: (زَهْرَة الْحَيَاة الدُّنْيَا) شَبَّهَ نَعَمَ هؤلاء الكفار بالزَّهَر وهو ما اصْفَرَّ من النَّوْر، وقيل (الزَّهْر) النَّوْرُ جُمْلَةً لِأَنَّ الزَّهْرَ له منظرٌ جميلٌ ثُمَّ يَضْمَجِل، فكذلك حال هؤلاء» (٣٥٩).

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: فإن قيل ما معنى الزهرة فيمن حَرَكَ قلنا معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة... وأن يكون جمع زاهر وضمّاً لهم بأنهم زهرة هذه الدنيا لصفاء ألوانهم وتهلّل وجوههم، بخلاف ما عليه الصُّلَحَاء من شحوب الألوان والتقشّف في الثياب (٣٦٠).

يقول الخطيب التبريزي رَحِمَهُ اللهُ -: «أي زينتها وهو من زهرة النبات وحسنه، ونصب زهرة على فعل مُضْمَرٍ، دلّ عليه (مَتَّعْنَا)؛ لِأَنَّ (مَتَّعْنَا) بمنزلة (جعلنا)، فكأنه قال: جعلنا لهم زهرة» (٣٦١).

في حين أفادت القراءة الثانية (زَهْرَة) بإسكان الهاء، أَنَّ ما يتمتّع به هؤلاء الكفار لا يتعدى كَوْنُهُ زينة لهم في هذه الحياة الدنيا، وَيُخْتَمَلُ هنا معنَى أزواجاً ذوي زَهْرَة، كما يُخْتَمَلُ أن تكون على المبالغة في المتعة حتى جُعِلُوا نفس الزَّهْرَة (٣٦٢).

(٣٥٨) مفاتيح الأغاني ص ٢٧٨.

(٣٥٩) المحرر الوجيز ج ٤/ص ٧١.

(٣٦٠) انظر: تفسير الرازي ج ٢٢/ص ١٣٦.

(٣٦١) الملخص ص ٢٨٤.

(٣٦٢) انظر: الدر المصون ج ٥/ص ٦٦.

بالجمع بين القراءتان تتضح العبرة والموعظة من الله - تعالى -
لمحمد ﷺ، ولأُمته حيث يأمر نبيّه ﷺ ألا يمدُّ عينيه إلى ما مَتَّعَ به أصنافاً
من الكفار، من نعيم هذه الدنيا وزينتها - وقد بالغ في ذلك حتَّى أصبحوا
هم زهرة هذه الحياة الدنيا؛ لصفاء ألوانهم، وتَهَلُّل وجوههم - لأنَّ هذه
الحياة لا يدوم نعيمها، ولا تدوم زينتها، بل سرعان ما يزول نعيمها
ويضمحل، كما تزول زهرة النبات وتضمحل، والله أعلم.

٣٥ - قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ
نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ ورش، والسوسي، ووقفاً حمزة (وَأْمُرْ) بإبدال الهمزة ألفاً.
- ٢ - قرأ الباقون (وَأْمُرْ) بالهمزة (٣٦٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أمر: إذا أمرت من أمر قلت: مُرْ وأصله أُمِر، فلما اجتمعت همزتان
وكثُر استعمال الكلمة حُذِفَت الهمزة الأصلية، فزال الساكن، فاستغني عن
الهمزة الزائدة، وقد جاء على الأصل... وقالوا في الأمر: أُمِرْ ومُرْ
ونظيره كُلُّ وَحْدٌ (٣٦٤).

ثالثاً: التفسير:

يخاطب الله - ﷻ - نبيّه محمد ﷺ، ويدخل في عموم خطابه جميع
أُمته، فيأمره بأن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها، فهو تعالى الذي يتكفل
برزقه، والعاقبة للتقوى.

يقول الطبري - رحمه الله -: «يقول تعالى ذكره لسيدنا محمد ﷺ:
﴿وَأْمُرْ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ يقول: واصطبر على

(٣٦٣) انظر: النشر ج ١/ ص ٣٩٠.

(٣٦٤) انظر: لسان العرب ج ٤/ ص ٢٧.

القيام بها، وأدائها بحدودها أنت ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ يقول: لا نسألك مالا، بل نكلفك عملاً ببدنك، نؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يقول: نحن نعطيك المال ونكسبك، ولا نسألكه. وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ يقول والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً، ولا يرجو له ثواباً^(٣٦٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (وَأْمُرْ) بإبدال الهمزة ألفاً، أن الأمر يكون باللين والموعظة الحسنة وأن يتسع لهم الصدر حانياً؛ وذلك أن الهمزة حرف مستثقل، والألف حرف يخرج من الجوف بلا عناء ولا مشقة. وهو حرف خفي^(٣٦٦).

كما يقول الإمام أبو عمرو الداني^(٣٦٧): «والهاوي حرف واحد، وهو الألف، وهو حرف اتسع مخرجه لهواء الصوت أشد من اتساع غيره»^(٣٦٨).

وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يتعامل مع أهله باللين والموعظة الحسنة، كما كان يتسع صدره لهم وهو ﷺ يأمرهم بالصلاة، فقد كان ﷺ يأتي باب فاطمة وزوجها علي - عليهما السلام - ليحثهما على أداء الصلاة بأطيب الكلام وأعذبه، واستمر ذلك عدة شهور.

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي بَابَ فَاطِمَةَ وَعَلِيٌّ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ،

(٣٦٥) تفسير الطبري مج ٩/ ج ١٦/ ص ٢٥٨.

(٣٦٦) انظر: المقتضب ج ١/ ص ١٩٨.

(٣٦٧) هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن وروايته وتفسيره، له أكثر من مائة مصنف، من أهالي دانية بالأندلس، دخل المشرق، فحج وزار مصر، وعاد فتوفي في بلده سنة ٤٤٤هـ. انظر: الأعلام ج ٤/ ص ٢٠٦.

(٣٦٨) التحديد في الإتيان والتجويد ص ١١٠.

وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً^(٣٦٩).

أما القراءة الثانية (وَأْمُرْ) بالهمزة فقد أوحى بِثَقُلِ الأمر على النفس، وذلك أَنَّ النفس تميل إلى الراحة، ومجاهدة النفس تحتاج من الإنسان صبراً وقوةً عزيمةً، وهذا ما توحى به الهمزة حيثُ إنها حرفٌ شديدٌ مُسْتَثْقَلٌ يخرجُ من أَقْصَى الحَلْقِ^(٣٧٠)، مما استلزم أن يوصي الله - تعالى - نبيه بالصبر على أداء الصلاة وأمر أهله خاصةً بأدائها باتباع أسلوب الموعظة الفعلية لأنها أكثرُ فائدةً من الموعظة القولية.

يقول أبو العلاء الكرمانى - رَحِمَهُ اللهُ -: «أراد أَنَّك كما تأمرهم بها فحافظ عليها، فَإِنَّ الوَعظَ بلسانِ الفعلِ أَتَمُّ منه بلسانِ القولِ»^(٣٧١).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أَنَّ الله تعالى يأمر نبيه ﷺ بأن يأمر أهله بالصلاة، ويصطبر على فعلها، وعلى أمرهم بها، مستعيناً بالموعظة بلسانِ الفعل، إلى جانب لسانِ القول، والموعظة الحسنة، كما ينصحهم في الخفاء، فالنصيحة في الخفاء تكون أكثر تأثيراً وصدقاً من النصيحة العلنية، والله أعلم.

٣٦ - قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبِعٍ فَرِيقٌ فَاسْتَعْمِلُوا مَنَ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ أَسْوَىٰ وَمَنِ أَهْدَىٰ﴾ ﴿١٢٥﴾ [طه: ١٣٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ قبل، ورويس (السُّرَاطِ) بالسین.

٢ - قرأ خلف عن حمزة (الزُّرَاطِ) بإشمام الصاد زائلاً.

٣ - قرأ الباقون (الصُّرَاطِ) بالصاد^(٣٧٢).

(٣٦٩) انظر: صحيح مسلم ج ٤/ص ١٨٨٣، ح ٢٤٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي.

(٣٧٠) انظر: شرح المفصل ج ٩/ص ١٠٧.

(٣٧١) غرائب القرآن ج ٣/ص ٢٢٨٦.

(٣٧٢) انظر: البدور الزاهرة ص ١٥.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السُّرَّاط: لغة في الصُّرَّاط» (٣٧٣).

«وَأَمَّا (الصُّرَّاط) فَإِنَّهُ بِكسر الصاد: الطريق» (٣٧٤).

ثالثاً: التفسير:

يَأْمُرُ اللهُ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلْكَفَّارِ الْمَشْرِكِينَ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنَّا وَمِنْكُمْ فِي حَالَةِ انْتِظَارٍ لِّمَا يُوَوَّلُ إِلَيْهِ أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ وَسَتَعْلَمُونَ عِنْدَمَا تَقُومُ السَّاعَةُ مَنْ هُوَ الضَّالُّ وَمَنْ هُوَ الْمُهْتَدِي؟

يقول الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّد: كُلُّكُمْ أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ بِاللَّهِ مُتَرَبِّصٌ؛ يَقُول: مُتَنَظِّرٌ لِمَنْ يَكُونُ الْفَلَاحُ، وَإِلَى مَا يُوَوَّلُ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ مُتَوَقِّفٌ يَنْتَظِرُ دَوَائِرَ الزَّمَانِ، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ يَقُول: فَتَرَقَّبُوا وَانْتَظَرُوا، فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَعْتَدِلِ الَّذِي لَا أَعْوَجَاجَ فِيهِ إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ، أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟ ﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾ يَقُول: وَسَتَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ مِنَ الْمُهْتَدِي الَّذِي هُوَ عَلَى سَنَنِ الطَّرِيقِ السَّهْلِ الْمُسْتَقِيمِ، غَيْرِ الْحَائِدِ عَنْ قَصْدِهِ مَنَا وَمِنْكُمْ» (٣٧٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وردت في كلمة الصراط ثلاث قراءات ذكرت في كتاب وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن كالاتي: «... ففيه ثلاث قراءات: هي بالسين في (السراط)، كذلك قرأ قُتُبَلٌ عن ابن كثير، لأنها الأصل ولكن أبدلت صاداً للطاء. وبالصاد قرأ أغلب القراء، وهي أوفق لصوت الطاء المستعلي لمؤاخاتها لها فيه. وبصوت بين الصاد والزاي كذلك قرأ خلفٌ عن حمزة، أشمَّ الصاد لفظ الزاي، وهذا مجهور، فوافق بذلك الطاء» (٣٧٦).

(٣٧٣) مختار الصحاح ص ٣٢٦.

(٣٧٤) شرح المفصل ج ١٠ ص ٥١.

(٣٧٥) تفسير الطبري مج ٩ / ج ١٦ / ص ٢٦٠.

(٣٧٦) وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ص ٦٧.

توحي القراءة (السُّرَّاط) بالسين أن الأصل في الإنسان الإيمان واتباع الهدى وذلك بالفطرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «ما من مولود إلا يُولد على الفِطْرَةِ، فأبواه يهودانه، أو يُنصرّانه أو يُمجسانه، كما تُتَنجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ^(٣٧٧).

جاء في شرح المفصل: «يُقَالُ السُّرَّاط بالسين على الأصل، وقال في القاموس: وشرحه: والسين لغة في الكلّ، وقرأ يعقوب (اهدنا السُّرَّاط المستقيم)، وأصلُ صاده سين قُلِبَتْ مع الطاءِ صاداً لِقُرْبِ مخارجهما» ^(٣٧٨).

وإن الدين الإسلامي الحنيف، الذي يتبعه أصحاب الصراط السويّ، هو دين اليسر والبساطة، بلا تعقيدات ولا مشقّة، وهذا ما تُعبّر عنه السين، فقد قال الدكتور أحمد مختار عمر: «لا شك أن السين أكثر بساطة من الصاد، لأنّ الأخيرة تفتضي عمليةً إضافيةً على حركات نطق السين وهذه العملية تتمثل في حركة مؤخّر اللسان إلى أعلى» ^(٣٧٩).

أمّا القراءة (الزُّرَّاط) بإشمام الصاد زايّاً فقد أَلْقَت الضَّوْء على تلك الفئة من البشر الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء إمّا أن يرحمهم الله برحمته فيكونون مع الفائزين بالنجاة من عذاب الله تعالى، وإمّا أن يكونوا ممّن حقّ عليهم العذاب.

فهؤلاء هم الفئة بين الفئتين التي تشترك مع الصالحين ببعض الأعمال الصالحة، ويشترون مع العصاة ببعض الأعمال الفاسدة، وهذا ما أفاده حرف الزاي الذي يشترك مع السين في جميع الصفات إلا أنه يختلف عنه في صفة الجهر بينما السين حرف مهموس، كما يشترك الزاي مع الصاد في

(٣٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه، ج ١/ص ٤٥٦، ح ١٢٩٢، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ثم مات.

(٣٧٨) شرح المفصل ج ١٠/ ص ٥١ (في الهامش).

(٣٧٩) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٤٠.

ثلاث صفات هي الرخاوة والإصمات والصفير، ويفترق معه في بقية الصفات الأخرى^(٣٨٠).

أما القراءة (الصراط) فقد ناسبت أموراً عدة منها:

١ - أن أصحاب الصراط السوي هم الذين يتبعون الهدى فيسلكون الطريق المستقيم.

٢ - قوة موقف المؤمنين الذي توحى به قوة الحرف الذي أبدلت السين به، ألا وهو حرف الصاد.

٣ - إن أصحاب الصراط السوي وهم المؤمنون لا بد أن يظهر أمرهم مهما بلغت قوة الأعداء وقويت شوكتهم، وزاد طغيانهم، لأن المستقبل للإسلام، ولأنه لا يتبع الظلام الدامس إلا بزوغ الفجر الساطع.

٤ - إن أصحاب الصراط السوي الذين استحقوا الفوز بالدرجات العلى لم يكونوا متقاعسين عن عبادة الله ولكنهم كانوا أصحاب عزيمة قوية وجد وثابرة وهم أصحاب فعل يشاهد حساً، وما كانوا أصحاب شعارات وكلام مُنمّق بلا فعل ملموس.

٥ - إن أصحاب الصراط السوي على يقين من الثواب الذي أعدّه الله تعالى لهم فنفوسهم تعرفه، وإن كانت عيونهم لم تره من قبل.

وذلك حيث: «جعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مُشاهد يرى وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك، وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر، ولا يُشاهد حساً، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجَد لا صعود الجسم... فجعلوا الصاد لقوتها فيما يُشاهد من الأفعال المُعالِجة المُتجسّمة، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين»^(٣٨١).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتضح أن الله تعالى يأمر نبيه أن يقول

(٣٨٠) انظر: المغني للجمل ص ١٤١.

(٣٨١) دراسات في فقه اللغة ص ١٤٣.

للكفار إنهم سيعلمون يوم القيامة من هم أصحاب الطريق السوي، الذين يتبعون الفطرة السليمة والديانة الإسلامية التي تمتاز بالبساطة والسهولة، والذين يعملون بجد ومثابرة لنيل الدرجات العلى في الجنة.

كما سيعلمون من هم الذين يستحقون العذاب؛ بسبب عنادهم، وكفرهم في الدنيا، فيقفون على الصراط موقفاً عصياً يوم القيامة.

وبين هذين الفريقين إشارة إلى فريق ثالث، لا يعلم خبايا نفسه في الدنيا، ومآله في الآخرة إلا الله، فإما نجاة، وإما هلاك، والله أعلم.

الفصل الثاني

تفسير سورة (الأنبياء) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين وهما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (الأنبياء).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الأنبياء) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول التعريف بسورة الأنبياء

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول التعريف بسورة الأنبياء

أولاً: اسم السورة:

* سُمِّيَتْ هذه السورة (سورة الأنبياء)؛ بسبب اشتمالها على قصصِ مجموعةٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «سماها السلف (سورة الأنبياء) ... ولا يعرف لها اسم غير هذا. ووجه تسميتها سورة الأنبياء أنها ذُكِرَ فيها أسماء ستة عشر نبياً، ولم يأتِ مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء في سورة من سور القرآن عدا ما في سورة الأنعام، فقد ذُكِرَ فيها أسماء ثمانية عشر نبياً في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ...﴾ [الأنعام: ٨٣] إلى قوله: ﴿...وَيُؤْتِسَّرَ لَوْطًا...﴾ [الأنعام: ٨٦]، فإن كانت سورة الأنبياء هذه نزلت قبل سورة الأنعام، فقد سَبَقَتْ بالتسمية بالإضافة إلى الأنبياء؛ وإلا فاختصاصُ سورة الأنعام بذكرِ أحكام الأنعام أوجبَ تسميتها بذلك الاسم، فكانت سورة الأنبياء أجدرَ من بقية سور القرآن بهذه التسمية، على أن من الحقائق المسلّمة أن وجه التسمية لا يوجبها» (٣٨٢).

(٣٨٢) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٥، وانظر: التفسير المنير ج ١٧/ص ٥، في رحاب التفسير ج ١٣/ص ٢٤٤٣، حاشية الشهاب ج ٦/ص ٤١٢، وصفوة التفاسير ج ٢/ص ٢٢٠.

* وقد ذكر لها ابن تيمية^(٣٨٣) - رَحِمَهُ اللهُ - اسماً آخر في تفسيره، حيث يقول:

(سورة الأنبياء) سورة الذكر، سورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر... ثم عزز قوله بآيات من الذكر الحكيم وردت في هذه السورة وهي:

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝١﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾، وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦﴾، وقوله: ﴿أَبَرَأْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۚ إِنَّ إِلَهًا فُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ نَبِيِّ ذِكْرُ مَنْ قَبْلُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝٢٤﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾، وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۝٥٠﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝١٠٥﴾^(٣٨٤).

ثانياً: نوع السورة:

سورة الأنبياء مكية.

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللهُ -: «عن ابن الزبير قال: نزلت سورة الأنبياء بمكة»^(٣٨٥).

(٣٨٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية، ولد في حران سنة ٦٦١هـ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبت واشتهر، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، له مؤلفات قيمة كثيرة، مات معتقلاً بقلعة في دمشق سنة ٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته. انظر: الأعلام ج ١/ ص ١٤٤.

(٣٨٤) انظر: دقائق التفسير الجامع مج ٢/ ج ٤/ ص ٣٥٧، التفسير الكبير ج ٥/ ص ٢١٧، والتفسير الكامل ج ٤/ ص ٢٥٥.

(٣٨٥) الدر المشهور ج ٥ / ص ٦١٥.

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ -: مكية بلا خلاف، وأُطلقَ ذلك فيها، واستثنى منها في الاتفاق قوله تعالى: ﴿... أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ [الأنبياء: ٤٤] (٣٨٦).

ثالثاً: عدد آيات السورة:

عدد آيات سورة الأنبياء اثنا عشرة ومائة آية.

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ -: في عدد آيات السورة: هي مائة واثنان عشرة آية في عدِّ الكوفي وإحدى عشرة في عدِّ الباقيين (٣٨٧).

رابعاً: فضائل السورة:

تعدُّ سورة الأنبياء من فضليات السور، وهي من أوائل ما نزل من القرآن، كما أنها من السور العظيمة التي أذهلت الصحابة بما احتوته من الأمور العظيمة والغريبة، فقد أخرج أبو نعيم الأصبهاني (٣٨٨) في حلية الأولياء:

«عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه، وكلم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعتُ رسولَ الله ﷺ وادياً ما في العرب وإدٍ أفضلُ منه، وقد أردتُ أن أقطعَ لك منه قطعة تكونُ لك ولعقبك من بعدك، قال عامر: لا حاجةَ لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] قال الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ -: والذي حداه على الزهد والفقر ودعاه إلى إيمان الذكر ما أخبره به النبي ﷺ، وما كان يعانيه في بدنه من الشدة في البعوث والسرايا» (٣٨٩).

(٣٨٦) انظر: روح المعاني ج ١٧/ص ٣.

(٣٨٧) انظر: روح المعاني ج ١٧/ص ٣.

(٣٨٨) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد بأصبهان سنة ٣٣٦هـ، ومات بها سنة ٤٣٠هـ، من تصانيفه: حلية الأولياء. انظر: الأعلام ج ١ / ص ١٥٧.

(٣٨٩) حلية الأولياء ج ١ / ص ١٧٩. وانظر: الدر المنثور ج ٥ / ص ٦١٥، وتفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٣٠٤.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

إن مناسبة سورة الأنبياء لسورة طه التي تسبقها ظاهرة واضحة لا تحتاج لبيان، حيث انتهت سورة طه بالأمر للنبي ﷺ بأن يقول للكفار أن يترتبوا وينتظروا؛ ليعلموا يوم القيامة من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى، وفي هذه السورة يعلم الله تعالى الكفار بأن حسابهم اقترَبَ وهم في غفلة معرضون.

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللهُ - في مناسبة سورة الأنبياء لما قبلها: «ظهر لي في اتصالها بآخر (طه) أنه سبحانه لما قال: ﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبِّصٍ فَارْتَبِصُوا﴾ [طه: ١٣٥] وقال قبله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [١٢٩] [طه: ١٢٩] قال في مطلع هذه: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] إشارة إلى قرب الأجل ودنو الأمل المنتظر، وفيه أيضاً مناسبة لقوله هناك: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]، فإن قرب الساعة يقتضي الإعراض عن هذه الحياة الدنيا؛ لدنوها من الزوال والفناء، ولهذا ورد في الحديث: أنها لما نزلت قيل لبعض الصحابة هلا سألت النبي ﷺ عنها فقال نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا» (٣٩٠).

يقول الشيخ عبد الحميد كشك (٣٩١) - رَحِمَهُ اللهُ -: «إن سورة (طه) خُتِمَتْ بأن الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنه، وأن الله نهى رسوله أن يتطالع إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأن العاقبة للمتقين،

(٣٩٠) أسرار ترتيب القرآن ص ١١٠. وانظر: نظم الدرر ج ٥/ص ٦٣، والتفسير المنير ج ١٧/ص ٥ - ٦.

(٣٩١) هو عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك: عالم معاصر، فقيه، مفسر، ولد في بلدة شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر سنة ١٩٣٣م، وكان كريماً متواضعاً متحلياً بكل صفات العلماء، كما اشتهر بالمزاح وروح الدعابة، وكان عزيزاً مرفوع الرأس يجاهد بدعوته ولا يخشى في الله لومة لائم. انظر: الشيخ كشك في رحاب الوفاء والثناء ص ١٨. وموضوع (قبض العلماء) بمجلة المنبر الإسلامية الفلسطينية، عدد ٢٥/ص ٣٩. ومنهج الشيخ عبد الحميد كشك في تفسيره (في رحاب التفسير) ص ١٢ - ١٣.

وبدأت سورة الأنبياء بمثل ما خُتِمت به (طه) فذكر فيها أَنَّ الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنَّهم إذا سَمِعُوا القرآنَ استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه» (٣٩٢).

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

إنَّ هدفَ هذه السورة هو الاستدلالُ على تحقُّق الساعةِ وقربِها، ووقوع الحساب فيها على كافَّةِ البشرِ كما وَعَدَ اللهُ تعالى.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «مقصودُها الاستدلالُ على تحقُّقِ الساعةِ، وقربِها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير، لأنَّ مُوجِدَها لا شريك له يَعِوْفُه عنها، وهو من لا يُبَدِّلُ القولُ لديه، والدَّالُّ على ذلك أوضح دلالةٍ مجموعُ قصص جماعةٍ ممَّن ذُكِرَ فيها من الأنبياء عليهم السلام، ولا تستقلُّ قصَّةٌ منها استقلالاً ظاهراً بجميع ذلك كما سنبيِّن، ولا يخلو قصَّةٌ من قصصهم عن دلالةٍ على شيءٍ من ذلك فَنُسِبَتْ إلى الكلِّ» (٣٩٣).

كما تعددت أغراض هذه السورة في نطاق العقيدة، فقد تحدثت عن التوحيد والرسالة والبعث.

وقد ذكر الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: المقاصد التي ذُكِرَتْ في هذه السورة، وهي:

١ - الإنذار بالبعث وتحقيق وقوعه وإنَّه لتحقق وقوعه كان قريباً، وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من السماء.

٢ - التحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله، والتذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله، وذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.

(٣٩٢) في رحاب التفسير ج ١٦/ص ٢٤٤٦ (بتصرف).

(٣٩٣) نظم الدرر ج ٥/ص ٦٣.

٣ - التنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام ﷺ وأنه رحمة للعالمين.

٤ - التذكير بما أصاب الأمم السالفة من جرّاء تكذيبهم رسلهم، وأن وعد الله للذين كذبوا واقع ولا يغترهم تأخيرهم فهو واقع لا محالة.

٥ - حذرهم من أن يغتروا بتأخيرهم كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.

٦ - ذكرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق، ومن الإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم؛ لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل، ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق؛ إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة، وتنزيه الله - تعالى - عن الشركاء وعن الأولاد، والاستدلال على وحدانية الله تعالى، وتنزيهه عن وجود ما يكرهه على فعل ما لا يريد، وأن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.

٧ - وأعقب ذلك تذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ. ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء، وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه، وكيف نصّر الله الرسل على أقوامهم، واستجاب دعواتهم، وأن الرسل كلهم جاءوا بدين الله، وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعاً. وأثنى على الرسل عليهم السلام وعلى من آمنوا بهم، وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسله على تبليغ شرعه^(٣٩٤).

سابعاً: محور السورة:

إنّ محور هذه السورة هو موضوع العقيدة، يقول الدكتور وهبة الزحيلي - حفظه الله -:

(٣٩٤) انظر: التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٦ - ٨.

«موضوعُ السورة بيانُ أصول العقيدة الإسلامية ومبادئها وهي التوحيد، والرسالة النبوية، والبعث والجزاء، وقد بدأت بوصف أهوال القيامة، ثم ذكرت قصص جُملةٍ من الأنبياء الكرام عليهم السلام»^(٣٩٥).

يقول سيد قطب - رَحِمَهُ اللهُ -: «هذه السورة، مكية تعالج الموضوع الرئيس الذي تعالجه السور المكية... موضوع العقيدة... تعالجه في ميادين الكبيرة: ميادين التوحيد، والرسالة والبعث. وسياقُ السورة يُعالجُ ذلك الموضوع بعرض النواميس الكونية الكبرى، وربط العقيدة بها، فالعقيدة جزء من بناء هذا الكون، يسيرُ على نواميسه الكبرى»^(٣٩٦).

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

اشتملت سورة (الأنبياء) على مواضيع شتى يُجملها الشيخ عبد الحميد كشك - رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول: «مقصود السورة ما اشتملت عليه مجملًا من التنبيه على الحساب في القيامة، وقرب زمانها، ووصف الكفار بالغفلة، وإثبات النبوة، واستيلاء أهل الحق على أهل الضلالة، وحُجَّة الوحداية، والإخبار عن الملائكة وطاعتهم، وتخليق الله السماوات والأرض بكمال قدرته، وسير الكواكب، ودور الفلك، والإخبار عن موت الخلائق وفنائهم، وكلاء الله - تعالى - وحفظه العبد من الآفات، وذكر ميزان العدل في القيامة».

وذكر إبراهيم بالرشد والهداية، وإنكاره على الأصنام وعبّادها، وسلامة إبراهيم من نار نمرود وإيقادها. ونجاة لوط من قومه أولي العدوان. ونجاة نوح من الطوفان. وحكم داود وفهم سليمان، وذكر تسخير الشيطان. وتضرع أيوب. ودعاء يونس. وسؤال زكريّا. وصلاح مريم. وهلاك قريّ أفرطوا في

(٣٩٥) التفسير المنير ج ١٧/ص ٦.

(٣٩٦) في ظلال القرآن ج ٤/ص ٢٣٦٤.

(٣٩٧) كَلَّا يَكْلُوهُ كَلَّا وَيَلَاءُ وَيَلَاءُ بِالْكَسْرِ حَرَسَهُ وَحَفِظَهُ. انظر: لسان العرب ج ١ / ص ١٤٥.

الطغيان، وفتح سدّ يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، ودُلّ الكفار والأوثان في دخول النيران، وعزّ أهل الطاعة والإيمان من الأزل إلى الأبد في جميع الأزمان على علالي الجنان، وطَيّ السماوات في ساعة القيامة. وذكر الأمم الماضية، والمُنزلة من الكتب في سالف الأزمان.

وإرسال المصطفى ﷺ بالرافة والرحمة والإحسان، وتبليغ الرسالة على حكم السوية من غير نقصانٍ ورجحان، وطلب حكم الله تعالى على وفق الحق والحكمة في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] (٣٩٨).

المبحث الثاني

عرض وتفسير آيات سورة (الأنبياء) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿قَالَ﴾ بألف على الخبر.

٢ - وقرأ الباقون ﴿قُلْ﴾ بغير ألف على الأمر (٣٩٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قول: الْقَوْل: الكلام على الترتيب، وهو عند المحقق: كل لفظ قال به اللسان تاماً كان أو ناقصاً» (٤٠٠).

ثالثاً: التفسير:

كشف الله تعالى الأمر الذي تناجوا به وأسرّوه، وهو قول بعضهم لبعضٍ على جهة التوبيخ: أَقْتَبِعُونَ السُّخْرَ وأنتم تُبْصِرُونَ، ثم أمر الله تعالى

(٣٩٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٣، سراج القارئ المبتدي ص ١٥٧.

(٤٠٠) لسان العرب ج ١١/ص ٦٨١.

نبيه ﷺ أن يقول لهم وللناس جميعاً: رَبِّي يَعْلَمُ أقوالكم هذه، وهو بالمرصاد في المجازاة عليها.

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾:

«حكاية من جهته تعالى لِمَا قَالَ عليه الصلاة والسلام بعدما أُوجِيَ إليه أحوالهم وأقوالهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرهم، ففاعلٌ قال ضميره ﷺ، والجملة بعده مفعوله... وقرأ باقي السبعة (قُلْ) على الأمر لنبيه ﷺ والقول عامٌ يشمل السرَّ والجهرَ فيثارة على السر لإثبات علمه سبحانه به على النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالأمرين على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعاً كما في علوم الخلق.

وفي الكشف أن بين السرِّ والقول عموماً وخصوصاً من وجه، والمناسب في هذا المقام تعميم القول ليشمل جهره وسره والأخفى فيكون كأنه قيل: يعلم هذا الضرب وما هو أعلى من ذلك وأدنى منه، وفي ذلك من المبالغة في إحاطة علمه تعالى المناسبة لما حُكي عنهم من المبالغة في إخفاء ما فيه، وإيثار السرِّ على القول في بعض الآيات لنكتة تقتضيه هناك ولكل مقام مقال، والجار والمجرور متعلقٌ بمحذوف وقع حالاً من القول، أي: كائناً في السماء والأرض، وقوله سبحانه: (وهو السميع) أي: بجميع المسموعات، (العليم) أي: بجميع المعلومات، وقيل: أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات، ويدخل في ذلك أقوالهم وأفعالهم دخولاً أولاً اعتراض تذييلي مقدر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بمجازاتهم على ما صدر منهم»^(٤٠١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى الإخبار بأن محمداً ﷺ قال لأهل مكة: إِنَّ اللَّهَ

تعالى يعلم القول في السماوات والأرض.

في حين أفادت القراءة الثانية معنى الأمر من الله تعالى لمحمد ﷺ بأن يقول لأهل مكة: إِنَّ الله تعالى يعلم القول في السماوات والأرض.

يقول الإمام الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: «اختلفت القراء في قراءة قوله (قُلْ رَبِّي) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (قُلْ رَبِّي) على وجه الأمر، وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة (قَالَ رَبِّي) على وجه الخبر.

وكان الذين قرءوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون): ربي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه من شيء، وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه وباطل ما تقولون، وغير ذلك من الأشياء كلها، وكان الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا قال محمد: ربي يعلم القول خبراً من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قِرَاءَةِ الأُمُصَارِ قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القُرَّاء وجاءت بهما مصاحفُ المسلمين متَّفَقَتَا المعنى، وذلك أَنَّ الله إذا أَرَادَ محمداً بَقِيلِ ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبِأَيَّتِهِمَا قرأ القَارِئُ فمُصِيبُ الصَّوَابِ في قراءته» (٤٠٢).

بالجمع بين القراءتين يتضح أَنَّ الله - ﷻ - أمرَ محمداً ﷺ أن يقول لأهل مكة بأنَّ الله تعالى يعلم القول في السماوات والأرض، وهو السميع العليم؛ فهو يعلم سرَّهم ونجواهم، ويعلم ما هو أخفى من ذلك في السماوات والأرض، وقد أمثل النبي ﷺ لأمرِ الله تعالى فقال ما أمره الله تعالى بقوله، والله أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ

الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ [الأنبياء: ٧].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ حفص ﴿نُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع.
- ٢ - وقرأ الباقون ﴿يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسمَّ فاعله (٤٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وحى: الوَحْيُ: الإشارة والكتابة والرَّسالة والإلهام والكلامُ الخَفِيُّ وكلُّ ما ألقىته إلى غيرك (٤٠٤).

الوَحْيُ: «بافتتح مصدر: كل ما ألقىته إلى غيرك لتعلمه كيف كان، ثم غلب في ما يُلقى إلى الأنبياء من عنده - ﷺ - وقد يُطلق ويُراد به اسم المفعول منه، أي الموحى، وقيل: الوحي إعلَامٌ في خفاء. وشرعاً: كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه» (٤٠٥).

ثالثاً: التفسير:

يرُدُّ الله تعالى على كفَّار مكة الذين أنكروا إرسال محمد ﷺ لكونه بشراً مثلهم ولم يكن ملكاً، فيأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب ليتأكدوا أنَّ الله - ﷻ - لم يرسل قبله إلَّا بشراً يوحي إليهم، وما أرسل ملائكة قط.

يقول البغوي - رحمه الله - في قوله - ﷻ -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾: «هذا جواب لقولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾» يعني: إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين، إنما أرسلنا رجالاً نوحى إليهم، ﴿فَسَلُّوا أَعْيُنَ الَّذِينَ﴾ يعني: أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب؛ فإنهم لا ينكرون أنَّ الرسل كانوا بشراً، وإنَّ أنكروا نبوة

(٤٠٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٩٦، ٣٢٣.

(٤٠٤) لسان العرب ج ١٥/ص ٤٤٣

(٤٠٥) الوافي ص ٦٩٦.

محمد ﷺ، وأمرَ المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبى ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به» (٤٠٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ أَنَّ الموحى هو الله تبارك وتعالى.

في حين أفادت القراءة الثانية ﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾ أَنَّ المُوْحَى إليهم هم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

يقول ابن خالويه - رحمه الله -: «قوله تعالى ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ يقرأ بالنون وكسر الحاء، وبالياء وفتحها فالحجة لمن قرأ بالياء أنه أراد بذلك من شك في نبوة محمد ﷺ وكفر به وقال هلاً كان ملكاً فأمرهم الله أن يسألوا أهل الكتب هل كانت الرسل إلا رجالاً يوحى إليهم، والحجة لمن قرأه بالنون أنه أراد أن الله تعالى أخبر به عن نفسه وردّه على قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ليكون الكلام من وجه واحد فيوافق بعضه بعضاً» (٤٠٧).

بالجمع بين القراءتين يُعلم أَنَّ جميع الرُّسل الذين اصطفاهم الله - ﷺ - بالوحي والرسالات السماوية كانوا بشراً يُوحى إليهم، وأنَّ الله تعالى بعظمته وجلاله يُخبرُ عن نفسه بأنَّه هو الذي يوحى إليهم، ممَّا يزيد رسالاتهم شرفاً وعظمةً وقُدسيَّة، والله أعلم.

٣ - قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء: ٢٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿نُوحِي إِلَيْهِ﴾ بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع.

٢ - وقرأ الباقر ﴿يُوحَى إِلَيْهِ﴾ بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسمَّ

(٤٠٦) تفسير البغوي ج ٥/ص ٣١١.

(٤٠٧) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٨.

فاعله (٤٠٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: (٤٠٩).

ثالثاً: التفسير:

يخاطب الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ مؤكداً له أن الرسالات السماوية كانت جميعها تثبت وحدانية الله ﷻ.

يقول الطبري - رحمه الله -: «يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي، ﴿فَاعْبُدُون﴾ يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية» (٤١٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (نُوحِي إِلَيْهِ) أن الموحى للرسل هو الله تبارك وتعالى بعظمته وجلاله.

في حين أفادت القراءة الثانية (يُوحَى إِلَيْهِ) أن الموحى إليه هو أي رسول أرسله الله تعالى من قبل محمد ﷺ.

يقول البغوي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾: «قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (نُوحِي إِلَيْهِ) بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا) وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول» (٤١١).

بالجمع بين القراءتين يتضح أن الله تعالى لم يرسل رسولا قط بغير رسالة التوحيد، حيث كان كل واحد من الرسل الكرام يوحى إليه من الله

(٤٠٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٩٦، ٣٢٣.

(٤٠٩) انظر: المعنى اللغوي للموضع السابق ص ١٤٦.

(٤١٠) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧/ص ١٩.

(٤١١) تفسير البغوي ج ٥/ص ٣١٥.

- ﴿كَلَّمَ﴾ - وحدانية الله، واستحقاقه بمفرده التوحيد والعبادة، والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠]

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير (أَلَمْ يَرِ) بغير واو.

٢ - وقرأ الباقون (أَوَلَمْ يَرِ) بالواو (٤١٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رَأَى: (الرؤية) بالعين تتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين» (٤١٣).

ثالثاً: التفسير:

يُنَكِّرُ الله تعالى على الكفارِ عَدَمَ تَفَكُّرِهِمْ في كَيْفِيَةِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

يقول الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا): «الهمزة للإنكار والواو للعطف على المقدر والرؤية هي القلبية: أي ألم يتفكروا أو لم يعلموا ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا﴾» (٤١٤).

ويقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: «يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الجاحدون لألوهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يُعْبَدَ معه غيره أو يُشْرَكَ به ما سواه، ألم يروا ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا﴾ أي كان الجميع متصلاً بعضه ببعض متلاصقاً متراكماً بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر فَفَتَّقَ

(٤١٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٣.

(٤١٣) مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٤١٤) فتح القدير ص ١١٣٠.

هذه من هذه فجعل السماوات سبعاً والأرض سبعاً، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء» (٤١٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أَلَمْ يَرَ) بغير واو أن الكلام مُستأنف بمعنى الوعظ والتذكير لأولئك الكفرة الذين عبدوا غير الله ﷻ.

يقول ابن زنجلة - رَحِمَهُ اللهُ -: «قرأ ابن كثير ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بغير واو وكذا مكتوب في مصاحفهم بغير واو، وقرأ الباقر بالواو، والواو عطف على ما قبلها كما قال (أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ) [طه: ١٣٣] ومن أسقط الواو لم يجعله نسقاً، لكنه جعله ابتداء كلام في معنى وعظ وتذكير» (٤١٦).

كما أفادت القراءة الثانية (أَوَلَمْ يَرَ) بواو العطف استنكار عدم علمهم الحق وعدم رؤيتهم دلائل قدرة الله تعالى في الكون.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «قرأ الجمهور (أَوَلَمْ) بواو بعد الهمزة، وهي واو العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول، وما فيه من العجائب. وقرأ ابن كثير (أَلَمْ يَرَ) بدون واو عطف. قال أبو شامة: ولم تثبت الواو في مصاحف أهل مكة. قلت: معناه أنها لم تثبت في المصحف الذي أرسل به عثمان إلى مكة؛ فالتزم قراء مكة رواية عدم الواو إلى أن قرأ بها ابن كثير، وأهملت غير قراءته والاستفهام على كلتا القراءتين إنكاري، توجه الإنكار على إهمالهم للنظر، والرؤية تحتل أن تكون بصرية، وأن تكون علمية. والاستفهام صالح لأن يتوجه إلى كليهما لأن إهمال النظر في المشاهدات الدالة على علم ما يُنقَدُ

(٤١٥) تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٢٣٨.

(٤١٦) حجة القراءات ص ٤٦٧.

علمه من التورط في العقائد الضالة حقيق بالإنكار، وإنكار أعمال الفكر في دلالة الأشياء على لوازمها حتى لا يقع أحد في الضلال جدير أيضاً بالإنكار، أو بالتقرير المشوب بالإنكار»^(٤١٧).

كما يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «ولما أنكر سبحانه اتخاذهم آلهة من دونه تارة بقيد كونها أرضية، وتارة بقيد كونها سماوية، وتارة مطلقة، لثعم كلاً من القسمين وغيرهما، واستدل على ذلك كله بما لم يتبق معه شبهة، فدلّ تفردّه على أنّه لا مانع له ممّا يريد من بعث ولا غيره، وكان علمهم لا يتجاوز ما في السماوات والأرض، قال مُستدلاً على ذلك أيضاً مقرراً بما يعلمونه، أو ينبغي أن يسألوا عنه حتى يعلموه لتمكينهم من ذلك: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، جالياً له في أسلوب العظمة: (أولم) أي ألم يعلموا ذلك بما أوضحنا من أدلته ولم يزوا، ولكنه أظهر للدلالة على أنهم يغطون أنوار الدلائل عناداً فقال: (يز) أي يعلم علماً هو كالمشاهدة، (الذين كفروا) أي ستروا ما يعلمون من قدرة الله فأدى ذلك إلى الاستهانة والتقصّص فصارت ذنبهم غير مغفور، وسعيهم غير مشكور، وحذف ابن كثير الواو العاطفة على ما قدرته ممّا هدى إليه السياق أيضاً، لا للاستفهام بما دلّ عليه ختام الآية التي قبل من البعث والجزاء المقتضي للإنكار على من أنكره، فكان المعنى على قراءته: نجزي كلّ ظالم بعد البعث، ألم ير المُنكرون لذلك قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلاق، وإنما أنكر عليهم عدم الرؤية بسبب أنّ الأجسام وإن تباينت لا ينفصل بعضها عن بعض إلاّ بقادر يفصل بينها، فمن البديهي الاستحالة أن يرتفع شيء منها عن الآخر منفصلاً عنه بغير رافع لا سيما إذا كان المرتفع ثابتاً من غير عماد، فكيف وهو عظيم الجسم كبير الجرم؟ وذلك دالّ على تمام القدرة والاختيار والتنزّه عن كلّ شائبة نقص من مكافئ وغيره، فصَحَّ الإنكار عليهم في عدم علم ذلك بسبب أنهم عملوا بخلاف ما يعلمونه»^(٤١٨).

(٤١٧) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٥٢، ٥٣.

(٤١٨) نظم الدرر ج ٥/ص ٧٩.

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ في الآية استفهاماً استنكارياً حيث يستنكرُ الله - ﷻ - على الذين كفروا عدم رؤيتهم البصريَّة والقلبية لعظيم خلقِ السماوات والأرض، وما توحيان به من دلائل قدرة الله تعالى على الخلقِ والبعث، كما أنَّ فيها وعظاً وتذكيراً لهم بما ينبغي لهم أن يعلموه علماً كالمشاهدة في كونها يقيناً لا يُداخله أدنى شك في قدرة الله على الخلقِ، والتي يتجلى وضوحها في خلق السماوات والأرض، مما يثبت تنزيه الله - تعالى - عن الشريك والولد، وتفردَه بالألوهية والعبودية، والله أعلم.

٥ - قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أولاً: القراءات:

- ١ - وقرأ يعقوب ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمعلوم.
- ٢ - وقرأ الباقر ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمجهول^(٤١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

رجع: «رَجَعَ يَرْجِعُ رَجْعاً وَرُجُوعاً وَرُجْعَى وَرُجْعَاناً وَمَرْجِعاً وَمَرْجِعَةً: انصرف وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَـهَ رَبِّكَ الرَّحْمَنُ﴾ ﴿٨﴾ [الملق: ٨] أي: الرجوع»^(٤٢٠).

ثالثاً: التفسير:

يقول الله تعالى: إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَا بَدَّ لَهَا أَنْ تَمُوتَ، وهي موجودة في هذه الحياة يختبرها الله - تعالى - بالبلايا والنعم ابتلاء؛ ليعلم من يصبر، ومن يشكر، ثم إلى الله - تعالى - المرجع والمصير.

(٤١٩) انظر: البدر الزاهرة ص ٢١١.

(٤٢٠) لسان العرب ج ٨ / ص ١٣٥.

يقول البيضاوي - رَحِمَهُ اللهُ -: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» ذائقة مرارة مفارقتها وهو برهان على ما أنكره ﴿وَيَبْلُوكُمْ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ بالبلايا والنعم ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه، ﴿وَالِئِنَّا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم بحسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق» (٤٢١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وأفادت القراءة الثانية ﴿وَالِئِنَّا تُرْجَعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمعلوم أي: إنكم ترجعون بأنفسكم بلا تدخل الغير، وفي ذلك إشارة إلى وعيد للمؤمنين، ووعيد لغيرهم.

أما القراءة الثالثة ﴿وَالِئِنَّا تُرْجَعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمفعول فقد أفادت أَنَّ هناك قوَّةً خارجةً عن الإرادة تدفع بالرجوع إليه سبحانه، وفي ذلك إشارة إلى وعيد محض للكفار.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «(وَيَبْلُوكُمْ) الخطابُ إمَّا للناس كافةً بطريق التلويح، أو للكفرة بطريق الالتفات، أي: نعاملُكم معاملةً من (يَبْلُوكُمْ) بالشرِّ والخير بالبلايا والنعم، هل تصبرون وتشكرون أو لا، (فِتْنَةً) مصدرٌ مؤكَّد (لنبلُوكُمْ) من غير لفظه، (وَالِئِنَّا تُرْجَعُونَ) لا إلى غيرنا - لا استقلالاً ولا اشتراكاً - فنجازيكم بحسبما يظهر منكم من الأعمال فهو على الأول وعدٌ ووعدٌ، وعلى الثاني وعيدٌ محض، وفيه إيماءٌ إلى أَنَّ المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب، وقرىء (يُرْجَعُونَ) بالياء على الالتفات» (٤٢٢).

ويقول الشعراوي (٤٢٣) - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقوله تعالى: (وإليه ترجعون) تقرأ

(٤٢١) تفسير البيضاوي ص ٤٤١ (بتصرف بسيط).

(٤٢٢) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٣٣٥.

(٤٢٣) هو محمد متولي الشعراوي، السيد الشريف أبو سامي، الحسيني نسباً؛ حيث ينتهي =

قراءتان: بضمّة على التاء مرة، وبفتحة على التاء:

الأولى (تَرْجَعُونَ): معناها أننا نُجَبِّرُ على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله - تعالى - بإرادتنا، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع إلى الله.

أما القراءة الثانية (تَرْجِعُونَ) ففيها إرادة. وهي تنطبق على المؤمنين، لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله تعالى^(٤٢٤).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيّن أنّ المؤمنين يَرْجِعُونَ إلى الله - تعالى - مُحِبِّين لقاءه ويكون رجوعهم بإرادتهم، أمّا الكفار فإنّهم يُجَبِّرُونَ على الرجوع، سواء أَحَبُّوا لقاء الله أم كَرِهُوا، وسيُبعَثُونَ بعد الموت للحساب والجزاء، لذا ففي الآية تحذير للناس عامة وللکفار خاصّة، والله أعلم^(٤٢٥).

٦ - قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنبياء: ٤٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمُّ﴾ بالتاء مضمومة وكسر الميم ونصب (الصُّمُّ).

٢ - قرأ الباقر ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ بالياء غيباً وفتحها وفتح الميم ورفع (الصُّمُّ)^(٤٢٦).

= نسب والدته حبيبة من ناحية والدها إلى الإمام الحسين بن علي - كرم الله وجهه - ، والشعراوي نسبة إلى مضيق في السعودية اسمه مضيق الشعراوي كان أجداده قد قدموا منه فنسبوا إليه، وهو عالم معاصر جليل، ومفسر مشهور. انظر: من القرية إلى العالمية ص ٧ - ٨، والشعراوي ... أنا من سلالة البيت ص ١٠، ومنهج الشعراوي في التفسير ص ٤٠.

(٤٢٤) انظر: تفسير الشعراوي ج ١/ص ٢٢٨.

(٤٢٥) انظر: رسالة ماجستير الملاحى ص ٧١.

(٤٢٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٣.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الصَّمَمُ: انسدادُ الأذن وثقلُ السمع... الصُّمُّ: جَمْعُ الأصَمِّ وهو الذي لا يَسْمَعُ وأراد به الذي لا يَهْتَدِي ولا يَقْبَلُ الْحَقَّ، من صَمَمَ الْعَقْلَ لا صَمَمَ الْأُذُنَ^(٤٢٧).

ثالثاً: التفسير:

يأمرُ الله - تعالى - سيدنا محمداً ﷺ أن يقول للكفار الذين طلبوا منه أن يأتي بآية مثل الرسل السابقين، فيخبرهم أنه إنما يُنذَرُهم ويخوِّفُهم بالوحي، وإنَّ من لا يَتَعَطَّى بالذكر والدعاء فهو في منزلة الأصم الذي لا يسمع، وإنما سَمَّاهم (الصَّم) ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامُّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون. والتقييد بـ(إِذَا مَا يُنذَرُونَ) لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامُّهم وتجاسرهم^(٤٢٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ أن محمداً ﷺ لا يستطيع أن يُسْمِعَ الصَّمَّ الدعاء، بمعنى أنك يا محمد لا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدعاء.

يقول ابن زنجلة - رَحِمَهُ اللهُ -: «قرأ ابن عامر (ولا تُسْمِعُ) بالتاء مضمومة (الصُّمَّ) نصباً، أي أنت يا محمد لا تقدر أن تُسْمِعَ الصَّمَّ، كما قال سبحانه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] والصَّمَّ ها هنا المعرضون عما يتلى عليهم من ذكر الله فهم بمنزلة من لا يَسْمَعُ»^(٤٢٩).

أما القراءة الثانية - ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ - بالياء غيباً وفتحها وفتح الميم ورفع (الصُّمَّ) - فقد أفادت أن الصَّمَّ لا يسمعون الدعاء إذا ما يُنذَرُونَ، بمعنى أنه فعل للصم والصم حينئذ مرفوع على أنه فاعل (يَسْمَعُ).

(٤٢٧) انظر: لسان العرب ج ١٢ / ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٤٢٨) انظر: تفسير البضاوي ص ٤٤٢.

(٤٢٩) حجة القراءات ص ٤٦٧.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في معنى هذه القراءة: «ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكُر ما في وحي الله من المواعظ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلالة إذا تلي عليه، وأريد به: ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه فعل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به» (٤٣٠).

بالجمع بين القراءتين يتضح أن الكافر بالله لا يُصغي بسمع قلبه إلى الذكر، فيتعظ بما جاء فيه، ويقلع عن ضلالتة، لكنه في حكم الأصم الذي لا يسمع الدعاء؛ لهذا فإنك يا محمد لن تُسمع أولئك الكفرة الدعاء في حال إنذارك لهم؛ لأنهم بمنزلة الصم الذين لا يسمعون، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء: ٤٧].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ نافع، وأبو جعفر ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ برفع اللام.
- ٢ - وقرأ الباقون ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ بنصب اللام (٤٣١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مِثْقَالُ الشيء: ما آدَنَ وَزَنَهُ فَثَقُلَ ثِقْلَهُ... والمِثْقَالُ: وَزَنٌ معلوم قَدْرُهُ... والمِثْقَالُ في الأصل: مقدارٌ من الوزنِ أي شيء كان من قليل أو كثير، فمعنى مِثْقَالُ ذَرَّةٍ: وَزَنُ ذَرَّةٍ (٤٣٢).

(٤٣٠) تفسير الطبري مج ٩/ ج ١٧/ ص ٣٨.

(٤٣١) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢٤.

(٤٣٢) لسان العرب ج ١١/ ص ١٠٣.

ويقول الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ -: «ومثقال الشيء ميزانه: أي وإن كَانَ في غاية الخِفَّةِ والحِقَارَةِ؛ فَإِنَّ حَبَّةَ الخَرْدَلِ^(٤٣٣) مثلٌ في الصَّغَرِ^(٤٣٤)».

ثالثاً: التفسير:

يصفُ الله تعالى موقفاً من مواقف يوم القيامة، وهو موقف الحساب حين توضع الموازين العادلة لوزن أعمال العباد من حسنات وسيئات، حيث لا تُظلم نفس في مقدار حبة من خردل من عملها، وكفى بالله مُحاسباً للعباد على أعمالهم لأنه أعلم بها.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ العدل وهو (القِسْطُ) وجعل القسط وهو موخِّدٌ من نعت الموازين، وهو جمعٌ لأنه في مذهب عدلٍ ورضا ونظر. وقوله ﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ يقول: لأهل يوم القيامة، ومن وَرَدَ على الله في ذلك اليوم من خلقه، وقد كان بعض أهل العربية يوجهُ معنى ذلك إلى (في) كأنَّ معناه عنده: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ في يوم القيامة، وقوله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ يقول: فلا يظلم الله نفساً ممن وَرَدَ عليه منهم شيئاً بأن يعاقبه بذنب لم يعملهُ أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يُجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئاً إلا بإساءته... وقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾

(٤٣٣) الخردل: حبوب دقيقة كحب السمسَم هي بزور شجر يسمى عند العرب الخردل. واسمه في علم النبات (سيتايس)، وهو صنفان: برِّي، وبستاني. وينبت في الهند، ومصر، وأوروبا. وشجرته ذات ساق دقيقة ينتهي ارتفاعها إلى نحو متر. وأوراقها كبيرة. يُخرج أزهاراً صفراً منها تتكون بزوره إذ تخرج في مزادات صغيرة مملوءة من هذا الحب، تخرج خضراء ثم تصير سوداء مثل الخرنوب الصغير. وإذا دُقَّ هذا الحب ظهرت منه رائحة معطرة، إذا قُرِبت من الأنف شماً دَمَعَت العينان، وإذا وضع معجونها على الجلد أحدث فيه بعد هنيهة لدعاً وحرارة، ثم لا يستطيع الجلد تحملها طويلاً ويترك موضعه من الجلد شديد الحمرة؛ لتجمع الدم بظاهر الجلد، ولذلك يجعل معجونه بالماء دواء يوضع على المحل المصاب باحتقان الدم. انظر: التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٨٦.

(٤٣٤) فتح القدير ص ١١٣٥.

أَتَيْنَا بِهَا ﴿يَقُولُ: وَإِنْ كَانَ الَّذِي مَنَ عَمَلِ الْحَسَنَاتِ، أَوْ عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ
وَزَنَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا: يَقُولُ: جِئْنَا بِهَا فَأَحْضَرْنَاهَا إِيَّاهُ... وقوله:
﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ يَقُولُ: وَحَسَبُ مِنْ شَهِدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ بِنَا حَاسِبِينَ،
لَأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَا سَلَفَ فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ
مِنَّا﴾ (٤٣٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى - ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ برفع اللام - أنَّ
الموازين العادلة تُقَامُ يوم القيامة حتى إذا وقعت أو وُجِدَت حَبَّةٌ فِي غَايَةِ
الصُّغَرِ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَأْتِي بِهَا فَلَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً.

أما القراءة الثانية - ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ بنصب اللام - فقد
أفادت الدَّقَّةَ والعدَلَ فِي الْحِسَابِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي مِثْلِ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ، فَلَا
تَنْقُصُ الْحَسَنَاتُ شَيْئاً، وَإِنْ قَلَّ، وَلَا تَزِيدُ السَّيِّئَاتُ شَيْئاً وَلَوْ كَانَ فِي غَايَةِ
الصُّغَرِ.

يقول البغوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ
مِنْ خَرْدَلٍ﴾: «قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: (مِثْقَالُ) بِرَفْعِ اللَّامِ هَاهُنَا، وَفِي سُورَةِ
لَقْمَانَ، أَي: وَإِنْ وَقَعَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وَنَصَبُهَا الْآخَرُونَ عَلَى مَعْنَى: وَإِنْ كَانَ
ذَلِكَ الشَّيْءُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ، أَي زَنَّهُ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ» (٤٣٦).

بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمَوَازِينَ الْعَادِلَةَ الَّتِي تُنْصَبُ لِلْحِسَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ مِنَ الدَّقَّةِ بِحَيْثُ تَزَنُ أَدَقُّ الْأَشْيَاءِ، وَأَصْغَرُهَا، وَأَحْقَرُهَا، حَتَّى
وَإِنْ وَقَعَ أَوْ وُجِدَ لِنَفْسٍ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَأْتِي بِهَا
وَيُجَازِي عَلَيْهَا، سِوَاءَ أَكَانَتْ خَيْرًا أَوْ كَانَتْ شَرًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٨ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا

لِّلْمُنْقِبِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

(٤٣٥) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧/ص ٣٩.

(٤٣٦) تفسير البغوي ج ٥ - ص ٣٢١.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ قبل عن ابن كثير ﴿وَضِئَاءٌ﴾ بهمزتين.

٢ - وقرأ الباقر ﴿وَضِئَاءٌ﴾ بهمزة واحدة (٤٣٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ض و أ: «الضُّوءُ والضُّوءُ بالضم الضياءُ وضاءُ النارِ تضوءٌ ضُوءاً وضُوءاً وأضاءتْ أيضاً وأضاءت غيرها يتعدى يلزم» (٤٣٨).

معنى (وضياء): أنهم استضاءوا بها في ظلمات الجهل والغواية (٤٣٩).

ثالثاً: التفسير:

يقول الله - ﷻ -: ولقد آتينا موسى وهارون عليهما السلام ما انتصروا به على فرعون، وما فُرقَ به بين الحقِّ والباطل، وما استضاءوا به في ظلماتِ الجهل والضلالِ تذكيراً للمتقين.

يقول البغوي - ﷻ -: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ «يعني الكتاب المفرق بين الحقِّ والباطل وهو التوراة، وقيل الفرقان النصر على الأعداء كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يعني يوم بدرٍ لأنه قال: (وضياء) أدخل الواو فيه، أي: آتينا موسى النَّصْرَ والضياء وهو التوراة. ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: (وضياء) زائدة مقحمة معناه آتيناه التوراة ضياءً، وقيل: هو صفةٌ أخرى للتوراة (وذكراً) تذكيراً (للمتقين)» (٤٤٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى (وَضِئَاءٌ) بهمزتين ثِقَلٌ ما حوته التوراة وحملت

(٤٣٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٤.

(٤٣٨) مختار الصحاح ص ٤٠٣.

(٤٣٩) انظر: فتح القدير ص ١١٣٥.

(٤٤٠) تفسير البغوي ج ٥/ص ٣٢٢ (بتصرف).

لقوم موسى ﷺ من تعاليم وذكر، فإن هذه البيّنات التي اشتملت عليها هي في غاية الشدّة والثقل على قلوب الكافرين الذين عبدوا العجل؛ وذلك أنّ الهمزة حرف شديد مُستقل، وهي تدلّ على ما فيه ثقل وشدّة^(٤٤١).

في حين أنّ القراءة الثانية (وضياء) بهمزة واحدة ناسبت أنّ في التوراة ما يُضيء الظلام للمؤمنين المتّقين، حيث يجدون فيها الذكر الذي يتبعونه ليفوزوا بالنجاة في الدارين.

بالجمع بين القراءتين يتضح أنّ الله - تعالى - آتى موسى وهارون عليهما السلام التوراة فيها بيّنات تُضيء الظلام للمؤمنين؛ ليهتدوا بنورها، فتسهّل لهم الفوز، والنّجاة، لكنّها ثقيلة شديدة على عقول الكافرين وعلى قلوبهم، الذين صمّوا وعموا عنها، فلم يفقهوها، فكان عقابهم شديداً، والله أعلم.

٩- قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

﴿٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكسائي ﴿جِذَاذًا﴾ بكسر الجيم.

٢ - قرأ الباقون ﴿جُذَاذًا﴾ بضمّ الجيم^(٤٤٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الجَذُّ: الإسراع، الجَذُّ: القَطْعُ المُستأصل، الجَذُّ: الكَسْرُ، وفي المحكم: كسر الشيء الصلب، الجُذَاذ بالضمّ: حِجَارَةُ الذَّهَبِ لأنها تُكسّر^(٤٤٣).

﴿جُذَاذًا﴾: حطاماً، جِذَاذًا: قطعاً مقطوعة... هو أن يأخذ من كلّ عضوين عضواً، ويدع عضواً: من الجذ وهو القطع^(٤٤٤).

(٤٤١) انظر: شرح المفصل ج ٩/ص ١٠٧.

(٤٤٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٤.

(٤٤٣) انظر: تاج العروس ج ٢/ص ٥٥٥، وكتاب العين ج ٦/ص ١١.

(٤٤٤) تفسير القرآن ص ٣٣٨.

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ هذه الآية ما فعله إبراهيم عليه السلام بالآلهة التي كان يعبدوها قومه من دون الله، حيث اغتنم فرصة انشغالهم بعيدهم، وجاء بفأس، وأخذ يُحَطِّمُها حتى تركها كالهشيم، وأبقى على كبير الأصنام، فعلق الفأس في عنقه؛ رجاء أن يرجعوا إليه فيحاججهم، أو يرجعوا إلى كبيرهم، فيعلموا عجزه وتقصيره، فيرجعوا إلى دينه عليه السلام، فيعبدوا الله تعالى.

يقول البغوي - رحمه الله - في تفسير الآية: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قرأ الكسائي: (جِذَاذًا) بكسر الجيم أي: كسراً وقطعاً جمع جذيد، وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمه، مثل الحطام والرفات، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّمْ﴾ فإنه لم يكسره، ووضع الفأس في عنقه، وقيل: ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورصاص وشبة وخشب وحجر، وكان الصنم الكبير من الذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ قيل: معناه لعلهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه، إذا علموا ضعف الآلهة، وعجزها، وقيل: لعلهم إليه يرجعون، فيسألونه^(٤٤٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (جِذَاذًا) أن إبراهيم عليه السلام جعل آلهتهم قطعاً مقطعة فكان يأخذ من كل عضوين من أعضاء الأصنام عضواً ويترك عضواً.

في حين أفادت القراءة الثانية (جُذَاذًا) بضم الجيم أن الآلهة التي استأصلها إبراهيم عليه السلام أصبحت مقطعة بلا أصل لها بفعل فأسه فيها والتي كان معظمها من الذهب والفضة - وذلك أن حجارة الذهب تسمى جذاذاً بضم الجيم وكذلك حجارة الفضة الصغيرة كما جاء في تاج العروس في المعنى اللغوي لهذا الموضع - قد جعل القطع التي استأصلها حطاماً.

(٤٤٥) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٢٤، وانظر: التفسير القرآني للقرآن مج ٥ / ج ١٧ / ص

وقد ذكر الماوردي في قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ وجهين:

أحدهما: حُطاماً وهو تأويل من قرأ بالضم.

والثاني: قطعاً مقطوعة، وهو أن يأخذ من كل عضوين عضواً ويترك عضواً وهذا تأويل من قرأ بالكسر، مأخوذاً من الجذ وهو القطع^(٤٤٦).

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتبين أن إبراهيم عليه السلام قطع الآلهة التي كانت من المعادن الثمينة حيث كان غالبيتها من الذهب والفضة، فكان يأخذ مُسرِعاً من كل عضوين من أعضاء الآلهة عضواً ويترك عضواً، ثم إنه بالغ في تكسيرها وتقطيعها حتى جعلها قطعاً صغيرة كالحشيم فلم يُبق لها أصلاً، والله أعلم.

١٠ - قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُم كَيْدُهُمْ هَذَا فَتَوَلَّوْهُمْ إِنَّ كَاؤُا يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٣).

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف ﴿فَسَلَّوْهُمْ﴾ بالنقل^(٤٤٧).

٢ - وقرأ الباقون ﴿فَتَسَلَّوْهُمْ﴾ بغير نقل^(٤٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سأل: «س أ ل: السؤل ما يسأله الإنسان»^(٤٤٩).

«سألْتُ: أسأل، وسلْتُ: أسلُّ، والرُّجُلانِ يتساءلانِ ويتسايلانِ، وجمع

(٤٤٦) انظر: تفسير الماوردي ج ٣/ ص ٤٥١، مجاز القرآن ج ٢/ ص ٤٠، وغريب القرآن ص ٢٥٥.

(٤٤٧) هو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، فيتحرك ذلك الساكن بحركة الهمزة، وتسقط من اللفظ لسكونها، وهو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد، لغة لبعض العرب. انظر: النشر ج ١/ ص ٤٠٨.

(٤٤٨) انظر: المرجع السابق ج ١/ ص ٤١٤، ج ٢/ ص ٣٢٤.

(٤٤٩) مختار الصحاح ص ٣٢٦.

المَسْأَلَةُ مَسَائِلُ بِالْهَمْزِ، فَإِذَا حَذَفُوا الْهَمْزَةَ قَالُوا مَسَلَّةٌ، وَتَسَاءَلُوا: سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٤٥٠).

ثالثاً: التفسير:

يُجِيبُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى سَوَالِ قَوْمِهِ لَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي حَطَّمَ الْآلِهَةَ أَمْ لَا فَيَقُولُ: لَعَلَّ الَّذِي حَطَّمَهَا هُوَ كَبِيرُ الْآلِهَةِ غَضَباً مِنْهَا أَنْ تُعْبَدَ مَعَهُ فَاسْأَلُوهُمْ إِذَا أَمَكْنَهُم النُّطْقَ.

يقول «فلما أتوا به، ﴿قَالُوا﴾ له ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَتَّبِعُهُمْ؟﴾: ﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ، ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾ غَضَبَ مَنْ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ هَذِهِ الصِّغَارُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا فَكَسَرَهُمْ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ حَتَّى يَخْبُرُوا مِنْ فَعَلِ ذَلِكَ بِهِمْ^(٤٥١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿فَسَلُّوهُمْ﴾ بالنقل السرعة والإشارة عليهم بتجاوز العقبات والصعوبات لمعرفة الفاعل الحقيقي والإسراع بسؤال كبير الآلهة وحاشيته المَحْطَّمَة.

وأفادت القراءة الثانية ﴿فَسَلُّوهُمْ﴾ من غير نقل والإشارة عليهم بالتدقيق في سؤال الآلهة لمعرفة الفاعل.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ تَهْكُمْأُ بِهِمْ وَتَعْرِيفاً بِأَنْ مَا لَا يَنْطِقُ وَلَا يَعْرِبُ عَنْ نَفْسِهِ غَيْرُ أَهْلِ لِلْآلِهَةِ. وَشَمْلُ ضَمِيرٍ ﴿فَسَلُّوهُمْ﴾ جَمِيعِ الْأَصْنَامِ مَا تَحْطُمُ مِنْهَا وَمَا بَقِيَ قَائِماً. وَالْقَوْمُ وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَصْنَامَ لَمْ تَكُنْ تَتَكَلَّمُ مِنْ قَبْلِ إِلَّا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَرَادَ أَنْ يَقْنَعَهُمْ

(٤٥٠) لسان العرب ج ١١ / ص ٣٨٠.

(٤٥١) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٢٥.

بأن حدثاً عظيماً مثل هذا يوجب أن ينطقوا بتعيين من فعله بهم» (٤٥٢).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن إبراهيم عليه السلام يُقيمُ الحجّة على قومه بإجابته على سؤالهم بالإشارة عليهم بالإسراع بسؤال الآلهة والتدقيق في سؤالها، فلمعلّ كبير الآلهة غضب من كونها تُعبدُ معه فقام بتحطيمها واستئصالها، وهذا أمرٌ عظيمٌ يستوجب أن تكون عالمةً به لكونها آلهة، ولكنّ عدم إمكانية نطقها يضحّ العقبات أمام معرفة الفاعل، وحيث إنّها عاجزة عن النطق وعن الدفاع عن نفسها أمام ما وقع لها، فهي لا تستحقّ العبادة، وإنّما الذي يستحقّها هو الخالق الموجد لكل المخلوقات، والذي يستحقّ التفرد بالألوهية دونما شريك سبحانه، والله أعلم.

١١ - قال تعالى: ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴾ [الأنبياء: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب ﴿أَف﴾ بفتح الفاء من غير

تنوين.

٢ - وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص ﴿أَف﴾ بكسر الفاء مع التنوين.

٣ - وقرأ الباقون ﴿أَف﴾ بكسر الفاء من غير تنوين (٤٥٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«أَف: الأَفُ الوَسَخُ الذي حَوَلَ الظُّفْرَ والثَّفُ الذي فيه، وقيل: الأَفُ وَسَخُ الأَذْنِ، والثَّفُ وَسَخُ الأَظْفَارِ، يقالُ ذَلِكَ عِنْدَ اسْتِفْذَارِ الشَّيْءِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ يُضْجَرُ مِنْهُ، وَيَتَأَذَى بِهِ، والأَفُ الضُّجْرُ... أَفَ كَلِمَةُ تَضْجُرُ» (٤٥٤).

(٤٥٢) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ١٠٠، ١٠١.

(٤٥٣) انظر: الشرح ج ٢/ص ٣٠٦، ٣٢٤.

(٤٥٤) لسان العرب ج ٩/ص ٧ وانظر: الأساس ج ٧/ص ٣٤٧٥.

«(أف): اسم للفعل، ومعناه التضجر والكراهية، وبني على حركة لسكون ما قبل آخره، وقرئ بالحركات الثلاث منوناً، وغير منون مثقلاً، فالكسر فيه على أصل البناء، والفتح للتخفيف، والضم للاتباع، والتنوين للتنكير، وتركه للتعريف» (٤٥٥).

ثالثاً: التفسير:

يُظْهِرُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ تَضَجُّرَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَمِمَّا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْتَنْكَرُ وَيَسْتَقْبِحُ مِنْهُمْ تَعْطِيلَ عَقُولِهِمْ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِيمَا يَعْبُدُونَ؛ وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ.

يقول أبو السعود في تفسير قوله تعالى «أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»:

«تَضَجَّرَ مِنْهُ ﷺ مِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ الْبَيْنِ، وَإِظْهَارِ الْأَسْمِ الْجَلِيلِ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ لِمَزِيدِ اسْتِقْبَاحِ مَا فَعَلُوا، وَ(أَف) صَوْتُ الْمَتَضَجِّرِ وَمَعْنَاهُ: قُبْحاً وَنَشْأً، وَاللَّامُ لِبَيَانِ الْمَتَأَفِّ لَهُ (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أَي: أَلَا تَتَفَكَّرُونَ فَلَا تَعْقِلُونَ قُبْحَ صَنِيعِكُمْ» (٤٥٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أف) - بفتح الفاء من غير تنوين - الخِفَّة، أي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ أَظْهَرَ لَهُمْ تَضَجُّراً خَفِيفاً، حَيْثُ إِنَّ الْفَتْحَةَ هِيَ أَخْفُ الْحَرَكَاتِ (٤٥٧).

كما أفادت القراءة الثانية (أف) - بكسر الفاء مع التنوين - تَنْكِيرُ تَضَجُّرِ إِبْرَاهِيمَ وَكَرَاهِيَةِ إِبْرَاهِيمَ لَهُمْ حَيْثُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ أَظْهَرَ لَهُمْ وَلِمَا يَعْبُدُونَ

(٤٥٥) الفريد ج ٣/ ص ٢٦٨.

(٤٥٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٤٦.

(٤٥٧) انظر: شرح التصريح ج ١/ ص ٥٨، والموضع الأول من سورة طه ص ٢٩.

من دون الله كراهةً عَبَّرَ عنها بكلمة (أُفُّ) التي تدلُّ على التنكير؛ لتدلُّ على عظيم هذه الكراهة لهم.

أما القراءة الثالثة (أُفُّ) بكسر الفاء من غير تنوين فقد أفادت أنَّ كراهته لهم وتَضَجُّرُهُ منهم معروفة، أي الضجُّر والكراهية التي علمتموها.

يقول ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «(أُفُّ لَكُمْ) بفتح الفاء غير منوّن، قرأها ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب. والوجه أنه مبني على الفتح؛ لأنَّه اسم سُمِّيَ به الفعل، وما كان نحوه فَإِنَّهُ يُبْنَى على الفتح، نحو سُرْعَانَ وزُوَيْدَ، ومعناه المصدر، لأنَّ المراد التَّكْرَهُ والتَضَجُّر، وترك التنوين فيه يدلُّ على تعريفه.

وقرأ نافع، وحفص عن عاصم (أُفُّ) بالكسر والتنوين. والوجه أنه مبني أيضاً، لكنَّه على الكسر لالتقاء الساكنين، والتنوين لأجل التنكير والمعنى: كراهةٌ لكم.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وشعبة عن عاصم (أُفُّ) بالكسر من غير تنوين.

والوجه أنه مبني على الكسر كما ذكرنا، لالتقاء الساكنين، وترك تنوينه لكونه معرفة، ومعناه: الكراهةُ لكم» (٤٥٨).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّن أنَّ إبراهيمَ رَحِمَهُ اللهُ تَضَجَّرَ من قومه لعبادتهم الأصنام، فأظهرَ لهم هذا التَضَجُّر بكلمة (أُفُّ) التي هي أخفُّ كلمة يُعَبَّرُ بها عن التَضَجُّر، وهم - لا شك - يعرفونها ويعرفون مدلولها، حيثُ إنَّها معلومة لا تحتاجُ بياناً لها، لكنَّهم لا يعلمون القَدْرَ العظيم من التَضَجُّر الذي حوَّته هذه الكلمة الصغيرة، والله أعلم.

١٢ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح ﴿أَيِّمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَيِّمَةً﴾ بتسهيل الهمزة الثانية^(٤٥٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الإمام: «الإمام الذي يُقْتَدَى به، وجمعه أئمة»^(٤٦٠).

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «الأئمة: جمع إمام وهو القدوة والذي يُعمل كعمله. وأصل الإمام المثل الذي يصنع الشيء على صورته في الخير أو في الشر»^(٤٦١).

ثالثاً: التفسير:

يمتدح الله تعالى أنبياءه الذين جعلهم أهل خير وصلاح حيث جعلهم أئمة يهدون بأمر الله تعالى إلى الخير، وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويعبدون الله تعالى دون غيره.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً» أي: يقتدى بهم، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَكَاثُرًا لَنَا عِبْدِينَ﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به»^(٤٦٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى ﴿أَيِّمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين ما يعترض الذين يدعون إلى الله - تعالى - من صعوبات كثيرة من الكفار الذين يعاندون الرسل

(٤٥٩) انظر: النشر ج ١/ص ٣٧٨، ج ٢/ص ٣٢٤.

(٤٦٠) انظر: مختار الصحاح ص ٢٠، ولسان العرب ج ١٢/ص ٢٨.

(٤٦١) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ١٠٩.

(٤٦٢) تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٣٢٢.

والدعاة، حيث يَصُدُّهم كبرهم وعنادهم عن طريق الهدى فيصيرون بذلك أعواناً للشيطان في فتنة المؤمنين عن دينهم، وتعذيب الرسل والدعاة، وذلك يوحى به ثَقُلُ النطق بالهمزتين.

يقول مكي بن أبي طالب: «كانوا يُخَفِّفون المفردة استخفافاً، لثقل الهمزة المفردة، فإذا تكررت كان ذلك أعظم ثَقَلًا، فإذا لزمت كل واحدة منهما الأخرى كان ذلك أشدَّ ثَقَلًا» (٤٦٣).

وأفادت القراءة الثانية ﴿أَيَّمَةَ﴾ بتسهيل الهمزة الثانية أن الله - تعالى - يُسَهِّلُ أمر الدَّعوة للرسل والأنبياء الذين يدعون إليه - تعالى - وذلك بعصمته لهم وبتهوين الصعوبات أمامهم وبتسهيل مهمَّتهم وبحبِّهم الخير للناس الذين يدعونهم، وبما يرجونه من رضا الله تعالى.

وقد نقل الرازي عن الجبائي أن الله - تعالى - وهبهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به (٤٦٤).

يقول الزمخشري: «فيه أنَّ من صَلَحَ ليكونَ قُدوةً في دين الله فالهداية محتومةٌ عليه مأمورٌ هو بها من جهة الله، ليس له أن يُخِلَّ بها ويتناقل عنها، وأوَّل ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوسُ إلى الاقتداء بالمهدي أميل» (٤٦٥).

بالجمع بين القراءتين يُعَلِّمُ أنَّ الأنبياء هم الصفوة المختارة من الخلق، وقد وهبهم الله - تعالى - العصمة والصلاح في أنفسهم، إلى جانب الصبر، وقوة التحمُّل؛ ليكونوا قادرين على القيام بأعباء الدعوة إلى الله، ومواجهة التحديات، والعقبات التي تعترض طريقهم؛ وذلك حتى تُسَهَّلَ مهمَّتهم، فيؤدُّون ما أمرهم الله به على أتم وجه، والله أعلم.

١٣ - قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِّنْ بِأَسْكُمُ

(٤٦٣) الكشف ج ١/ص ٧٠.

(٤٦٤) انظر: تفسير الرازي ج ٢٢/ص ١٩١.

(٤٦٥) الكشف ج ٢/ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ بالتاء على التانيث.

٢ - قرأ أبو بكر عن عاصم، ورويس ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ بنون العظمة.

٣ - قرأ الباقون ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ بالياء على التذكير (٤٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حصن: «الحِصْنُ المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه وجمعه (حُصُونٌ) و(حَصْنٌ) بالضم (حَصَانَةٌ) فهو (حَصِينٌ) أي منيع ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: (أَخَصَّنْتُهُ) و(حَصَّنْتُهُ)» (٤٦٧).

«قُرئَ لِيُخَصِّنْكُمْ وَلِيُخَصِّنْكُمْ وَلِنُحَصِّنْكُمْ فَمَنْ قرأَ لِيُخَصِّنْكُمْ فالتذكير لِلْبُؤْسِ وَمَنْ قرأَ لِيُخَصِّنْكُمْ ذهبَ إلى الصنعة وإن شئت جعلته للدروع لأنها هي اللبوس وهي مؤنثة ومعنى لِيُخَصِّنْكُمْ لِيَمْنَعَكُمْ وَيُخَرِّزَكُمْ وَمَنْ قرأَ لِيُخَصِّنْكُمْ بالنون فمعنى لِيُخَصِّنْكُمْ نَحْنُ الْفَعْلُ اللهُ ﷻ» (٤٦٨).

ثالثاً: التفسير:

تبين هذه الآية نعمة أنعمها الله - سبحانه وتعالى - على داود والمؤمنين معه حيث علّمه طريقة صنع الدروع التي تحميهم من بطش الأعداء بهم في الحرب، وهذه نعمة يستوجب شكر الله عليها.

يقول البغوي - رحمه الله - في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ﴾: «والمراد باللبوس هنا الدروع لأنها تلبس، وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويُستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس

(٤٦٦) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢٤.

(٤٦٧) المصباح المنير ج ١/ ص ١٣٩.

(٤٦٨) لسان العرب ج ١٣/ ص ١٤٤.

والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح، والدروع يجمع الخفة والحصانة، ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ لتحرككم وتمنعكم، ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ أي حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، ... ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول^(٤٦٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ بالتاء على التأنيث تفيد أنَّ الصنعة هي التي تمنعهم من بطش العدو بهم وقد تكون الدرع لأنها مؤنثة.

أما القراءة الثانية ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ بنون العظمة فتُخبر به عن الله ﷻ لأنه هو الْمُخَصَّن لا الدرع.

بينما تُبَيِّنُ القراءة الثالثة ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ بالياء على التذكير أنَّ اللبوس هو الذي يحميكم فردّه على لفظ اللبوس لا على معناه، أو أنَّه الله تعالى لأنه الْمُخَصَّن حقيقةً وعليه ففي الآية التفاتٌ من الخطاب في ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ إلى الغيبة، بمعنى لِيُخَصِّنْكُمْ الله تعالى.

يقول البغوي رحمه الله: «قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ بالتاء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ وقرأ الآخرون بالياء، جعلوا الفعل لللبوس، وقيل: لِيُخَصِّنْكُمْ الله ﷻ»^(٤٧٠).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّن أنَّ الله تعالى هو الْمُخَصَّن حقيقةً وأنَّه علَّم داود عليه السلام طريقة صنع الدروع التي تجمع بين الخفة والحصانة ليلبسوها؛ فيحميهم بها من بطش العدو بهم في الحرب والقتال، والله أعلم.

(٤٦٩) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٣٥ (بتصرف).

(٤٧٠) تفسير البغوي ج ٥/ص ٣٣٥. وانظر: تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٣٥١، الدر المصون ج ٥/ص ١٠٣، نظم الدرر ج ٥/ص ١٠٢، مفاتيح الأغاني ص ٢٨١، والحجة في القراءات السبع ص ٢٥٠.

١٤ - قال تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿الرِّيحَ﴾ بالألف على الجمع.

٢ - وقرأ الباقر ﴿الرِّيحَ﴾ بغير ألف على الأفراد (٤٧١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الرِّيحُ»: نسيم الهواء وكذلك نسيم كل شيء وهي مؤنثة. والرِّيحُ واحدة الرِّياح (٤٧٢).

«والرِّيحُ أيضاً: الغلبة والقوة» (٤٧٣).

ثالثاً: التفسير:

سخر الله تعالى الرِّيحَ لنبيه سليمان عليه السلام تجري بأمره حيث يشاء ثم تعود به عاصفة سريعة الهبوب لتعود به إلى منزله بالشام، وكان الله - تعالى - عالماً أنه سيشكره على نعيمه.

يقول البغوي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: «أي: وسخرنا لسليمان الرِّيحَ، وهي هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحس بحركته، والرِّيح يذَّكر ويؤنث، ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاء، والرخاء: اللين؟ قيل: كانت الرِّيح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ علمناه، ﴿عَلِيمِينَ﴾

(٤٧١) انظر: النشر ج ٢/ ص ٢٢٣.

(٤٧٢) انظر: لسان العرب ج ٢/ ص ٥٣٤.

(٤٧٣) مختار الصحاح ص ٢٦٧.

بصحة التدبير فيه علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو
إلى الخضوع لربه عز وجل (٤٧٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تعددت أقوال المفسرين في استعمالات القرآن لكل من كلمتي الرِّيح
والرياح، فمنهم من اجتهد فأصاب الحقيقة، ومنهم من نظر لاستعمال القرآن
لإحدى الكلمتين في آية واحدة وأطلق حكماً عاماً لاستعمال القرآن لها في
غيرها من الآيات فأخطأ في اجتهاده.

وقد قام الأستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري ببحث استقرائي
لاستعمال القرآن لكل من الرِّيح والرياح وما ورد فيهما من قراءات، ثم
استخلص منها أن:

(الرِّيح) استعملت في الرحمة في خمسة عشر موضعاً ثم ذكر أسماء
السور التي وردت فيها، واستعملت في العذاب في اثني عشر موضعاً ثم
ذكر أسماء السور التي وردت فيها.

وأن (الرياح) استعملت في مواضع الرحمة في ثلاث عشرة آية، وذكر
أسماء السور التي وردت فيها، واستعملت في العذاب في أربع آيات، وذكر
أسماء السور التي وردت فيها ومن ثم قال:

«ونتيجة لكل هذا أرى أن الذي تطمئن إليه النفس أن:

- ١ - استعمال الريح في مواضع الرحمة مساوٍ لاستعمال الرياح فيها.
- ٢ - استعمال الرياح في مواضع الرحمة أكثر من استعمالها في مواضع
العذاب.
- ٣ - استعمال الريح في مواضع العذاب مُقاربٌ لاستعمالها في مواضع
الرحمة والثاني أكثر.

(٤٧٤) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٣٥، وانظر: تفسير القرآن العظيم مج ٨ / ص ٢٤٥٨ -

٤ - استعمال الرِّيح في مواضع العذاب أكثر من استعمال الرِّيح فيها» (٤٧٥).

أفادت قراءة ﴿الرِّيح﴾ بالألف على الجمع أنَّ هذه الرياح متعددة الأهداف والأغراض، كما أنَّ لها أسماء تختلف باختلاف اتجاهات هبوبها، فهناك الرِّيح التي تهبُّ من الشَّرْق والتي تسمَّى: (ريح الصِّبَا)، وهناك الرياح الموسمية، كما أنَّ هناك غيرها، بالإضافة إلى أنَّها تكون عاصفةً تارةً، وتكون ليّنةً رخاءً تارةً أخرى.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وتسخير الريح: تسخيرها لما تصلح له، وهو سير المراكب في البحر. والمراد أنها تجري إلى الشام راجعة عن الأقطار التي خرجت إليها لمصالح مُلك سليمان من غزو أو تجارة بقرينة أنها مسخرة لسليمان فلا بد أن تكون سائرة لفائدة الأمة التي هو مَلِكُها» (٤٧٦).

بينما أفادت قراءة ﴿الرِّيح﴾ بغير ألف على الأفراد أنَّ الرياح التي سَخَّرَها الله تعالى لسليمان هي جنس الريح مهما تعددت أهدافها وتغيَّرت اتجاهاتها، وهي أيضاً تسيَّرُ بأمر واحدٍ من البشر سَخَّرَها الله تعالى له وهو سليمان ﷺ، كما أفادت هذه القراءة أنَّ هذه الرِّيح المُسَخَّرَة لسليمان فيها الغلبة والقوَّة له ولجنوده، وأنَّها منقادة له بمجموعها انقياداً كلياً، وكأنَّها شيء واحد.

جاء في كتاب روح البيان: «فإنَّ تسخير ما سَخَّرَ له ﷺ من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلِّي له، والامتثال بأمره ونهيه، والمقهورية تحت ملكوته، فجيء بلام التمليك» (٤٧٧).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله - تعالى - سَخَّرَ الرِّيحَ لسليمان

(٤٧٥) الريح والرياح ص ٥١ - ٥٣.

(٤٧٦) التحرير والتنوير ج ١٧ / ص ١٢٣، ١٢٤. (بتصرف بسيط).

(٤٧٧) روح البيان مج ٥ / ص ٥١٧.

وحده دون غيره من البشر تجري بأمره فهي منقاد له انقياداً كلياً تُحقّق له كلّ ما أرادها منها، وهي وإن كانت متعدّدة الأغراض والمنافع، ومتعدّدة الاتجاهات التي تهبّ منها، وكونها عاصفةً أحياناً ورخاءً أحياناً أخرى، فهي واحدة من حيث كونها جنس الرياح، وقد سخرها الله - تعالى - لتنفيذ أوامر سليمان عليه السلام وحده من البشر، وهي التي فيها الغلبة والقوة لسليمان وجنوده على سائر أعدائهم.

١٥ - قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة ﴿مَسَّنِيَ﴾ بالياء ساكنة.

٢ - قرأ الباقون ﴿مَسَّنِيَ﴾ بفتح الياء (٤٧٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مسّ: (مَسَّ) الماء الجسد (مَسّاً): أصابه (٤٧٩).

«والمسّ: الإصابة الخفيفة» (٤٨٠).

ثالثاً: التفسير:

يطلب الله - عز وجل - من سيدنا محمد ﷺ أن يذكر نبيّ الله أيوب عليه السلام حين نادى ربه وهو في غاية التأدّب أن يكشف عنه الضرّ الذي أصابه.

يقول ابن عاشور في قصة أيوب عليه السلام: «وحاصلها أنه كان نبياً وذا ثروة واسعة وعائلة صالحة متواصلة، ثم ابتلي بإصابات لحقت أمواله متتابعة فأنت عليها، وفقد أبناءه السبعة وبناته الثلاث في يوم واحد، فتلقى ذلك بالصبر والتسليم. ثم ابتلي بإصابة قروح في جسده وتلقى ذلك كله بصبر

(٤٧٨) انظر: النشر ج ٢ / ص ٣٢٥.

(٤٧٩) المصباح المنير ج ٢ / ص ٥٧٢.

(٤٨٠) التحرير والتنوير ج ١٧ / ص ١٢٦.

وحكمة وهو يبتهل إلى الله بالتمجيد والدعاء بكشف الضر. وتلقى رثاء أصحابه لحاله بكلام عزيز الحكمة والمعرفة بالله، وأوحى الله إليه بمواعظ. ثم أعاد عليه صحته وأخلفه مالا أكثر من ماله وولدت له زوجة أولاداً وبنات بعدد من هلكوا له من قبل.

...و(إذ) ظرف قيد به إيتاء أيوب رباطة القلب وحكمة الصبر لأن ذلك الوقت كان أجلى مظاهر علمه وحكمته كما أشارت إليه القصة... فصار أيوب مضرب المثل في الصبر.

وقوله: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضَّرِّ﴾ بفتح الهمزة على تقدير باء الجر، أي نادى ربه بأني مسني الضر. والمس: الإصابة الخفيفة. والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما حلّ به من الضر كالمس الخفيف.

والضرّ بضمّ الضاد ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزال، أو في ماله من نقص ونحوه. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ أَزْكَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ التعريض بطلب كشف الضرّ عنه بدون سؤال فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمة تعريضاً بسؤاله...

وكونُ الله تعالى أرحم الراحمين لأن رحمته أكمل الرحمات لأن كل من رجم غيره فإما أن يرحمه طلباً للثناء في الدنيا أو للثواب في الآخرة أو دفعاً للركة العارضة للنفس من مشاهدة من تحقق الرحمة له فلم يخل من قصد نفع لنفسه، وإما رحمته تعالى عباده فهي خلية عن استجلاب فائدة لذاته العلية^(٤٨١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أوحى القراءة الأولى ﴿مَسْنِي﴾ بالياء ساكنة محذوفة لالتقاء ساكنين بشعور أيوب عليه السلام بصغر وحقارة ما مسّه من ضر.

(٤٨١) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٢٦، ١٢٧ (بتصرف).

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿مَسْنَى﴾ بفتح الياء تأدب أيوب عليه السلام مع ربّه، وشدة صبره على البلاء، إذ جعل ما أصابه من الضرّ كالمسّ الذي أصابه منذ وقت قصير، وكأنّه كان ضرره خاصاً بما في نفسه من مرض وهزال، وكأنّه لم يُصَب أيضاً في ماله وولده.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي : «لا شك أن الحركة القصيرة أقل حجماً وأقصر استمرارية من الطويلة»^(٤٨٢). كما أن الفتحة هي أخف الحركات^(٤٨٣).

وقد جاء في كتاب روح البيان: «الضرّ بالفتح شائع في كل ضرر، وبالضمّ خاصّ بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما»^(٤٨٤).

لا يسعني وأنا أجمع بين هاتين القراءتين إلا أن أقف وقفة إجلال وإكبار أمام عظيم صبر هذا النبي الكريم، وأنا أتعلّم منه التأدب مع الخالق المنعم - جلّ وعلا - وهو يستصغر ويستحقر ما أصابه من البلاء وقد ابتلي في ماله وولده وبذنه منذ ما يزيد على سبع سنين - على أكثر الأقوال - فإذا به يجعل ما أصابه من الضرّ كالمسّ الذي جعله خاصاً، وكأنّه أصابه في نفسه - فقط دونما المال والبنين - من مرض وهزال، وفي مدة قصيرة، والله أعلم.

١٦ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْلِظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب: ﴿أَنْ لَنْ يُقْدَرَ﴾ بالياء مضمومة وفتح الدال.

(٤٨٢) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٩.

(٤٨٣) أنظر: بلاغة الكلمة ص ١١٤.

(٤٨٤) روح البيان مج ٥/ ص ٥١٩.

٢ - وقرأ الباقون ﴿أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ﴾ بالنون مفتوحة وكسر الدال (٤٨٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الْقَدْرُ وَالْقَدَرُ: القضاء والحُكْم وهو ما يُقَدِّرُهُ اللهُ - ﷻ - من القضاء ويحكم به من الأمور» (٤٨٦).

ثالثاً: التفسير:

تحدثت هذه الآية عن جانب من قصة نبي الله يونس عليه السلام حين غادر قومه قبل أن يؤذن له، فقضى الله - تعالى - بالتضييق عليه بحبسه في بطن الحوت، وهناك نادى ربّه تائباً معترفاً بذنبه أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

يقول أبو السعود - ﷻ -: ﴿وَذَا لَلُنُّنِ﴾ أي: واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ أي مراغماً لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر، وقيل: وعذمهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك، وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرىء مُغْضِبًا ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لن نصيّق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر، ويؤيده أنه قرىء مشدداً أو لن نُعْمِلَ فيه قدرتنا، وقيل: هو تمثيل لحاله بحال مَنْ يظن أن لن نقدر عليه أي نعامله معاملةً من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] أي نعامله معاملةً من يحسب ذلك، وقيل: خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظناً للمبالغة، وقرىء بالياء مخففاً ومثقلاً مبنياً للمفعول ﴿فَنَكَدَى﴾ الفاء فصيحة أي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في

(٤٨٥) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٤.

(٤٨٦) لسان العرب ج ٥/ص ٨٩، وانظر: حاشية الشهاب ج ٦/ص ٤٦٢.

ظلمات بطنِ الحوتِ والبحرِ والليل، وقيل: ابتلع حوته حوتٌ أكبرُ منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ أي بأنه لا إله إلا أنت على أن مخففةً من أن وضميرُ الشأن محذوف، أو أي لا إله إلا أنت على أنها مفسرة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يُعجزك شيءٌ أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت إلى المهاجرة» (٤٨٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أَنْ لَنْ يُقَدَّرَ﴾ أن يونس عليه السلام ظنَّ أنه لن يُقَدَّرَ عليه ويُضَيَّقَ عليه في بطن الحوت، أو أنه - حين ذهب مغاضباً للملك (٤٨٨) الذي اختاره ليرسله للقتال - ظنَّ أن الملك لن يُقَدَّرَ عليه إذا غادر من بينهم. يقول ابن أبي مريم في هذه القراءة: «والوجه أن الفعل مبني لِمَا لم يُسَمِّ فاعله.

ويجوز أن يكون إنما قرأ كذلك لأنه حَمَلَ المعنى على أن يونس ذهب مغاضباً للملك، فظنَّ أن لن يُقَدَّرَ عليه الملك، فلهذا لم يُسند الفعل إلى الله تعالى» (٤٨٩).

في حين جاءت القراءة الثانية ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ﴾ بالتخصيص فأفادت أن يونس عليه السلام ظنَّ أن الله - تعالى - لن يُقَدَّرَ عليه الحبس في بطن الحوت، والتضييق عليه بهذه الكيفية.

يقول ابن أبي مريم - رحمه الله - في هذه القراءة: «والوجه أن الفعل مسندٌ إلى الله تعالى على لفظ التعظيم، كما أن ما بعده كذلك وهو قوله ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَيَّعْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

(٤٨٧) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٤٨٨) هو الملك حزقياء. انظر: الموضح ج ٢/ص ٨٦٥.

(٤٨٩) الموضح ج ٢/ص ٨٦٥ (بتصرف بسيط).

والمعنى في ﴿لَنْ نَقْدِرَ﴾: لن نُضَيِّقَ، وقيل لن نَقْدِرَ عليه ما قَدَرْنَاهُ من حبسه^(٤٩٠) في بطن الحوت، أي لن نَقْدِرَ، وهو من التقدير الذي هو التهيئة لإمضاء الأمر في الشيء، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (المرسلات: ٢٣) أي: فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْمُقْدِرُونَ^(٤٩١).

بالجمع بين القراءتين يَتَبَيَّنُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ذهب من بين قومه مُغَاضِباً لهم، أو للملِكِ ظَنًّا منه أَنَّ الملِكِ لن يَقْدِرَ عليه بخروجه من بينهم، وقد كان خروجه قبل أن يأذن الله - تعالى - له بالخروج مُعْتَقِداً أَنَّ عمله هذا لا يَسْتَوْجِبُ أَنْ يَقْدِرَ الله - تعالى - عليه ما قَدَرَهُ من التضييق عليه بحبسه في بطن الحوت، والله أعلم.

١٧ - قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَنِيِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨).

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم.

٢. وقرأ الباقر ﴿نُجِّي﴾ بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم^{(٤٩٢)(٤٩٣)}.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(نجا) النَّجَاءُ: الْخَلَاصُ مِنَ الشَّيْءِ»^(٤٩٤).

(٤٩٠) في كتاب الموضح (جنسه) وليس (حبسه).

(٤٩١) الموضح ج ٢/ص ٨٦٦. وانظر: تفسير النسفي ج ٣/ص ١٣٣، وفتح القدير ص ١١٤٢.

(٤٩٢) في كتاب النشر (الميم) بدلاً من (الجيم)، والمعنى يدل على حرف (الجيم)، فلا شك أنه خطأ مطبعي.

(٤٩٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٤.

(٤٩٤) لسان العرب ج ١٥/ص ٣٥٤.

ثالثاً: التفسير:

في الآية بشارة للمؤمنين بالنجاة من أي ضرر، أو بلاء يصيبهم؛ إذا ما استغاثوا بالله - تعالى - ودعوه أن يخلصهم منه.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: «يقول تعالى ذكره (فَاسْتَجِبْنَا) ليونس دعاءه إيانا، إذ دعانا في بطن الحوت، ونجينا من الغم الذي كان فيه بحبسه في بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)، يقول جل ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا»^(٤٩٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم أن الله - تعالى - ينجي المؤمنين من ضرر أصابهم بسرعة وخفة ولطافة، مرة بعد مرة إنجاءً متكرراً كثيراً.

يقول مكّي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، كأنه نجاة بعد نجاة»^(٤٩٦).

كما أفادت القراءة الثانية ﴿نُنْجِي﴾ بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم أن الله تعالى ينجي المؤمنين إنجاءً عظيماً كاملاً.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَكَذَلِكَ» أي ومثل ذلك الإنجاء العظيم الشأن والنجية ﴿نُنْجِي﴾ أي بمثل ذلك العظمة ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاءً عظيماً وننجيهم تنجية عظيمة، ذكرُ النجية أولاً يدل على مثلها ثانياً، وذكرُ الإنجاء ثانياً يدل على مثله أولاً، وسرُّ ذلك الإشارة إلى شدة العناية بالمؤمنين؛ لأنهم ليس لهم كصبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»^(٤٩٧).

(٤٩٥) تفسير الطبري مج/٩ ج ١٧/ص ٩٦، ٩٧.

(٤٩٦) الكشف ج ٢/ص ٩١.

(٤٩٧) نظم الدرر ج ٥/ص ١٠٦.

ويقول أبو السعود - رحمه الله - : «وكذلك أي مثل ذلك الإنجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالإخلاص لا إنجاء أدنى منه» (٤٩٨).

بالجمع بين القراءتين يستبشر المؤمنون بأن الله - تعالى - يُنجيهم إنجاءً عظيماً كاملاً بسرعة، وخفة، ولطافة، مرةً بعد مرة، إنجاءً مُتكرراً كثيراً، إذا استغاثوا به، ودعوه بإخلاص أن يكشف عنهم ما بهم من ضر، والله أعلم.

١٨ - قال تعالى: ﴿وَحَرِّمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٥) [الأنبياء: ٩٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر ﴿وَحَرِّمٌ﴾ بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَحَرَّمٌ﴾ بفتح الحاء والراء وألف بعدها (٤٩٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الْحَرْمُ بالكسر والحَرَامُ: نقيض الحلال وجمعه حُرْمٌ... وروي أيضاً عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿وَحَرِّمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ قال: واجب على قرية أهلكناها أنه لا يرجع منهم راجع أي لا يتوب منهم تائب. والحَرَامُ: ما حَرَّمَ الله» (٥٠٠).

«والحرام: الشيء الممنوع» (٥٠١).

ثالثاً: التفسير:

تَقَرَّرُ الآية سنةً في الكون قضاها الله تعالى وأنفذها في الكون

(٤٩٨) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٣٥٤.

(٤٩٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٤.

(٥٠٠) لسان العرب ج ١٢ ص ١٣٩ - ١٤٧.

(٥٠١) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ١٤٤.

والمخلوقات وهي عدم رجوع الكفار إلى الدنيا إذا نفذ أمر الله تعالى بإهلاكهم.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٥٠): «أي: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة، الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا ما فرطوا فيه فلا سبيل إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإمكان والإدراك» (٥٠٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:


أفادت القراءة الأولى ﴿وَحَرَّمَ﴾ وجوب عدم رجوع الكفار إلى الدنيا بعد إهلاكهم ليتداركوا ما فرطوا فيه، ووجوب رجوعهم إلى الله - تعالى - يوم القيامة للحساب والجزاء، على قول ابن عباس السابق أن ﴿وَحَرَّمَ﴾ بمعنى واجب.

وأفادت القراءة الثانية ﴿وَحَرَّمَ﴾ امتناع رجوع الكفار إلى الدنيا وامتناع توبتهم بعد إهلاكهم، على أن الحرام بمعنى الممتنع، أو نقيض الحلال، كما في المعنى اللغوي للكلمة.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٥٠): «فاعلم أن قوله: ﴿وَحَرَّمَ﴾ خبر فلا بد له من مبتدأ وهو إما قوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أو شيء آخر، أما الأول فالتقدير أن عدم رجوعهم حرام أي: ممتنع، وإذا كان عدم رجوعهم ممتنعاً، كان رجوعهم واجباً، فهذا الرجوع إما أن يكون المراد منه الرجوع إلى الآخرة، أو إلى الدنيا:

أما الأول: فيكون المعنى أن رجوعهم إلى الحياة في الدار الآخرة واجب، ويكون الغرض منه إبطال قول من ينكر البعث، وتحقيق ما تقدم أنه

لا كفران لسعي أحد، فإنه سبحانه سيعطيه الجزاء على ذلك يوم القيامة...
وأما الثاني: فيكون المعنى أن رجوعهم إلى الدنيا واجب، لكن المعلوم
أنهم لم يرجعوا إلى الدنيا، فعند هذا ذكر المفسرون وجهين:

الأول: أن الحرام قد يجيء بمعنى الواجب، والدليل عليه الآية
والاستعمال والشعر، أما الآية فقوله تعالى: ﴿قُلْ تَكَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا قُسْرُكُمْ بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] وترك الشرك واجب
وليس بمحرم، وأما الشعر فقول الخنساء (٥٠٣) -  -:

وإن حراماً لا أرى الدهر باكياً على شجوه إلا بكيت على عمرو (٥٠٤)

يعني وإن واجباً، وأما الاستعمال فلأن تسمية أحد الضدين باسم
الآخر مجاز مشهور كقوله تعالى: ﴿وَجَزَّاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]،
إذا ثبت هذا فالمعنى أنه واجب على أهل كل قرية أهلكتها أنهم لا
يرجعون...

الوجه الثاني: أن يترك قوله ﴿وَحَرَّمَ﴾ على ظاهره ويجعل في قوله:
﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ صلة زائدة كما أنه صلة في قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجَدَ﴾
[الأعراف: ١٢] والمعنى حرام على قرية أهلكتها رجوعهم إلى الدنيا وهو
كقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٥) [يس: ٥٠] أو
يكون المعنى وحرام عليهم رجوعهم عن الشرك وترك الأيمان، وهذا قول

(٥٠٣) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، من بني سليم من
قيس عيلان من مضر، الشهيرة بالخنساء، أشهر شاعرات العرب وأشعرهن على
الإطلاق، من أهل نجد عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام
فأسلمت، لها موقف شجاع مشرف يوم القادسية حين استشهد أربعة من أبنائها،
توفيت - رحمها الله - سنة أربع وعشرين للهجرة. انظر: الأعلام ج ٢/ ص ٨٦.

(٥٠٤) البيت للخنساء من قصيدة رثت فيها أخاها عمرو حين مات في الجاهلية. ولم أقف
على القصيدة فيما توفر لي من كتب الشعر الجاهلي، والبيت مذكور في لسان
العرب وفي تفسير الرازي كما هو موثق في الهامش.

طائفة من المفسرين، وهذا كله إذا جعلنا قوله وحرام خبراً لقوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أما إذا جعلناه خبراً لشيء آخر فالتقدير وحرام على قرية أهلكتها ذلك^(٥٠٥).

بالجمع بين القراءتين يكون في الآية حثٌ لكل مُكَلَّفٍ بالإسراع في الطاعات، وتسخير ما أنعم الله عليه به من فراغ وصحة وغنى في فعل الخيرات، فالحياة الدنيا قصيرة، والعمر ينقضي بسرعة فائقة، وسوف يُسأل العبد عنه يوم القيامة، وفي الحديث (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه)^(٥٠٦).

كما يوجد في الآية تحذيرٌ للكفار والعصاة بأنهم لن يعودوا للحياة الدنيا بعد هلاكهم لاستدراك ما فاتهم، فقد قضى الله - ﷻ - بامتناع توبتهم أو رجوعهم بعد إهلاكهم، فامتنع بذلك رجوعهم للدنيا، ووجب رجوعهم إلى الله - تعالى - يوم القيامة للحساب فأصبح هذا وذاك حتماً لازماً، والله أعلم.

١٩ - قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَتَحَتْ﴾:

١ - قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿فُتِحَتْ﴾ بتشديد التاء.

(٥٠٥) تفسير الرازي ج ٢٢/ص ٢٢٠، ٢٢١. وانظر: لسان العرب ج ١٢/ص ١٣٩ - ١٤٧.

(٥٠٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ / ص ٦٢٦ ح ١٨٣٧٢، وذكره الألباني بنحوه في صحيح الترغيب والترهيب ج ٣/ص ٢٢٧ ح ٣٥٩٣ وقال: صحيح لغيره. وانظر: مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ / ص ١٢٥ ح ٣٤٦٩٤، وكنز العمال ج ١٤/ص ٤٤٦ ح ٣٩٠١١.

٢ - وقرأ الباقون ﴿فُتِحَتْ﴾ بتخفيف التاء (٥٠٧).

القراءات في ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾:

١. قرأ عاصم ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز.

٢. وقرأ الباقون ﴿يَاْجُوجُ وَمَاْجُوجُ﴾ بغير همز (٥٠٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يأجوج: (أجج) الأَجِيجُ تَلْهَبُ النار، الأَجَّةُ والأَجِيجُ صوت النار، وأَجَجَ بينهم شراً: أوقده، وأَجَّةُ القوم وأَجِجُهُم: اختلاطُ كلامهم مع خفيف مشيهم، وقولهم القومُ في أَجَّةٍ أي: في اختلاط، وجَأَجَ إذا وقف جُبْنًا، وأَجَّ الرَّجُلُ يَثِجُ أَجِيجًا: صَوْتُ، وَأَجَّ يَوْجُ أَجًا: أسرع، الأَجُّ: الإسراعُ والهَزُولَةُ، والأَجِيجُ والأُجَاغُ والاثْتِجَاغُ: شِدَّةُ الحرِّ، وماءُ أَجَاغٍ أي: ملح، وقيل مرٌ وقيل: شديد المرارة، وقيل الأُجَاغُ: الشديد الحرارة، وكذلك الجمع. قال الله ﷻ: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، [فاطر: ١٢] وهو الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر (٥٠٩).

مأجوج: معجج: المأج من الناس والإبل: الذي لا يستطيع أن يُمَسِكَ رِيقَهُ من الكِبَر، والمأج: الأَحْمَقُ الذي يَسِيلُ لُعَابُهُ، يقال: أَحْمَقُ مأجٌ للذي يسيل لعابه، وقيل: هو الأَحْمَقُ مع هَرَمٍ، وجمع المأج من الإبل: مَجَجَةٌ، وجمع المأج من الناس: مأجُونٌ، والمأج: البعير الذي قد أَسَنَّ وسالَ لُعَابَهُ، والمأج: الناقة التي تَكْبُرُ حتى تَمُجَّ الماءَ من حَلْقِهَا، والمَجَجُ: استرخاءُ الشَّدَقَيْنِ نحو ما يَغْرُضُ للشيخ إذا هَرَمَ، والمَجْمَجَةُ: تَغْيِيرُ الْكِتَابِ وإفساده عما كُتِبَ، وفي بعض الكتب: مُرُوا المَجَاجَ بفتح الميم أي: مُرُوا الْكَاتِبَ يُسَوِّدُهُ، سَمِيَ بِهِ لِأَنَّ قَلَمَهُ يَمُجُّ الْمِدَادَ، والمَجُّ والمُجَاغُ: حَبٌّ كَالْعَدَسِ إِلَّا أَنَّهُ أَشَدَّ اسْتِدَارَةً مِنْهُ، المَجَّةُ: حَمْضَةٌ تُشَبِّهُ

(٥٠٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٥٨، ٣٢٤.

(٥٠٨) انظر: المرجع السابق ج ١/ص ٣٩٤، ج ٢/ص ٣٢٤.

(٥٠٩) انظر: لسان العرب ج ٢/ص ٢٣٤.

الطَّخْمَاءُ^(٥١٠) غير أنها أطف وأصغر، وأَمَجَّ القَرَسُ: جَرى جَرِيّاً شديداً، المُمَجُّ: السُّكاري، والمُمَجُّ: النُّخل، وأَمَجَّ الرجلُ: إذا ذهبَ في البلادِ، وأَمَجَّ إلى بلدٍ كذا: انطَلَقَ، ومَجَمَجَ الكتابُ: خَلَطَهُ وأفسدَهُ، المَجَمَجَةُ: تَخْلِيطُ الكتابِ وإفسادُهُ بالقلم، ومَجَمَجْتُ الكتابَ: إذا تَبَجَّجْتَهُ ولم تُبَيِّنِ الحروفَ، ومَجَمَجَ الرجلُ في: خَبِرَهُ لم يبينه، ورجلٌ مَجَمَاجٌ كَبَجَبَاجٍ: كثير اللحم غليظه^(٥١١).

«يأجوج ومأجوج: قوم من المغول كثيرو الإفساد، قيل هم قبيلتان من ذرية يافث بن نوح»^(٥١٢).

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ هذه الآية إحدى علامات الساعة الكبرى وهي خروج قبيلتي يأجوج ومأجوج بعد فتح السد الذي كان يمنعهما من الخروج بإذن الله تعالى.

يقول السعدي^(٥١٣) - رَحِمَهُ اللهُ -: «هذا تحذير من الله للناس أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سدَّ عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله من كل مكان مرتفع، وهو الحذب (ينسلون) أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في

(٥١٠) الطَّخْمَاءُ بَنَتُهُ سَهْلِيَّةٌ حَمْضِيَّةٌ، والطَّخْمَاءُ أيضاً التَّجِيل، وهو خَيْرُ الحَمْضِ كُلِّهِ وليس له حَطَبٌ ولا حَشَبٌ إنما يُنْبَتُ نباتاً تَأْكُلُهُ الإبل. انظر: لسان العرب ج١٢/ صفحة ٤١٩.

(٥١١) انظر: لسان العرب ج٢/ ص ٤٢٢، ٤٢٤.

(٥١٢) المبصر ج٦ / ص ٢٠.

(٥١٣) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة ١٣٥٨هـ، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ١٣٦٧هـ. انظر: الأعلام ج٥/ ص ٣٤٠.

الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم»^(٥١٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فُتِحَتْ﴾ التكثير والتكرير.

بينما أفادت قراءة ﴿فُيْحَتْ﴾ أَنَّ سَدَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ الذي يُفْتَحُ هو سَدٌّ واحدٌ، ويفتح بكامله دفعة واحدة.

يقول مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «قرأ ابن عامر بالتشديد، وخَفَّفَ الباقر، وهما لغتان، وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، والتخفيف فيه أَبَيْنُ لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ: حَتَّى إِذَا فُتِحَ سَدُّ يَأْجُوجَ. فهو واحد، فلا معنى للتكثير. وقيل: التشديد أقوى، لِأَنَّ تَمَّ سَدًّا وَبِنَاءً وَرَدْمًا. فالفتح لأشياء مختلفة يكون، والتشديد أولى به»^(٥١٥).

أما فيما يتعلق بقراءة ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بغير همز فإنها تبيِّن اسم تينك القبيلتين المُفْسِدَتَيْنِ في الأرض، وهما اسمان أعجميان لتينك القبيلتين، وقد يكون الاسمان عربيين وعندها فلهما اشتقاق في العربية.

يقول ابن منظور: «وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ: قبيلتان من خلق الله جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز، قال: وجاء في الحديث (أَنَّ الخلق عشرة أجزاء تسعة منها يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ)^(٥١٦) وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أَجَبِ النَّارِ، ومن الماء الأجاج وهو الشديد الملوحة الْمُخْرِقُ من ملوحته، قال: ويكون التقدير في يَأْجُوجَ يَفْعُول، وفي مأْجُوجَ

(٥١٤) تفسير السعدي ص ٥٣١، وانظر: زهرة التفاسير مج ٩/ ص ٤٩١٧ - ٤٩١٨.

(٥١٥) الكشف ج ٢/ ص ١١٤. وانظر: المغني لمحيسن ج ٣/ ص ٤٤، والموضح ج ٢/ ص ٨٦٨.

(٥١٦) أخرجه الحاكم في المستدرک، ج ٤/ ص ٥٣٦، ح ٨٥٠٦، كتاب الفتن والملاحم، وقال: صحيح الإسناد.

مفعول كأنه من أجيح النار، قال: ويجوز أن يكون يأجوج فاعولاً، وكذلك مأجوج، قال: وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تُشتق من العربية، ومن لم يهمز وجعل الألفين زائدتين يقول: يا جوج من يَجَجْتُ، وما جوج من مَجَجْتُ وهما غير مصروفين قال رؤية^(٥١٧):

لو أن يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ معاً وعَادَ عَادٌ وَاسْتَجَاشُوا^(٥١٨) تُبْعَا^(٥١٩)(٥٢٠)

بينما قراءة ﴿يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ بالهمز فإنها تشيرُ إلى صفات تينك القبيلتين.

وقد جاء في حديث لرسول الله ﷺ ذكر بعض صفاتهم في قوله ﷺ: (. . .) ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف^(٥٢١) في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط

(٥١٧) هو رؤية بن عبد الله العجاج بن رؤية التميمي السعدي، أبو الجحاف، أو أبو محمد: من الفصحاء المشهورين، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتججون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسن سنة ١٤٥ هـ. انظر: الأعلام ج ٣/ ص ٣٤.

(٥١٨) «اسْتَجَاشَهُ: أي طَلَبَ منه جيشاً». لسان العرب ج ٦/ ص ٢٧٧.

(٥١٩) البيت لرؤية من ديوانه، ولم أقف على ديوانه، ولكن بيت الشعر موجود في تهذيب الآثار ج ١/ ص ١٠١.

(٥٢٠) لسان العرب ج ٢/ ص ٢٣٤.

(٥٢١) «التَّعَفُّ بِفَتْحَتَيْنِ وَغَيْنِ مَعْجَمَةُ الدُّودِ الَّذِي يَكُونُ فِي أُنُوفِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ الْوَاحِدَةُ نَعْفَةٌ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْضاً قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَهُوَ أَيْضاً الدُّودُ الْأَبْيَضُ الَّذِي يَكُونُ فِي النُّوَى إِذَا أَنْعَقَ وَفِي الْحَدِيثِ (إِنْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ يَسْلُطُ عَلَيْهِمُ التَّعَفُّ فَيَأْخُذُ فِي رِقَابِهِمْ)». مختار الصحاح ص ٦٨٨.

نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم^(٥٢٢) ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت^(٥٢٣) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله...^(٥٢٤).

يقول ابن عطية - رَحِمَهُ اللهُ -: «يأجوج ومأجوج: قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعاً كثيرة، اختلف الناس في عددها، فاختصرت ذكره لعدم الصحة، وفي خلقهم تشويه: منهم المفرط الطول، ومنهم مفرط القصر، على قدر الشبر، وأقل، وأكثر، ومنهم صنف: عظام الأذان، الأذن الواحدة وبرة، والأخرى زعري يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى، وهي تعمه»^(٥٢٥).

ويقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: في يأجوج ومأجوج: «قد ذكرنا أنهما من أولاد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَام...، واختلف في صفاتهم فقليل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قَدَّهم على شبر واحد، وقيل: في نهاية عَظَمِ الجسم وطولِ القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعاً، وفيهم من عَرَضَهُ كذلك، وقيل لهم مخالِبٌ وأضراسٌ كالسباع.

وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، وقيل عربيان من أج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمزة - كما قرأ عاصم - وقد قرئ بغير همزة، ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث يفسدون في الأرض أي في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه، وقيل كانوا يأكلون الناس أيضاً»^(٥٢٦).

(٥٢٢) زهمهم: (ز ه م: الزُّهُمَةُ: الريح المتتنة). مختار الصحاح ص ٢٨٠.

(٥٢٣) البخت: «البُخْتِيُّ الأُنثى من الجمال البُخْتِ وهي جمالٌ طوالُ الأعناق ويُجَمَعُ على بُخْتٍ وبُخَاتٍ وقيل الجمع بُخَاتِي غير مصروف». لسان العرب ج ٢/ ص ١٠.

(٥٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤/ ص ٢٢٥٠/ ح ٢٩٣٧، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في صفة الدجال.

(٥٢٥) المحرر الوجيز ج ٣/ ص ٥٤٢.

(٥٢٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٥٣١.

بالجمع بين القراءات الأربع نجد أنَّ في الآية تحذيراً لكلِّ البشر من شر اقترَب وهو فتح السد الذي يحجزُ تينك القبيلتين المسميتين بأجوج ومأجوج، واللّتين تتصفان بصفات كثيرة أذكر منها ما أعانني الله - تعالى - على استنباطه من أقوال علماء اللغة والمفسرين وهي:

١ - هم خلقٌ كثيرٌ العدد حيث ورد أنَّهم تسعة أعشار البشر، ولا يموت الرجل منهم حتى يرى ألفاً من صلبه.

٢ - يتَّصفون بالجبن والحمق والشراسة حتى إنَّ أحدهم لا يستطيع أن يمسك لعبه عن السيلان.

٣ - منهم مفراط الطول، ومنهم مفراط القصر ومنهم المتوسط، كما أنَّ الغالب على أجسادهم كثرة اللحم وغلظته، ومنهم صنف: عظام الأذن، الأذن الواحدة وبرة^(٥٢٧) والأخرى زعري^(٥٢٨) يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تَعْمُه^(٥٢٩).

٤ - منهم من يتَّصف باسترخاء الشدقين كما الرجل الكبير الهرم.

٥ - سريعون في مشيتهم وتشبه مشيتهم مشية الذئب، ينسلون من الهضاب والمرتفعات كما في قوله تعالى ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، وهم يذهبون في البلاد وينطلقون فيها.

٦ - حيثما حلُّوا يَحُلُّ الخراب والدمار فهم يُدْمَرُونَ كلَّ شيءٍ ويأكلون الأخضر واليابس، ولا يُبقون على شيء، وقد قيل إنَّهم يأكلون البشر أيضاً.

٧ - تأثيرهم مثل أجيج النار والماء الأجاج، وإنَّ في تسميتهم بهذا الاسم نوعاً من الإعجاز، فاسمهم يدل عليهم وجميع ما ذكرته من صفات فمن المعنى الاشتقائي، فمثلاً بأجوج: من أَجَّتِ النارُ أو الماء الأجاج وهو

(٥٢٧) وبرة: «الْوَبْرُ للبعير كالصُوف للغنم». انظر: المصباح المنير ج ٢/ص ٦٤٦.

(٥٢٨) زعري: «زع ر: الزَّرْعُ: قلة الشعر». مختار الصحاح ص ٢٨٠.

(٥٢٩) تعمه: «عَمَّ الشيء يعم بالضم عُمُوماً أي شمل الجماعة». مختار الصحاح ص ٤٦٧.

الشديد الملوحة المُخْرِقُ من ملوحته. والله - تعالى - أعلم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿يُخْزِنُهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الزاي.

٢ - وقرأ الباقون ﴿يَخْزِنُهُمْ﴾ بفتح الياء وضم الزاي (٥٣٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الْحَزْنُ وَالْحَزَنُ نقيضُ الفرح وهو خلافُ الشُّرور... والمثالان يَغْتَقِبَانِ هذا الضَّرْبَ باطِّرادٍ، والجمعُ أَحْزَانٌ لا يَكْسُرُ على غير ذلك، وقد حَزَنَ بالكسر حَزَنًا، وتَحَازَنَ، وتَحَزَّنَ، ورجل حَزَنَانٌ ومِحْزَانٌ: شديد الحُزْنِ، وحَزَنَهُ الأمرُ يَخْزِنُهُ حُزْنًا، وأَحْزَنَهُ فهو مَحْزُونٌ ومُحْزَنٌ وحَزِينٌ وحَزَنَ الأخيرة على النِّسب من قوم حِزَانٍ وحُزَنَاءَ، الجوهري: حَزَنَهُ لَغَةً قريش وأَحْزَنَهُ لَغَةً تميم وقد قرئ بهما» (٥٣١).

«والفزع: نفرة النفس وانقباضها مما تتوقع أن يحصل لها من الألم وهو قريب من الجَزَع» (٥٣٢).

ثالثاً: التفسير:

يكون المؤمن يوم القيامة آمناً من فزع ذلك اليوم الذي يهابه كل مخلوق، حيث تستقبلهم الملائكة عند خروجهم من قبورهم لتبشّرهم بما أعدَّ الله لهم من النعيم.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَخْزِنُهُمُ الْفَزَعُ

(٥٣٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٤٤، ٣٢٤.

(٥٣١) لسان العرب ج ١٣/ص ١٣٤.

(٥٣٢) التحرير والتنوير ج ١٧/١٥٦.

الْأَكْبَرُ: «أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر، وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه، وأن الله قد آمنهم مما يخافون. ﴿وَنَلَقْنَهُمْ أَلْمَازِيَةً﴾ إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفدأ، لنشورهم، مهتئين لهم قائلين: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما آمنكم الله من المخاوف والمكاره» (٥٣٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿يُخْزِنُهُمْ﴾ عدم تعرض المؤمنين لأدنى وأخف أنواع الحزن.

في حين تفيد القراءة الثانية ﴿يَخْزِنُهُمْ﴾ أن المؤمنين في أمان من هذا الفزع الأكبر مهما اشتد وكان كبيراً، أي أنه لا يفزع فرعاً شديداً.

يقول ابن منظور - رَحِمَهُ اللهُ -: «للعرب في الحزن لغتان: إذا فَتَحُوا ثَقَلُوا، وإذا ضَمُّوا خَفُّوا؛ يُقال: أصابه حَزَنٌ شَدِيدٌ» (٥٣٤).

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: قوله: (لا يَخْزِنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) يعني النفخة الآخرة. وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمن منه، فهو مما بعده أخرى أن لا يَفْزَعَ، وأن من أفرعه ذلك فغير مأمونٍ عليه الفزع مما بعده (٥٣٥).

ويقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقوله تعالى: ﴿لَا يَخْزِنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ بيان لنجاتهم من الأفراع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار، لأنهم

(٥٣٣) تفسير السعدي ص ٥٣١.

(٥٣٤) لسان العرب ج ١٣/ص ١٣٤.

(٥٣٥) انظر: تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧/ص ١١٨.

إذا لم يُحزَنُهم أكبرُ الأفزع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة» (٥٣٦).

بالجمع بين القراءتين يتضح أنَّ المؤمن يوم القيامة لا يُصيبه أي نوع من أنواع الفزع، سواء أكان خفيفاً أم ثقیلاً، وهذه بشارَةٌ للمؤمن الذي يخشى الله - تعالى - في الدنيا بأن يؤمنه الله - تعالى - يوم القيامة من أي نوع من أنواع الفزع، والله أعلم.

٢١ - قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ﴾:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ بالتاء مضمومة على التانيث وفتح الواو ورفع السماء.

٢ - وقرا الباقون ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ بالنون مفتوحة وكسر الواو، ونصب السماء.

القراءات في ﴿لِلْكُتُبِ﴾:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بضمة الكاف والتاء من غير ألف على الجمع.

٢ - وقرا الباقون ﴿لِلْكِتَابِ﴾ بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد (٥٣٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

طَوَى: الطَّيَّى: نقيضُ النَّشْرِ (٥٣٨).

(٥٣٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٦٠.

(٥٣٧) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٥٣٨) انظر: لسان العرب ج ١٥/ ص ١٩.

السَّجِلُّ: كتاب العهد ونحوه، والجمع: سَجَلَات... وجاء في التفسير: أَنَّ السَّجِلَّ الصحيفة التي بها الكتاب، وقيل السَّجِلُّ مَلَك، وقيل السَّجِلُّ بلغة الحبش: رجل^(٥٣٩). الكتاب: «كَتَبَ: من باب نَصَرَ وَكَتَبَاً أَيْضاً وَكِتَابَةً، وَكِتَابُ أَيْضاً: الفرض والحكم والقدر»^(٥٤٠).

ثالثاً: التفسير:

تصف هذه الآية مشهداً من مشاهد يوم القيامة حيث تُطَوَّى السَّمَاءُ كما تُطَوَّى الصحيفة.

يقول الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقد رُتِبَ نظم الجملة على التقديم والتأخير لأغراض بليغة. وأصل الجملة: نَعِيدُ الْخَلْقَ كما بدأنا أَوَّلَ خَلْقِ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ وَغَدَاً عَلَيْنَا. فَحَوَّلَ النِّظْمُ فَقَدَّمَ الظَّرْفَ بَادِئٍ ذِي بَدَءٍ لِلتَّشْوِيقِ إِلَى مَتَعَلِّقِهِ، وَلَمَّا فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي أُضِيفَ إِلَيْهَا الظَّرْفُ مِنَ الْغَرَابَةِ وَالطَّبَاقِ، إِذْ جَعَلَ ابْتِدَاءَ خَلْقٍ جَدِيدٍ وَهُوَ الْبَعْثُ مُؤَقَّتاً بِوَقْتِ نَقْضِ خَلْقٍ قَدِيمٍ وَهُوَ طَيُّ السَّمَاءِ، وَقَدَّمَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ وَهُوَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَنْصُوبِ فِي ﴿نُعِيدُهُمْ﴾ لِلتَّعْجِيلِ بِإِيرَادِ الدَّلِيلِ قَبْلَ الدَّعْوَى لِتَتِمَّ كُنْ فِي النَّفْسِ فَضْلاً تَمَكَّنَ. وَكُلَّ ذَلِكَ وَجْوهٌ لِلْاهْتِمَامِ بِتَحْقِيقِ وَقُوعِ الْبَعْثِ، فَلَيْسَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ مَتَعَلِّقاً بِمَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُنَاقِلُهُنَّ الْمَلَكُوتَ﴾ وَعَقِبَ ذَلِكَ بِمَا يَفِيدُ تَحَقُّقَ حَصُولِ الْبَعْثِ مِنْ كَوْنِهِ وَغَدَاً عَلَى اللَّهِ بِتَضَمُّينِ الْوَعْدِ مَعْنَى الْإِجَابِ، فَعَدِي بِحَرْفِ (عَلَى) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَا عَلَيْنَا﴾ أَيْ حَقّاً وَاجِباً وَجُمْلَةً ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ مُؤَكِّدَةً بِحَرْفِ التَّوَكِيدِ لِنُزِيلِ الْمُخَاطَبِينَ مَنْزِلَةً مِنْ يَنْكُرُ قُدْرَةَ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمَّا نَقَّوْا الْبَعْثَ بَعْلَةً تَعْذِرُ إِعَادَةَ الْأَجْسَامِ بَعْدَ فَنَائِهَا فَقَدْ لَزِمَهُمْ إِحَالَتُهُمْ ذَلِكَ فِي جَانِبِ قُدْرَةِ اللَّهِ»^(٥٤١).

(٥٣٩) انظر: المرجع السابق ج ١١/ص ٣٩٠.

(٥٤٠) مختار الصحاح ص ٥٨٦.

(٥٤١) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ١٥٨.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿تَطْوِي السَّمَاءَ﴾ على البناء للمفعول أَنَّ السماء يوم القيامة تتلاشى وتُطَوَّى كطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ، وفيها تعظيم شأن السماء.

«إنها صورة كونية هائلة، اختصرت في كلمة واحدة ﴿تَطْوِي﴾، عملية هائلة وعظيمة هي حدث انهيار الكون يوم القيامة فجاء التعبير القرآني المعجز وعبر عنها هذا التعبير العجيب»^(٥٤٢).

وأفادت القراءة الثانية ﴿تَطْوِي السَّمَاءَ﴾ بالبناء للفاعل تعظيم الخالق - ﷻ - بتخصيص فعل طَيَّ السماء بالخالق - ﷻ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَبَيِّنُهُ سُبْحَتُهُمْ وَقَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

أما بالنسبة لكلمة ﴿لِلْكِتَابِ﴾ فأفادت القراءة الأولى ﴿لِلْكِتَابِ﴾ بالجمع أَنَّ السماوات جميعها هي التي سَتُطَوَّى وليس سماء واحدة.

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿لِلْكِتَابِ﴾ بالإفراد أَنَّ كُلَّ سماءٍ من السموات السبع سَتُطَوَّى كما يطوي الطاوي السَّجِلَّ فيه الكتاب.

يقول مكِّي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وحجة من وَحَدَ أَنَّ ابن عباس قال: السَّجِلُّ الرَّجُلُ، فالتقدير: كطَيِّ الرَّجُلِ الصحيفة... السَّجِلُّ مَلَكٌ يطوي الكتاب. فيكون (طي) على هذين القولين مضافاً إلى الفاعل، واللام في (للكتاب) زائدة... السَّجِلُّ الصحيفة بعينها، والمعنى: كطَيِّ الصحيفة فيها الكتب. فيكون المصدر مضافاً إلى الفعل. والتقدير: كطَيِّ الطاوي السَّجِلُّ فيه الكتب أي يدرج الكتب فيها. وتكون اللام غير زائدة، دخلت للتعدي، أي قد تعدَّت الطَيُّ إلى مفعول وهو السَّجِلُّ، فيكون التوحيد على لفظ السماء، شبه تعالى ذكره، طيه للسماء كطَيِّ الْمَلِكِ للكتاب.

وحجة من قرأ بالجمع أَنَّ لفظ السماء موحد، يراد به الجمع، لأنَّ

(٥٤٢) صور من سور القرآن ص ١٠٦.

السموات كلها تُطَوَّى، ليس تُطَوَّى سماء واحدة، بدليل قوله تعالى ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وإذا كان السماء يُراد بها الجمع، فمعناه: يوم تطوي السماوات كطي المَلِكِ للكُتُب، فأثت الكتب بالجمع... فالقراءة الأولى محمولة على لفظ السماء في التوحيد^(٥٤٣).

بالجمع بين القراءات الأربع يلاحظ أنَّ الآية تُصَوِّرُ مشهداً من مشاهد يوم القيامة حين يطوي الله - سبحانه وتعالى - كلَّ سماء من السماوات السبع، كطي المَلِكِ للكُتُب، فليحذر المخالفون لأوامر الله - تعالى - العاصون له ذلك اليوم العصيب، وليملأ المؤمنون قلوبهم بخشيته - تعالى - ليؤمنهم فزع ذلك اليوم ويجزيهم الجزاء الأوفى، والله أعلم.

٢٢ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة وخلف ﴿الزُّبُورِ﴾ بضم الزاي.

٢ - وقرأ الباقون ﴿الزُّبُورِ﴾ بفتح الزاي^(٥٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

زَبَرَ: «الزُّبُرُ بالكسر: الكتاب، والجمع زُبُورٌ كقَدَرٍ وقُدُور، ومنه قرأ بعضهم ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ والمِزْبَرُ كالمبضع: القلم، والزُّبُورُ: الكتاب، وهو فَعُول بمعنى مَفْعُول من زَبَرَ، والزُّبُور أيضاً كتابُ داود ﷺ»^(٥٤٥).

ثالثاً: التفسير:

في الآية بشارةٌ للمؤمنين من الله - ﷻ - بما قضى به، وكتبه في أم الكتاب، ومن ثمَّ في الكتب المقدَّسة أنَّ الأرضَ يرثها عباده الصالحون.

(٥٤٣) الكشف ج ٢/ص ١١٤، ١١٥.

(٥٤٤) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٥٣.

(٥٤٥) مختار الصحاح ص ٢٨٠.

يقول أبو السعود - رحمته الله -: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴿٥٤٦﴾ هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء عليهم السلام من بعد الذكر أي: التوراة، وقيل: اللوح المحفوظ، أي: وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة أو كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعدما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ أَنَّ الأرض يرثها عبادي الصالحون، أي عامة المؤمنين بعد إجماع الكفار وهذا وعد منه تعالى بإظهار الدين وإعزاز أهله» (٥٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿الزَّبُورِ﴾ أَنَّ الله - تعالى - بعظمته وجلاله قد كتب في الكتب السماوية المنزلة ما كان قد كتبه وأثبت في اللوح المحفوظ أَنَّ أرض الجنة يرثها عبادُ الله الصالحون، ويكون الخطاب بذلك عاماً في جميع المؤمنين.

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿الزَّبُورِ﴾ تخصيص الزبور بكتاب داود عليه السلام وتخصيص الذكر بالتوراة وتخصيص الأرض بالأرض المقدسة، وعلى ذلك يكون الخطاب الذي كان خاصاً ببني إسرائيل قد أصبح عاماً في جميع الصالحين.

يقول الطاهر بن عاشور - رحمته الله -: «وقرأ الجمهور ﴿فِي الزَّبُورِ﴾ بصيغة الأفراد وهو اسم للمزبور، أي المكتوب، فعول بمعنى مفعول، مثل: ناقة حلوب وزكوب. وقرأ حمزة بصيغة الجمع: زبور بوزن فعول جمع زبر بكسر فسكون، أي: مزبور، فوزنه مثل قشر وقشور، أي: في الكتب. فعلى قراءة الجمهور هو غالبٌ في الإطلاق على كتاب داود، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، [الإسراء: ٥٥]، فيكون تخصيص هذا الوعد بكتاب داود لأنه لم يذكر وغد عام للصالحين بهذا الإرث في الكتب السماوية قبله. وما ورد في التوراة فيما حكاه القرآن من قول موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَلْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] فذلك

خاص بأرض المقدس وبينى إسرائيل» (٥٤٧).

بالجمع بين القراءتين يُرى أَنَّ الله تعالى يعد وعداً عاماً يُبَشِّرُ به الصالحين من عباده في الزبور وفي جميع الكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ بعده بما أثبتته في اللوح المحفوظ، بأنهم سيرثون في هذه الحياة الدنيا الأرضَ الْمُقَدَّسَةَ التي كانت لبني إسرائيل حال كانوا صالحين، كما يبشرهم بأنهم هم الذين سيرثون أرض الجنة في الحياة الآخرة، والله أعلم.

٢٣ - قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ﴾ (١١٢). [الأنبياء: ١١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿قَالَ﴾:

- ١ - قرأ حفص ﴿قَالَ﴾ بالألف على الخبر.
 - ٢ - وقرأ الباقون ﴿قُلْ﴾ على الأمر من غير ألف.
- القراءات في ﴿رَبِّ أَحْكُمْ﴾:

- ١ - قرأ أبو جعفر ﴿رَبِّ أَحْكُمْ﴾ بضم الباء.
 - ٢ - وقرأ الباقون ﴿رَبِّ أَحْكُمْ﴾ بكسر الباء.
- القراءات في ﴿نَصِفُونَ﴾:

- ١ - قرأ الصوري عن ابن ذكوان ﴿نَصِفُونَ﴾ بالغيب.
- ٢ - وقرأ الباقون ﴿نَصِفُونَ﴾ بالخطاب (٥٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّبُّ: المالك، والخالق، والصاحب، والمصلح للشيء (٥٤٩).

(٥٤٧) التحرير والتنوير ج ١٧/ ١٦٢.

(٥٤٨) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢٥.

(٥٤٩) انظر: مجمل اللغة ص ٣٧٠.

احكم: «الحُكْمُ: العِلْمُ والفِقهُ والقضاءُ بالعدل» (٥٥٠).

تصفون: «(وصف): وصف الشيء له وعليه وضفاً وصفةً حَلَّاهُ والهاء عوض من الواو وقيل الوصف المصدر والصفة الحلية... الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته وتواصفوا الشيء من الوصف وقوله ﴿وَإِنَّ رَبَّنَا لَرَحِيمٌ الْمُسْتَغْنَاءُ﴾ ما تصفون أراد ما تصفونه من الكذب واستوصفه الشيء سألَه أَنْ يَصِفَهُ لَهُ» (٥٥١).

ثالثاً: التفسير:

يدعو النبي ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُعَجِّلَ الْعَذَابَ لِمَشْرِكِي مَكَّةَ، وَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَا يَصِفُونَهُ بِهِ مِنَ الْكُذْبِ.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذَّبني من مشركي قومي وكفر بك وعبد غيرك بإحلال عذابك ونقمته بك بهم وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ الْحُكْمَ بِهِ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]... وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمُّهم بنعمته، الذي أَسْتَعِينُهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ وَتَصِفُونَ مِنْ قَوْلِكُمْ لِي فِيمَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم ﴿بَلْ آفَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، [الأنبياء: ٢٦] فَإِنَّهُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ ذَلِكَ وَفَصْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لَكُمْ عَلَى مَا تَصِفُونَ مِنْ ذَلِكَ» (٥٥٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الجمهور ﴿قُلْ﴾ على الأمر أَنْ الله - تعالى - أمر سيدنا

(٥٥٠) لسان العرب ج ١٢/ص ١٦٣. وانظر: روح المعاني ج ١٧/ص ١٦٠.

(٥٥١) لسان العرب ج ٩/ص ٤٢٥.

(٥٥٢) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧/ص ١٢٩، ١٣٠ (بتصرف).

محمداً ﷺ أن يدعوه - تعالى - بتعذيب مشركي قومه.

وأفادت قراءة حفص ﴿قَالَ﴾ بالألف على الخبر أنه ﷺ امتثل لأمر الله تعالى فقال ما أمره الله - تعالى - بقوله.

يقول الشنقيطي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقراءة الجمهور تدل على أنه ﷺ أمر أن يقول ذلك. وقراءة حفص تدل على أنه امتثل الأمر بالفعل» (٥٥٣).

أما قراءة ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ بكسر الباء فإنها تفيد الدعاء بتعجيل إيقاع العذاب من الله - تعالى - بمشركي مكة وذلك أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء فيه سرعة في النطق وهو يدل على طلب السرعة في الفعل، وذلك باستعجال العذاب لمشركي مكة.

في حين تفيد قراءة ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ أن العذاب المرجو أن يقع بهم هو العذاب الشديد دون غيره وذلك أن الضمة هي أقوى الحركات وتدل على القوة والشدة.

يقول الألوسي: «وقرأ أبو جعفر (رب) بالضم على أنه منادى مفرد - كما قال صاحب اللوامح (٥٥٤) - وتعقبه بأن حذف حرف النداء من اسم الجنس شاذ بآئه الشعر، وقال أبو حيان: إنه ليس بمنادى مفرد بل هو منادى مضاف إلى الياء حذف المضاف إليه وبُني على الضم كقبل وبعد، وذلك لغة حكاهما سيبويه في المضاف إلى ياء المتكلم حال ندائه ولا شذوذ فيه» (٥٥٥).

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: «إن الضمة أقوى الحركات وأثقلها» (٥٥٦).

أما قراءة ﴿تَصِفُونَ﴾ بالغيب والخطاب ففي القراءة بالخطاب تناسب مع

(٥٥٣) أضواء البيان ج ٤ / ص ٦٩٦.

(٥٥٤) سبق التعريف به. انظر: ص ٣٥.

(٥٥٥) روح المعاني ج ١٧ / ص ١٦٠.

(٥٥٦) بلاغة الكلمة ص ١١٤.

ما تقدّم من الآيات وفيه إحياء بالمواجهة مع الكفار، وفي القراءة بالغيب تحقيقاً للكفار.

يقول أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الجمهور ﴿تَصِفُونَ﴾ بقاء الخطاب. وروي أن النبي ﷺ قرأ على أبي ﴿عَلَى مَا يَصِفُونَ﴾ بقاء الغيبة، ورويت عن ابن عامر وعاصم» (٥٥٧).

بالجمع بين القراءات الست يتبين أن الله - تعالى - أمر سيدنا محمداً ﷺ بالدعاء وقد استجاب لأمر الله - تعالى - فدعا بالتعجيل بالعذاب الشديد من الله القوي العزيز على مشركي قومه، والاستعانة به تعالى على ما يصفه به هؤلاء الكفار المحتقرون من الأوصاف التي يفترونها على شخصه الكريم ﷺ، والله أعلم.

الفصل الثالث

تفسير سورة (الحج) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (الحج).

المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة (الحج) المتضمنة للقراءات
القرآنية العشر.

المبحث الأول التعريف بسورة الحج

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول التعريف بسورة الحج

أولاً: اسم السورة:

تُسَمَّى هذه السورة بسورة الحج، وذلك تخليداً لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، حيث بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة وأمره الله - تعالى - أن يؤذن في الناس بالحج، وأسمع صوته جميع المخلوقات فأجابوا ندائه قائلين: (لبيك اللهم لبيك).

يقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «ليس لهذه السورة اسم غير هذا، ووجه تسميتها سورة الحج أن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم عليه السلام بالدعوة إلى حج البيت الحرام، وذكر ما شرع للناس يومئذ من التمسك تنوياً بالحج وما فيه من فضائل ومنافع وتقريباً للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام، وإن كان نزولها قبل أن يفرض الحج على المسلمين بالاتفاق، وإنما فُرض الحج بالآيات التي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران» (٥٥٨).

ثانياً: نوع السورة:

اشتملت هذه السورة على آيات مدنيّة إلى جانب الآيات المكية حيث يغلب على موضوعاتها التوحيد وإثبات البعث وهذه من موضوعات القرآن

(٥٥٨) التحرير والتنوير مج ٨/ ١٧ ص ١٧٩. وانظر: التفسير المنير ج ١٧/ ص ١٤٨. وصفوة التفاسير ج ٢ / ص ٢٤١. والمبصر ج ٦/ ص ٩٣.

المكي، في حين اشتملت على الإذن بالقتال وهذا لم يكن إلا في العهد المدني.

يقول القرطبي - رحمه الله -: «وهي مكية سوى ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس ومجاهد، وعن ابن عباس أيضاً أنهن أربع آيات إلى قوله: ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ وقال الضحاك وابن عباس أيضاً: هي مدنية - وقاله قتادة - إلا أربع آيات: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فهن مكيات، وعدّ النقاش^(٥٥٩) ما نزل بالمدينة عشر آيات، وقال الجمهور: السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني، وهذا هو الأصح؛ لأن الآيات تقتضي ذلك لأن ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ مكي و﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مدني^(٥٦٠).

ويوضح الشهيد سيد قطب - رحمه الله - ذلك قائلاً: «هذه السورة مشتركة بين مكية ومدنية كما يبدو من دلالة آياتها. وعلى الأخص آيات الإذن بالقتال. وآيات العقاب بالمثل. فهي مدنية قطعاً. فالمسلمون لم يؤذن لهم في القتال والقصاص إلا بعد الهجرة، وبعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة. أما قبل ذلك فقد قال رسول الله ﷺ - حين بايعه أهل يثرب، وعرضوا عليه أن يميلوا على أهل منى من الكفار، فيقتلوهم -: (إني لم أؤمر بهذا)^(٥٦١). حتى إذا صارت المدينة دار إسلام شرع الله القتال لرد أذى المشركين عن

(٥٥٩) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن وتفسيره، أصله من الموصل، ومنشأه ببغداد، كان يعمل بنقش السقوف والحيطان، توفي سنة ٣١٥هـ. انظر: الأعلام ج ٦/ص ٨١.

(٥٦٠) تفسير القرطبي ج ٦/ص ٤٣٩٣. وانظر: تفسير البغوي ج ٥/ص ٣٦١، تفسير الثعالبي ج ٣ / ص ٦٩، حاشية الشهاب ج ٦/ص ٤٨٧، وروح المعاني جزء ١٧ / ص ١٦٣.

(٥٦١) ذكر ابن كثير أنه «لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي يعنون أهل منى ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أؤمر بهذا)». تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٣٨٢. وقد خرّجه علوي السقاف في كتاب تخريج الظلال ص ٢١٣، ح ٥٤٢، وقال: حديث صحيح.

المسلمين والدِّفاع عن حرية العقيدة، وحرية العبادة للمؤمنين.

والذي يغلبُ على السُّورة هو موضوعات السورِ المكيَّة. وجوُّ السورِ المكيَّة. فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة، وإثبات البعث، وإنكار الشُّرك، ومشاهدُ القيامة. وآيات الله الماثلة في صفحات الكون بارزة في السُّورة وإلى جوارها الموضوعات المدنيَّة من الإذن بالقتال، وحماية الشُّعائر، والوعدُ بنصر الله لمن يقفُ عليه البغي وهو يرُدُّ العدوان، والأمرُ بالجهاد في سبيلِ الله^(٥٦٢).

ثالثاً: عدد آيات السورة:

يبلغ عدد آيات سورة الحج ثمانٍ وسبعون آية في العدِّ الكوفي، إلا أنَّ هناك خلافاً في عدد آياتها بحسب العدِّ المكي والبصري والشامي.

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وعدة آياتها ثمانٍ وسبعون في الكوفي وسبعٌ وسبعون في المكي وخمسةٌ وسبعون في البصري وأربعٌ وسبعون في الشامي»^(٥٦٣).

رابعاً: فضائل السورة:

ذكر أبو عبيد - رَحِمَهُ اللهُ - في باب فضل هذه السورة عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَجَدَ فِي الْحَجِّ سَجْدَتَيْنِ وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةُ قُضِلَتْ بِسَجْدَتَيْنِ عَلَى السُّورِ^(٥٦٤).

وقد ذكر ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّهَا مِنْ أَعَاجِيبِ سُورِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ فِيهَا مَكِّيًّا وَمَدَنِيًّا، وَحَضْرِيًّا وَسَفْرِيًّا، وَحَرِيًّا وَسَلْمِيًّا، وَلَيْلِيًّا وَنَهَارِيًّا، وَنَاسَخًا وَمَنْسُوخًا.

(٥٦٢) في ظلال القرآن ج ٤ / ص ٢٤٠٥، ٢٤٠٦.

(٥٦٣) روح المعاني ج ١٧/ص ١٦٣. وانظر: فنون الأفيان ص ٥٦. حاشية الشهاب ج ٦/ص ٤٨٧. وفتح القدير ص ١١٥٢. والتحرير والتنوير ج ١٧/ص ١٨٣.

(٥٦٤) انظر: كتاب فضائل القرآن ج ٢/ص ٥٧، وعارضة الأحوذ ج ٣/ص ٥٩.

فأما المكي، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين. وأما الليلي فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاري فمن رأس خمس آيات إلى رأس تسع. وأما السفري فمن رأس تسع إلى اثني عشرة. وأما الحضري فإلى رأس العشرين منها نُسب إلى المدينة لقرب مدته^(٥٦٥).

وأضاف ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - أنها تَضُمَّت منازل المسير إلى الله، بحيث لا يكون منزلة ولا قاطعاً يقطع عنها، ويوجد فيها ذكر القلوب الأربعة، الأعمى والمريض والقاسي والمخت^(٥٦٦) الحَي المطمئن إلى الله.

وفيه من التوحيد والحكم والمواعظ على اختصارها ما هو بَيِّن لمن تدبره، وفيها ذكر الواجبات والمستحبات كلها توحيداً وصلاةً وزكاةً وحجاً وصياماً، قد تَضَمَّن ذلك كله قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]^(٥٦٧).

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

هناك اتصال وثيق بين سورة الأنبياء وسورة الحج، حيث تحدثت كلتا السورتين عن الساعة، كما خُتِمت سورة الأنبياء بوصف الساعة، وابتدئت سورة الحج بالحديث عن الساعة وأهوالها.

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللهُ - : «أقول وجه اتصالها بسورة الأنبياء أنه ختمها بوصف الساعة في قوله ﴿وَاقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ افتتح هذه بذلك فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [١] يَوْمَ تَرْوْنَهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾»^(٥٦٨).

(٥٦٥) زاد المسير مج ٣/ص ٢٢٠.

(٥٦٦) خبت: الإخبات الخشوع، يقال أخبت الله تعالى. انظر: مختار الصحاح ص ١٩٦.

(٥٦٧) انظر: التفسير الكبير ج ٥/ص ٢١٩.

(٥٦٨) أسرار ترتيب القرآن ص ١١١.

ويقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ - : «لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى : ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ وكان وارداً في معرض التهديد، وتكرَّرَ في مواضع منها: قوله تعالى : ﴿إِنَّا نُرْجِعُوكَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨)﴾ [الأنبياء: ٣٧ - ٣٨] ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهُمْ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٢٩)﴾ [الأنبياء: ٣٩]... إلى ما تخلل هذه الآي من التهديد، وشديد الوعيد، حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة، وقد خُتِمَت من ذلك بمثل ما به ابتدئت، اتَّصَلَ بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول السَّاعَةِ وعظيم أمرها، فقال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُورًا رَبِّكُمْ﴾ [الحج: ١] - إلى قوله ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] ثُمَّ اتَّبَعَ ببسط الدلالات على البعث الأخير وإقامة البرهان: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ...﴾ [الحج: ٥]، ثم قال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ...﴾ [الحج: ٦] أي اطرَدَ هذا الحكم العجيب ووضَّح من تقلُّبكم من حالة إلى حالة في الأرحام، وبعد خروجكم إلى الدنيا وأنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، وتشاهدون الأرض على صفة من الهمود والموت إلى حين نزول الماء فنحيي الأرض ونخرج أنواع النبات وضروب الثمرات يُسقى بماء واحد ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتِ وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦] كما أحياكم أولاً، وأخرجكم من العدم إلى الوجود، وأحيا الأرض بعد موتها وهمودها، كذلك تأتي الساعة من غير ريب ولا شك، ويبعثكم لما وعدكم من حسابكم جزائكم ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ١٧]» (٥٦٩).

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

لسورة الحج هدف واضح وأغراض متعددة، فأما هدف السورة

ومقصودها فهو الحثُّ على التقوى كما ذكرَ البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول: «مقصودها الحثُّ على التقوى المَعْلِيَّةُ عن دركة»^(٥٧٠) الاستحقاق للحكم بالعدل إلى درجة استئصال الإنعام بالفضل، في يومِ الجمعِ للفضل، وأنسبُ ما فيها لذلك الحجُّ»^(٥٧١).

وأما أغراض السورة فقد ذكرها الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول:

«ومن أغراض هذه السورة: خطابُ الناس بأمرهم أن يتقوا الله ويخشوا يوم الجزاء وأحواله، والاستدلال على نفي الشرك وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله - تعالى - بالألوهية وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين وأنَّ الشياطين لا تغني عنهم شيئاً ولا ينصرونهم في الدنيا وفي الآخرة، وتفضيع جدال المشركين في الوجدانية بأنهم لا يستندون إلى علم، وأنهم يُعرضون عن الحجَّة ليضلُّوا الناس، وأنهم يرتابون في البعث وهو ثابت لا ريباً فيه، وكيف يرتابون فيه بعلَّة استحالة الإحياء بعد الإمامة ولا ينظرون أنَّ الله أوجد الإنسان من ترابٍ ثم من نقطة ثم طَوَّرَهُ أطوراً.

وأنَّ الله ينزلُ الماء على الأرض الهامدة فتحيا وتُخرِجُ من أصناف النبات، فالله هو القادر على كل ذلك. فهو يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، وأنَّ مجادلَتهم بإنكارِ البعث صادرة عن جهالةٍ وتكبرٍ عن الامتثالِ لقولِ الرسول ﷺ، ووصف المشركين بأنهم في تردُّدٍ من أمرهم في اتباع دين الإسلام، والتعريضِ بالمشركين بتكبرهم عن سُنَّة إبراهيم عليه السلام الذي يَنتمون إليه، ويحسبون أنَّهم حُماة دينه وأمناء بيته، وهم يخالفونه في أصل الدين، وتذكير لهم بما منَّ الله عليهم في مشروعية الحجِّ من المنافع فكفروا نعمته، وتنظيرهم في تلقِّي دعوة الإسلام بالأمم البائدة الذين تلقَّوا

(٥٧٠) «الدُّرُكُ: التُّبْعَةُ، يُسْكَنُ وَيُحْرَكُ». مختار الصحاح ص ٢١٨.

(٥٧١) نظم الدرر ج ٥/ص ١٢٩.

دعوة الرسل بالإعراض والكفر فحلَّ بهم العذاب، وأنه يوشِكُ أن يحلَّ بهؤلاء مثله، فلا يغرُّهم تأخيرُ العذابِ فإنه إِمْلَاءٌ من الله لهم كما أُمِّلَى للأمم من قبلهم. وفي ذلك تأنيسٌ للرسول ﷺ والذين آمنوا، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنَّوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق.

وأنَّ اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلالٍ أمرٌ به افتراقُ الناس إلى مللٍ كثيرة، وأن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم لمشاهدة جزاء أهل الهدى، وجزاء أهل الضلال، وأن المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله فكان لكل فريق جزاؤه.

وسلَّى الله رسوله ﷺ والمؤمنين بأنَّ الشيطانَ يفسدُ في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل ولكن الله يحكم دينه ويبطل ما يلقي الشيطان فلذلك ترى الكافرين يعرضون وينكرون آيات القرآن وفيها التنويه بالقرآن والمتلقين له بخشية وصبر. ووصف الكفار بكرهيتهم القرآن وبغض المرسل به. والثناء على المؤمنين، وأنَّ الله يسرَّ لهم أتباع الحنيفية وسماهم المسلمين والإذن للمسلمين بالقتال، وضمان النصر والتمكين في الأرض لهم.

وختمت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم، وأنَّ الله اصطفى خلقاً من الملائكة، ومن الناس، فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زُلْفَى، وأنَّ الله هو مولاهم وناصرهم^(٥٧٢).

سابعاً: محور السورة:

محور سورة الحجَّ هو الدعوة والحثُّ على التَّقْوَى.

يقول سعيد حوى في محور هذه السورة: «سورة الحجَّ تُفصِّلُ قوله تعالى في سورة البقرة ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَعْقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] فهي مثلُ سورة النساء، ومثلُ سورة هود، إلا أنَّ سورة النساءِ حَدَّدَتْ معالمَ التَّقْوَى، وسورة هودِ حَدَّدَتْ معالمَ

العبادة، وسورة الحج تُهَيِّجُ عَلَى التَّقْوَى وَتَبْعُثُ عَلَيْهَا... وكما تُهَيِّجُ سورة الحج عَلَى التَّقْوَى فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مَنْعِرَجَاتِ (٥٧٣) الطريق وَمَزَالِقِهِ (٥٧٤)، وَعَلَى الصَّوَارِفِ (٥٧٥)، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ (٥٧٦).

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

* ابتدأت السورة الكريمة بمطلع عفيفٍ مُخِيفٍ يَصَوِّرُ أَهْوَالَ السَّاعَةِ ثُمَّ انتقلت إلى أدلة البعث والنشور، تَنْتَقِلُ السُّورَةُ لِتَقِيمَ الْأَدْلَةَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْفَنَاءِ، ثُمَّ الْإِنْتِقَالَ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ؛ لِيُنَالَ الْإِنْسَانُ جَزَاءَهُ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

* وتحدّثت السورة عن بعض مشاهد القيامة، حيث يكون الأبرارُ في دارِ النعيم، والفُجَّارُ في دارِ الجحيم.

* ثُمَّ انتقلت للحديث عن الحكمة من الإذن بقتال الكفار، وتناولت الحديث عن القرى المدمّرة بسبب ظلمها وطغيانها، وذلك لبيان سُنةِ الله في الدعوات، وتطميناً للمسلمين بالعاقبة التي تنتظر الصابرين.

* وفي ختام السورة ضربت مثلاً لعبادة المشركين للأصنام، وبيّنت أن هذه المعبودات أعجز وأحقّر من أن تخلق ذبابةً فضلاً عن أن تخلق إنساناً سمياً بصيراً، ودعت إلى اتباع ملّة الخليل إبراهيم فهي كهف الإيمان، وركن التوحيد (٥٧٧).

(٥٧٣) «مُنْعَرَجُ الْوَادِي بِفَتْحِ الرَّاءِ: مَنَعُطُهُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً». مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٥٧٤) «الْمَزَلَقُ وَالْمَزَلَقَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ قَدَمٌ». المرجع السابق ص ٢٨٠.

(٥٧٥) «الصُّرْفُ: التَّقَلُّبُ وَالْجِيلَةُ». لسان العرب ج ٩/ص ١٨٩.

(٥٧٦) الأساس ج ٧/ص ٣٥٢٠.

(٥٧٧) انظر: صفوة التفاسير ج ٢/ص ٢٤١، والتفسير المنير ج ١٧/ص ١٤٩، ١٥٠.

المبحث الثاني

عرض وتفسير لآيات سورة (الحج) المتضمنة للقرآات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢].

أولاً: القرآات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿سَكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف فيهما.

٢ - وقرأ الباكون ﴿سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها^(٥٧٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقرآات:

«السُّكْرُ: حالةٌ تَعْتَرِضُ بين المرء وعقله وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ ذلك في الشراب المُسَكِّرِ وقد يكونُ من غضبٍ وعِشْقٍ»^(٥٧٩).

(٥٧٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٥.

(٥٧٩) تاج العروس ج ٣/ ص ٢٧٣، وانظر: المفردات ص ٤١٦، والتحرير والتنوير ج ١٧/ص ١٩١، والمعجم المفصل ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ الْآيَةَ مُشْهَداً مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَعْبُرُ عَنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَشِدَّتِهِ.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: «يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ» مع أنها مجبولة على شدة محبتها لولدها، خصوصاً في هذه الحال، التي لا يعيش إلا بها.

«وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا» من شدة الفزع والهول، «وَيَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ» أي: تحسبهم - أيها الرائي لهم - سُكَارَى من الخمر، وليسوا سُكَارَى. «وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» فلذلك أذهب عقولهم، وفرغ قلوبهم، وملأها من الفزع، وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار، وفي ذلك اليوم لا يحزي والد عن ولده، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً^(٥٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى «سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى» تفيد أنَّ أهوال يوم القيامة تؤثر على أجساد الناس كما تؤثر الآفة التي تدخل على جسد الإنسان فتجعله يصاب بالمرض والهلاك.

في حين أنَّ القراءة الثانية «سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى» بيّنت تأثير أهوال الساعة في عقول الناس وحركتهم، بعد أن بيّنت القراءة الأولى تأثير أهوال القيامة في أجسادهم حيث إنَّ أهوال يوم القيامة تؤثر في عقول الناس وتضعف حركتهم فتجعلهم كالكسالى.

يقول ابن خالويه - رَحِمَهُ اللهُ - في توجيه القراءتين: «فالحجة لمن ضمَّ السَّيْنَ وأثبت الألف: أنه لما كان السُّكْرُ يُضْعِفُ حركة الإنسان شبه بكسلان وكسالى.

(٥٨٠) تفسير السعدي ص ٥٣٢. وانظر تفسير البغوي ج ٥/ص ٣٦١.

والحجّة لمن فتح وحذف الألف: أنه لما كان السُكْرُ آفةً داخلّةً على الإنسانِ شُبّهَ بِمَرَضَى وَهَلَكَى^(٥٨١).

ويقول ابن جنّي - رَحِمَهُ اللهُ -: «فأما في الجميع فيقال: سَكَرَى بفتح السين، وسَكَرَى بضمّها، وسَكَرَى كَصَزَعَى وَجَزَحَى. وذلك لأنَّ السُكْرَ عِلَّةٌ لِحَقَّتْ عقولهم، كما أنَّ الصَّرْعَ والجرحَ عِلَّةٌ لِحَقَّتْ أجسامهم. وفعلَى في التفسير ممّا يَخْتَصُّ به المُبْتَلُونَ كالمرضى والسَّقَمَى^(٥٨٢)».

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ أهوالَ يوم القيامة تُخْدِثُ في عقولِ الناسِ وأجسادِهِم أثراً فيُصْبِحُونَ كأنّهم أُصِيبُوا بِآفةٍ في أجسامهم جعلتهم كالمرضى، كما أثرت على عقولهم وحركتهم فأضعفتها ممّا جعلهم يَبْدُونَ كَالْكُسَالَى الذين فقدوا نشاطهم فأصبحوا لَا يَقْوُونَ على الحركة، وذلك في الحقيقة ليس بتأثير آفةٍ أصابتهم ولكنّها أهوالُ القيامة، وزلزلةُ الساعة برهبتها، والله أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَيُقرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُوَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدِّ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿وَرَبَّتْ﴾ بهمزة مفتوحة بعد الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَرَبَّتْ﴾ بحذف الهمزة فيهما^(٥٨٣).

(٥٨١) الحجّة في القراءات السبع ص ٢٥٢. وانظر: تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٣٦٥.

(٥٨٢) المحتسب ج ٢/ص ٧٢. وانظر: طلائع البشر ص ١٧٥.

(٥٨٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٥.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رَبَا الشيء: زاد» (٥٨٤).

«رَبَت: أي زادت وانتفخت» (٥٨٥).

رَبَّات: ارتفعت (٥٨٦).

ثالثاً: التفسير:

يستدلُّ الله - تعالى - على إثبات البعث بالخلق الأول، وبإحياء الأرض الهامدة بنزول الماء عليها، «والهمود لا شك متسق مع ذكر الموتى وهم جثث هامدة، لا حراك فيها» (٥٨٧).

وهو - سبحانه - في هذه الآية يخاطب عباده فيقول: يا أيُّها الناس إن كنتم من البعث في شك واشتباه، وعدم علم بوقوعه، مع أنَّ الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم إلا الريب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتُم فيه، ويزيل عن قلوبكم الريب.

أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق الإنسان، وأن الذي ابتدأه سعيده، وذلك بخلق أبي البشر آدم عليه السلام من تراب، ثُمَّ مِنْ مَنِيٍّ، وهذا ابتداء أول التخليق، ثُمَّ تنقلب تلك النطفة، بإذن الله دماً أحمر، ثُمَّ ينتقل الدم قطعة لحماً، بقدر ما يمضغ، وتلك المضغعة تارة تكون صور منها خلق الأدمي، وتارة تقذفها الأرحام قبل تخليقها، لِتُبَيِّنَ لَكُمْ أصل نشأتكم، مع قدرته تعالى، على تكميل خلقه في لحظة واحدة، ولكن ليبين لنا كمال حكمته، وعظيم قدرته، وسعة رحمته.

ونبقي في الأرحام من الحمل، الذي لم تقذفه الأرحام، ما نشاء إبقاءه

(٥٨٤) مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٥٨٥) النهر الماد ج ٢ من القسم الأول / ص ٤٨٨.

(٥٨٦) انظر: التحرير والتنوير ج ١٧ / ص ٢٠٣.

(٥٨٧) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز ص ١١٣.

إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم طفلاً لا تعلمون شيئاً، وليس لكم قدرة، وسخرنا لكم الأمهات، وأجرينا لكم في ثديها الرزق، ثم تنتقلون طوراً بعد طور، حتى تبلغوا أشدكم، وهو كمال القوة والعقل.

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى من قبل أن يبلغ سن الأشد، ومنكم من يتجاوزه فيرد إلى سن الهرم والتخريف، الذي به يزول العقل، ويضمحل، كما زالت باقي القوة، وضعفت؛ لأجل ألا يعلم هذا المعمّر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولة ونقصها، وضعف الهرم ونقصه.

والدليل الثاني: إحياء الأرض بعد موتها، حيث تكون الأرض خاشعة مغبرة لا نبات فيها، ولا خضرة، فإذا أنزلنا عَلَيْهَا الْمَاءَ تحركت بالنبات وارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ صنف من أصناف النبات الذي يبهج الناظرين، ويسر المتأملين^(٥٨٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَرَبَّاتٌ﴾ معنى الارتفاع، بمعنى أَنَّ الأرض ترتفع بنزول الماء عليها أي تتوسّع رأسيًا.

في حين أَنَّ القراءة الثانية ﴿وَرَبَّتْ﴾ أفادت معنى الزيادة، أي أَنَّ الأرض تزداد وتربو بنزول الماء عليها حيث تنتفخ وتتوسّع أفقياً.

يقول ابن جنّي - رَحِمَهُ اللهُ -: «المسموع في هذا المعنى رَبَّتْ؛ لأنه من رَبَا يَرْبُو: إذا ذهب في جهاته زائداً، وهذه حال الأرض إذا رَبَّتْ. أمّا الهمزُ فمن رَبَّاتُ القوم: إذا أشرفت مكاناً عالياً لتنظرَ لهم وتحفظهم. وهذا إنمّا فيه الشخصوص والانتصاب، وليس له دلالة على الوفور، والانبساط، إلاّ أنّه يجوزُ أَنْ يكون ذهابه إلى علو الأرض، لما فيه من إفراط الرُبُو، فإذا وُصِفَ علوّها دلّ على أَنَّ الزيادة قد شاعت في جميع جهاتها؛ فلذلك هَمَزَ، وأخذه

(٥٨٨) انظر: تفسير السعدي ص ٥٣٣، والتحرير والتنوير ج ١٧/ص ١٩٦ - ٢٠٣.

من رَبَّاتُ القوم، أي: كنت لهم طليعة. وهذا مما يذكر أحد أوصافه، فيدلُّ على بَقِيَّة ذلك وما يصحبه» (٥٨٩).

هكذا بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الأرض الهامدة ترجع لها الحياة بنزول الماء عليها فتتهزّز وتربو وتتوسّع في جميع اتجاهاتها أفقياً ورأسياً، فتنبُت النبات الذي يحفظ حياة الإنسان والحيوان، وهذا من عظيم قدرة الله تعالى، وهو أحد دليلين ذكرتهما الآية على إثبات قدرة الله - تعالى - على البعث، والله أعلم.

٣ - قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لِمُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء (٥٩٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الضَّلَال: العُدُولُ عن الطريقِ المستقيم، ويزاؤه الهداية، ويقالُ الضلالُ لكلِّ عدولٍ عن المنهجِ عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنَّ الطريقَ المستقيمَ الذي هو المرْتَضَى صعبٌ جداً.

ثالثاً: التفسير:

يتوعد الله - تعالى - من يجادلُ في الله مُتَكَبِّراً بغير علم بعذاب الخزي في الدنيا وبعذاب النار في الآخرة. يقول أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ

(٥٨٩) المحتسب ج ٢/ص ٧٤. وانظر: تفسير القرطبي ج ٦/ص ٤٤٠٥. والهادي ج ٣/ص ٦٣.

(٥٩٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٩٦.

عَظْفِهِ لِيُضِلَّ: «يُقَالُ: جَاءَنِي فَلَانٌ ثَانِي عِطْفِهِ أَي: يَتَبَخَّثُرُ مِنْ التَّكْبُرِ» (٥٩١).

يقول الشوكاني: «ثَانِي عِطْفِهِ» على الحال من فاعل يجادل، والعطف الجانب وعطف الرجل جانباه من يمين وشمال وفي تفسيره وجهان:

الأول: أَنَّ المرادَ به من يلوي عُنْقَهُ مَرَحاً وتكبراً، وهذا يوصف به الْمُتَكَبِّرُ والمعنى: ومن الناس من يجادل في الله متكبراً، قال المبرد (٥٩٢): العطف ما انثنى من العنق.

والوجه الثاني أَنَّ المرادَ بقوله: «ثَانِي عِطْفِهِ» الإعراضُ: أي معرضاً عن الذِّكْرِ، واللام في «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» متعلقٌ بيجادل: أي إِنَّ غَرَضَهُ هو الإضلالُ عن السبيل، وإنَّ لم يَعترف بذلك، وقرئَ لِيُضِلَّ بفتح الياء على أَنَّ تكونَ اللام هي لامُ العاقبةِ كأنه جعلَ ضلاله غايةً لجذاله، وجملة «لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» مستأنفةٌ مبيِّنةٌ لِمَا يحصلُ له بسببِ جذاله من العقوبةِ والخِزْيِ المُذِلِّ وذلك بما يناله من العقوبةِ في الدنيا من العذابِ المُعَجِّلِ وسوءُ الذكر على ألسُنِ الناس، وقيل: الخِزْيُ الدنيويُّ هو القتلُ كما وقعَ في يوم بدر. «وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ» أي عذابِ النَّارِ المُحْرِقَةِ (٥٩٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة «لِيُضِلَّ» وقوعَ الضَّلَالِ على نفسه أي يَضِلُّ هو في نفسه وذلك باختياره طريقَ الضَّلَالِ وابتعاده عن طريقِ الهدى.

(٥٩١) مجاز القرآن ج ٢/ص ٤٥.

(٥٩٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ممن كتبه: الكامل، والمقتضب، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦هـ. انظر: الأعلام ج ٧/ ص ١٤٤.

(٥٩٣) انظر: فتح القدير ص ١١٥٦.

أما القراءة ﴿لِيُضِلَّ﴾ فقد دلت على إضلاله غيره من الناس عن طريق جداله بالباطل.

يقول أبو حيان - رحمه الله -: «(لِيُضِلَّ) بفتح الياء أي (لِيُضِلَّ) في نفسه، والجمهور بضمها أي: (لِيُضِلَّ) غيره، وهو يترتب على إضلاله كثرة العذاب، إذ عليه وزر من عمل به. ولما كان مآل جداله إلى الإضلال كان كأنه علة له، وكذلك لما كان معرضاً عن الهدى مقبلاً على الجدال بالباطل كان كالخارج من الهدى إلى الضلال»^(٥٩٤).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - تعالى - توعد من ضل في نفسه باختياره طريق الضلال وأضل غيره وهو يجادل بالباطل بالعذاب الدنيوي بسوء الذكر والخزي في الدنيا، وبعذاب الحرق بالنار يوم القيامة، والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن مهران عن روح وزيد عن يعقوب ﴿خَاسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ بإثبات الألف على وزن فاعل وخفض الآخرة.

٢ - قرأ الباقر ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ بغير ألف مع نصب الآخرة^(٥٩٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خسر: الخُسْرُ والخُسْرَانُ: انتقاص رأس المال، ويُنسب ذلك إلى الإنسان فيقال: خَسِرَ فلانٌ، وإلى الفعل فيقال: خَسِرْتَ تجارتَه قال تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] ويستعمل ذلك في المقتنيات

(٥٩٤) تفسير البحر المحيط ج ٦/ص ٣٢٩. وانظر: تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٧٠.

(٥٩٥) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٥، ٣٢٦.

الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين وقال: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]... يجوز أن يكون إشارة إلى تحري العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطي مالا يكون به ميزانه في القيامة خاسراً فيكون ممن قال فيه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٩] وكلا المعنيين يتلازمان، وكلُّ خسران ذكره الله - تعالى - في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية» (٥٩٦).

ثالثاً: التفسير:

تَصِفُ هذه الآية نوعاً مُدْبِذاً من الناس خسر الدنيا والآخرة بسبب ضعف إيمانه وعدم ثباته على الحق.

وقد أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في سبب نزول هذه الآية أنه قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ...﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء» (٥٩٧).

ويقول السيوطي - رحمه الله -: «عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذهب في بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام فقال: لم أصب من ديني هذا خيراً ذهب بصري ومالي وولدي، فنزلت ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ...﴾ الآية» (٥٩٨).

يقول أبو السعود - رحمه الله -: في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ

(٥٩٦) المفردات ص ٢٨١.

(٥٩٧) انظر: صحيح البخاري ج ٤ / ص ١٧٦٨ / ح ٤٤٦٥، كتاب التفسير، سورة الحج.

(٥٩٨) لباب القول ص ١٤٨.

اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ: شروع في بيان حال المُذْبِذِينَ إثر بيان حال المُجَاهِرِينَ أي ومنهم من يعبدُه سبحانه وتعالى على طَرَفٍ من الدِّين لا ثبات له فيه كالَّذي ينحرف إلى طَرَفٍ الجيش فإن أحسن بظفر قر، وإلا قر، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ أي دنيوي من الصَّحَّةِ والسَّعَةِ، ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ أي: ثبت على ما كان عليه ظاهراً، لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنِينَ الذين لا يلويهم عنه صارف، ولا يثنيهم عاطف. ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ أي شيء يُفْتَنُ به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله. ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ روي أنها نزلت في أعاريب قديموا المدينة وكان أحدهم إذا صحَّ بَدَنُهُ وتنجت فرسه مُهرأ سرياً وولدت امرأته ولداً سويّاً وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبْتُ منذ دخلتُ في ديني هذا إلا خيراً واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبْتُ إلا شراً وانقلب. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي ﷺ فقال: أِقْلِنِي، فقال ﷺ: (إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُقَالُ...^(٥٩٩)). فنزلت، وقيل: نزلت في المؤلفة قلوبهم.

﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ فقدَهُمَا وضيّعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد. وقرئ خاسر بالنصب على الحال، والرفع على الفاعلية. ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيماً على خسارته أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في غاية ما يكون ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمَيِّنُ﴾ الواضح كونه خسراناً إذ لا خسران مثله^(٦٠٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أوضح الدكتور فاضل السامرائي أن ورود الفعل في القرآن يدل على الحدوث والتجدد في حين أن الاسم يدل على الثبوت حيث يقول: «فمن المعلوم أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم يدل على

(٥٩٩) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ / ص ١٤. وانظر: ضعفاء العقيلي ج ٣

ص ٣٦٨.

(٦٠٠) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٧١.

الثبوت»^(٦٠١). واستناداً على ذلك فإن:

القراءة الأولى ﴿خَاسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ تفيد ثبوت خسرانه خير الدنيا والآخرة حيث سُمِّيَ خاسراً للدنيا والآخرة، فقد عبّرَ باسم الفاعل ليُجعلَ صفةَ الخُسرانِ ملازمةً له ثابتةً في حقّه.

أما القراءة الثانية ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ فإنّها تفيدُ معنى تجدّد خسرانه الدنيا والآخرة كلّما أصابته فتنةٌ من الفتن حيث عبّرَ بالفعل (خَسِرَ) الذي يدلُّ على تجدّد الحدث.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «والخسران: تلفٌ جزءٍ من أصلٍ مالٍ التجارة، فشبهه نفعُ الدنيا ونفعُ الآخرةِ بمالِ التاجرِ الساعي في توفيره لأنَّ الناسَ يرغبون في تحصيله، وثنى على ذلك إثبات الخسران لصاحبه، الذي هو من مرادفات مال التجارة المشبه به، فشبهه فوات النفع المطلوب بخسارة المال. وتعليق الخسران بالدنيا والآخرة على حذف مضاف. والتقدير: خسر خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة. فخسارةُ الدنيا بسبب ما أصابه فيها من الفتنة، وخسارةُ الآخرةِ بسبب عدم الانتفاع بثوابها المرجو له. والمبين: الذي فيه ما يبين للناس أنه خسران بأدنى تأمل. والمراد أنه خسران شديد لا يخفى»^(٦٠٢).

بالجمع بين القراءتين يتّضح من معنى الآية ما يجعلنا نحذّر من التذبذبِ وعدم الثبات على الإيمان لأنَّ ذلك المُذبذبُ يخسرُ بسبب ما أصابه من الفتنةِ خيرَ الدنيا، ويخسرُ بسبب عدم انتفاعه بثوابِ الصّبرِ على تلك الفتنةِ خيرَ الآخرة، حتى يكونَ ذلك الخُسرانُ مُلازماً لصاحبه ثابتاً له فينقُصُ به ويُصبح: خاسرَ الدنيا والآخرة.

٥ - قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

(٦٠١) التعبير القرآني ص ٢٢. وانظر: معاني الأبنية ص ٩، ١١.

(٦٠٢) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٢١٤.

فَلْيَمْدُدْ سَبَبٌ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيْظُ ﴿١٥﴾
[الحج: ١٥].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش ورويس ﴿لِيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام.
- ٢ - وقرأ الباقون ﴿لِيَقْطَعْ﴾ بإسكان اللام (٦٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿قَطَعَ﴾: القطعُ: فصلُ الشيء مُدركاً بالبصر كالأجسام، أو مُدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة (٦٠٤).

ثالثاً: التفسير:

في الآية تحدُّ واضحٌ لكلِّ من يشعر بالغیظ من نزول وحي الله على نبيه ﷺ، ونصحه بالرجوع إلى الله - تعالى - لعدم جدوى أي وسيلة أخرى أمامه.

يقول السعدي - رحمه الله - في بيان معنى الآية: «أي: من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله، وأنَّ دينه سيضمحل، فإن النصر من الله ينزل من السماء ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ذلك الظَّانَّ ﴿سَبَبٌ﴾ أي: حبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ ويرقى إليها ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ النصر النازل عليه من السماء. ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهَبَنَّ كَيْدُهُ﴾ أي: ما يكيد به الرسول، ويعمله من محاربته، والحرص على إبطال دينه، ما يغيظه من ظهور دينه، وهذا استفهام بمعنى النفي (وأنَّه) لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمله من الأسباب.

ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد ﷺ، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله أنَّ سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب

(٦٠٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٦.

(٦٠٤) المفردات ص ٦٧٧.

غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول - إن كان ممكناً - ائت الأمر من باب، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى جبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي: والمكيدة، وأما ما سوى هذه الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأيس الكافرين، الذين يريدون أن يطفثوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم» (٦٠٥).

ويقول الدكتور فضل حسن عباس: «قالوا: إن الباء زائدة، والتقدير: (فليمدد سيباً)، أي: فليمدد جبلاً، والغواصون من أجل التقاط المعاني لا يرضون هذا القول، لأنه ليس المقصود المد وحده، فقد يمد الشخص جبلاً كثيرة من غير أن تكون له بها صلة مباشرة، ولكن المقصود أن يصل هو نفسه بهذا الجبل الممدود إلى أعلى.

تلك هي بلاغة القرآن في استعمال الحرف حيناً، وتركه حيناً آخر» (٦٠٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿لَيَقْطَعَنَّ﴾ الأمر من الله - تعالى - لهذا الإنسان بمدّ جبل إلى السماء في الحقيقة، وأن يصل هو نفسه بهذا الجبل الممدود إلى أعلى ليفعل ما يُذهب غيظه، وقد جاءت لام الأمر مكسورة على أصلها لتناسب ذكر السماء على أصلها.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقال آخرون: المراد منه السماء

(٦٠٥) تفسير السعدي ص ٥٣٥.

(٦٠٦) سلامة الحرف من الزيادة والحذف ص ٣١.

نفسها فإنه يمكن حمل الكلام على السماء نفسها فهو أولى من حمله على سماء البيت، لأن ذلك لا يفهم منه إلا مقيداً، ولأن الغرض ليس الأمر بأن يفعل ذلك، بل الغرض أن يكون ذلك صارفاً له عن الغيظ إلى طاعة الله تعالى، وإذا كان كذلك فكل ما كان المذكور أبعد من الإمكان كان أولى بأن يكون هو المراد ومعلوم أن مد الحبل إلى سماء الدنيا والاختناق به أبعد في الإمكان من مده إلى سقف البيت، لأن ذلك ممكن» (٦٠٧).

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿لَيَقَطَّعَ﴾ التخفيف عن هذا المُغتَاط من نصر الله لنبيه بالإشارة عليه بأمر يسهل فعله وهو مدُّ حبلٍ إلى سقف البيت فيخنق نفسه به حتى يذهب غيظه.

ويقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «اختلفوا في السماء: فمنهم من قال هو سماء البيت، ومنهم من قال هو السماء في الحقيقة، فقالوا المعنى: من كان يظن أن لن ينصره الله، ثم يغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلًا إلى سماء بيته فاخنق، فلينظر أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه. وعلى هذا القول اختلفوا في القطع فقال بعضهم: سمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، وسمي فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره، أو على سبيل الاستهزاء إلا أنه لم يكذب به محسوده وإنما كاد به نفسه، والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ. وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يشد الحبل في عنقه وفي سقف البيت، ثم ليقطع الحبل حتى يخنق ويهلك، هذا كله إذا حملنا السماء على سقف البيت وهو قول كثير من المفسرين» (٦٠٨).

بالجمع بين القراءتين يظهر أمرٌ ليس على حقيقته وإنما هو إشارة على ذلك المُغتَاط من نصر الله لنبيه بأن يتخذ أحد أمرين ليذهب غيظه، وذلك

(٦٠٧) تفسير الرازي ج ٢٣/ص ١٦.

(٦٠٨) تفسير الرازي ج ٢٣/ص ١٦.

إِمَّا بِمَدِّ حَبْلٍ إِلَى سَمَاءٍ بَيْتِهِ لِيَخْتَنُقَ بِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَمُدَّ حَبْلًا إِلَى السَّمَاءِ الْحَقِيقِيَّةِ لِيَمْنَعَ النَّصْرَ مِنَ النُّزُولِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ، وَإِنَّمَا لِلْحَثِّ عَلَى صَرْفِهِ عَنْ غِيْظِهِ وَرَجْوَعِهِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٦ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر، ووقفاً حمزة ﴿والصَّٰلِحِينَ﴾ بحذف الهمزة.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَالصَّٰلِحِينَ﴾ بإثبات الهمزة (٦٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

صبا: الصبي: من لم يبلغ الحلم ورجلٌ مُضْبٍ: ذو صبيان. قال تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

الصَّابِتُونَ: قومٌ كانوا على دين نوح، وقيل لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابئ، من قولهم: صَبَأَ نَابُ الْبَعِيرِ: إِذَا طَلَعَ (٦١٠).

ثالثاً: التفسير:

تُحَذَّرُ الآيَةُ جميع طوائف أهل الأرض من مؤمنين وغيرهم بأنَّ الله - تعالى - سيجمعهم يوم القيامة ليحكم بينهم بالعدل ويجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي هي مُدَوَّنَةٌ في صحائف أعمالهم، والله - تعالى - خير شاهدٍ على كلِّ شيء.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم جميعهم ليوم القيامة، ويفصل

(٦٠٩) انظر: النشر ج ١/ص ٣٩٧.

(٦١٠) انظر: المفردات ص ٤٧٥.

بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٦١١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَالصَّابِينَ﴾ أنهم الذين مالوا عن دينهم إلى دين آخر.

بينما قراءة ﴿وَالصَّيِّينَ﴾ أنهم الذين خرجوا من دينهم إلى دين آخر.

يقول ابن خالويه - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «قوله تعالى: ﴿وَالصَّيِّينَ﴾ يُقْرَأُ وما شاكلة بالهمز وتركه. فالحجة لمن همز: أنه مأخوذ من: صَبَأَ فلان: إذا خرج من دينٍ إلى دين.

والحجة لمن لم يهمز: أن يكون أراد الهمز، فليَن وترك، أو يكون أخذه من صبا يضبو: إذا مال. وبه سُمِيَ الصَّبِيُّ صَبِيًّا لأن قلبه يميل إلى كل لعب لفراغه»^(٦١٢).

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الصابئون: قوم يعبدون الملائكة، ويصلُّون للقبلة، ويقرءون الزبور»^(٦١٣).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن الصَّابِينَ قومٌ خرجوا من دينهم ومالوا إلى دين آخر^(٦١٤) وهم يُصَلُّون إلى جهة القبلة، كما أن قلوبهم فارغة من كل ثباتٍ ويقينٍ فهي تميلُ إلى غير دينها مثل قلوب الصبيان، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اٰخَصَمُوْا فِي رِيْهِمْ فَاَلَّذِيْنَ كَفَرُوْا قَطَعَْتَ لَهُمْ يَّابُٔ مِّنْ نَّارٍ يُّصْبُٔ مِّنْ فَوْقِ رُءُوْسِهِمُ الْحَمِيْمُ ۝١٩﴾ [الحج: ١٩].

(٦١١) تفسير السعدي ص ٥٣٥.

(٦١٢) الحجة في القراءات السبع ص ٨١، وانظر: حجة القراءات ص ١٠٠.

(٦١٣) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧/ص ١٥٣. وانظر: روح المعاني ج ١٧/ص ١٩١.

(٦١٤) انظر: رسالة ماجستير الملاحى ص ٨٣.

أولاً: القراءات:

١ - وقرأ ابن كثير ﴿هَذَانُ﴾ بتشديد النون ومدّ الألف قبلها.

٢ - وقرأ الباقر ﴿هَذَانِ﴾ بتخفيف النون^(٦١٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هذان: مبني لدلالته على الإشارة»^(٦١٦).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية مثالٌ لجمع الله - تعالى - جميع طوائف الناس يوم القيامة ليحكم بينهم بالعدل، ومنهم هذان الخصمان اللذان تتحدّث عنهما هذه الآية.

وقد ذكر البخاري سبب نزول هذه الآية حيث يقول: «قال قيس بن عباد^(٦١٧): وفيهم أنزلت ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. قال هم الذين تبارزوا يوم بدر^(٦١٨)»^(٦١٩).

يقول ابن عطية في بيان معنى هذه الآية: «والمعنى: أن الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب،

(٦١٥) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٤٨، ٣٢٦.

(٦١٦) مغني اللبيب ص ٥٨.

(٦١٧) هو قيس بن عباد القيسي الضبعي، نزيل البصرة، له إدراك، ذكره ابن قانع في الصحابة وأورد له حديثاً مرسلأ وقال بن أبي حاتم وغيره قدم المدينة في خلافة عمر فروى عنه وعن أبي ذر وعلي وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وذكر أبو مخنف أنه من جملة من قتلهم الحجاج ممن خرج مع ابن الأشعث. انظر: الإصابة ج ٥/ص ٥٣٥.

(٦١٨) هم حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

(٦١٩) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٤/ص ١٤٥٨/ح ٣٧٤٧. وانظر: لباب النقول ص ١٤٨. والمسند الصحيح ص ١٥٥. وأسباب النزول للواحد ص ٢٣٦. والمصنف الحديث ص ٢٦١ - ٢٦٢.

وقوله تعالى: ﴿خَصَّانَ﴾ يريد طائفتين لأن لفظة خصم هي مصدر يوصف به الجمع والواحد ويدل على أنه أراد الجمع قوله ﴿أَخْصَمُوا﴾ فإنها قراءة الجمهور... وقوله ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ معناه في شأن ربهم وصفاته وتوحيده، ويحتمل أن يريد في رضاء ربهم وفي ذاته، ثم بين حكمي الفريقين فتوعد تعالى الكفار بعذاب جهنم، و﴿قُطِعَتْ﴾ معناه جعلت لهم بتقدير، كما يفصل الثوب، وروي أنها من نحاس وقيل ليس شيء من الحجارة والفلز أحر منه إذا حمي، وروي في صبب ﴿الْحَمِيمُ﴾ وهو الماء المغلى أنه تضرب رؤوسهم بـ (المقامع)^(٦٢٠) فتكشف أدمغتهم فيصب ﴿الْحَمِيمُ﴾ حينئذ، وقيل بل يصب أولاً فيفعل ما وصف، ثم تضرب بـ (المقامع) بعد ذلك، ﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء المغلى، و﴿يُضْهِرُّ﴾ معناه يذاب، وقيل معناه يعصر...، وقيل معناه ينضج^(٦٢١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿هَذَانِ﴾ كثرة الفرق والطوائف المتخاصمة، وتكرار التخاصم، كأنه خصام بعد خصام بينها؛ حيث التشديد يفيد التكثير والتكرير.

يقول مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «وفي التشديد معنى التكرير والتكثير»^(٦٢٢).

بينما قراءة ﴿هَذَانِ﴾ بالتخفيف أن المتخاصمين معروفون وليسوا مبهمين حيث التخفيف هنا إجراء المبهم مُجَرَى الأسماء المعروفة.

يقول مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «وحجة من شدّد النون أن في ذلك ثلاثة أقوال:

(٦٢٠) «قمع: المِقْمَعَةُ بالكسر واحدة المَقَامِع من حديد، كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل، وقَمَعَهُ: ضربه بها، وقمعه وأقَمَعَهُ أي: قهره وأذله فانقَمَعَ». مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٦٢١) المحرر الوجيز ج ٤ / ص ١١٤. وانظر: تفسير ابن أبي زمنين ج ٢ / ص ٢٥.

(٦٢٢) الكشف ج ٢ / ص ٩١.

الأول: أنه شَدَّ النون، ليكون التشديد عوضاً من الحذف، الذي دخل هذه الأسماء المبهمة في التنثية، لأنه قد حُذِفَ أَلِفٌ منها، لالتقاء الساكنين، وهما الألف التي كانت في آخر الواحد، وألف التنثية، فجعل التشديد في النون عوضاً من المحذوف.

الثاني: أن التشديد وَجَبَ لهذه النون، للفرق بين النون، التي هي عوض من تنوين ملفوظ به في الواحد، نحو: زيد وعمرو، وبين النون التي لا تنوين في الواحد ملفوظ به، تكون النون عوضاً منه.

والثالث: أن النون شُدَّتْ للفرق بين النون، التي تُحَذَفُ للإضافة، لأنَّ المُبْهَمَ معرفة، فهو لا يُضَافُ البتة...

وحجة من خَفَّفَ أنه أجرى المُبْهَمَ مُجْرَى سائر الأسماء، فَخَفَّفَ النون، كما تُخَفَّفُ في كلِّ الأسماء، وهو الاختيار، وعليه أتى كلام العرب، وهو المستعمل، وعليه أكثر القراء^(٦٢٣).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - تعالى - يجمع يوم القيامة أهل الطوائف الذين اختصموا في شأن ربهم على اختلاف أسمائهم وانتماءاتهم، وهو العليم بهم، ويفصل بينهم على رغم كثرتهم وتكرار تخاصمهم، كما توعد الكافرين منهم بما أعدّه لهم من عذاب النار المُخْرِقة، والله أعلم.

٨ - قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع، وحفص، ويعقوب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بنصب الهمزة الثانية.

٢ - قرأ شعبة، وأبو جعفر ﴿وَلَوْلُؤًا﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً ساكنة مدية مع نصب الهمزة الثانية.

(٦٢٣) المرجع السابق ج ١/ ص ٣٨٢. وانظر: معاني القراءات ص ١٢٢.

٣ - وقرأ السوسي ﴿وَلَوْلَوْ﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واوا ساكنة مدية مع خفض الهمزة الثانية.

٤ - وقرأ الباقون ﴿وَلَوْلَوْ﴾ بخفض الهمزة الثانية^(٦٢٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لألاً: اللؤلؤة: الدرّة، والجمع: اللؤلؤ واللآلئ^(٦٢٥).

ثالثاً: التفسير:

يَبَشِّرُ الله - تعالى - في هذه الآية المؤمنين بما أعدّه لهم من ألوان النعيم في الجنة.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان هذه الآية: «بيان لحسن حال المؤمنين إثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الأسلوب فيها بإسناد الإدخال إلى الله - ﷻ - وتصدير الجملة بحرف التحقيق إيذاناً بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة وإظهاراً لمزيد العناية بأمر المؤمنين، ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية، وقرئ بالتخفيف من الإحلاء بمعنى الإلباس، أي: يحلّهم الملائكة بأمره تعالى، وقرئ يحلّون من حلية المرأة إذا لبست حليتها، ومن في قوله تعالى ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ إما للتبعية أي: بعض أساور وهي جمع أسورة جمع سوار، أو للبيان لما أن ذكر التحلية ممّا يُنبئ عن الحليّ المُبهم وقيل: زائدة، وقيل: نعت لمفعول محذوف ليحلون فإنه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للأساور ولؤلؤاً عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمّر يدل عليه يحلون أي يؤتون وقرئ بالجر عطفاً على أساور وقرئ ﴿لَوْلَوْ﴾ بقلب الهمزة الثانية واواً، ولولياً بقلبها ياء بعد قلبها واواً، وللبلى بقلبها ياء، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ غير الأسلوب حيث لم يقل: ويلبسون فيها حريراً، لكن لا للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة، أو

(٦٢٤) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٦. والبدور الزاهرة ص ٢١٢.

(٦٢٥) لسان العرب ج ١ / ص ١٨١.

لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل، بل للإيدان بأن ثبوت اللباس لهم أمرٌ مُحَقَّقٌ غنيٌّ عن البيان، إذ لا يمكنُ عراؤهم عنه، وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ؟ فإنها ليست من اللوازم الضرورية، فجعل بيان تحليلتهم بها مقصوداً بالذات، ولعل هذا هو الباعث إلى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس» (٦٢٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بالنصب أن المؤمنين يُحَلُّون في الجنة لؤلؤاً خالصاً.

كما أفادت قراءة ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بالخفض أن المؤمنين يُحَلُّون أساور من الذهب المرصع باللؤلؤ.

أما القراءتان ﴿وَلَوْلُؤُا﴾، ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً مديةً في القراءتين السابقتين فإنها تفيد أن حصول المؤمنين على اللؤلؤ دائم، وميسرٌ لهم، وسهل المنال بلا جهد ولا مشقة.

يقول ابن أبي مريم: «وقرأ يعقوب ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بالنصب... والوجه في نصبه أنه محمول على قوله ﴿يُحَلُّونَ﴾، كأنه قال: وَيُحَلُّونَ لؤلؤاً، يقال حَلَّتْهُ بِالذَّهَبِ وَحَلَّتْهُ الذَّهَبُ.

وأما الهمزتان في اللؤلؤ فيجوز تحقيقهما على الأصل، وتخفيفهما أيضاً بأن تُقْلَبَ كل واحدة منهما واواً، ويجوز أن تُخَفَّفَ الأولى وتُحَقَّقَ الثانية، وأن تُحَقَّقَ الأولى وتُخَفَّفَ الثانية، والتخفيف هاهنا بأن تُقْلَبَ الهمزة واواً، والتحقيق بأن تُتْرَكَ همزة.

وقرأ الباقر ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بالجر في السورتين، والوجه أنه معطوف على ﴿ذَهَبٍ﴾ من قوله ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، كأنه قال: أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ لَوْلُؤُا» (٦٢٧).

(٦٢٦) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٣٧٤، ٣٧٥.

(٦٢٧) الموضح: ج ٢ ص ٨٧٦، ٨٧٧. (بتصرف بسيط).

ويقول الألوسي: «لؤلؤٌ بالخفض عطفًا على (أساور) أو على (ذهب) لأن السَّوَارَ قد يكونُ من ذهبٍ مرصعٍ بلؤلؤٍ وقد يكون من لؤلؤٍ فقط كما رأيناه، ويسمى في ديارنا خصرًا وأكثرُ ما يكون من المُرْجَانِ» (٦٢٨).

بالجمع بين القراءات الأربع يتحقَّق أنَّ الله تعالى أعدَّ للمؤمنين في الجنة نعيمًا كثيرًا حيثُ يلبسون لؤلؤًا خالصًا، كما يلبسون أساور الذهب المُرْصَّعِ باللؤلؤِ الصغير، الذي يُسمَّى مرجانًا، وهم ينالون ذلك كله بيسرٍ، وسهولةٍ، وديمومةٍ فلا يحُولُ بينهم وبين الحصول عليه غلاءٌ ثمنٍ، ولا قِلَّةُ مالٍ فقد نالوا الجنة التي هي أغلى من أيِّ ثمنٍ، والله أعلم.

٩ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظْلَمِ نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٥) [الحج: ٢٥].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ﴾:

١ - قرأ حفص عن عاصم ﴿سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ﴾ بالنصب.

٢ - قرأ الباقون ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ بالرفع (٦٢٩).

القراءات في ﴿وَالْبَادِ﴾:

١ - قرأ ورش، وأبو عمرو، وأبو جعفر ﴿وَالْبَادِي﴾ بإثبات الياء وصلًا.

٢ - قرأ ابن كثير، ويعقوب ﴿والبادي﴾ بإثبات الياء وصلًا ووقفًا.

٣ - قرأ الباقون ﴿وَالْبَادِ﴾ بحذف الياء وصلًا ووقفًا (٦٣٠).

(٦٢٨) روح المعاني ج ١٧/ص ٢٠٢.

(٦٢٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٦.

(٦٣٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«سواء: بمعنى عدل» (٦٣١).

العاكف: المقيم به الحاضر.

البادي: الطارئ من البدو وهو النازع إليه من غربته، وقال بعضهم يدخل في العاكف القريب إذا جاور ولزمه للتعبد وإن لم يكن من أهله (٦٣٢).

بدا: بدا الشيء بدواً، وبداء، أي: ظهر ظهوراً بيناً، والبدو خلاف الحضر، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...﴾ [يوسف: ١٠٠] أي البادية: وهي كل مكان يبدو ما يعنّ فيه، أي: يعرض، ويقال للمقيم في البادية: بادٍ، كقوله تعالى: ﴿...سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ...﴾ (٦٣٣).

ثالثاً: التفسير:

في الآية تحذيرٌ للذين جمعوا بين الكفر والصدّ عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان بأن يذيقهم الله - تعالى - العذاب الأليم.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: «يخبرُ تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون برَبِّهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصدّ عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصدّ أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لأبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه، بل صدّوا عنه أفضل الخلق محمداً وأصحابه، والحال أن هذا المسجد الحرام، من حرمة واحترامه وعظمته، أن من يُردّ فيه بالحادٍ بظلمٍ نذقه من عذاب أليم.

فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرّم، مُوجِبٌ للعذاب، وإن كان

(٦٣١) دقائق لغة القرآن ج ١/ص ٧٣. وقد ذكرت معناها عند الحديث عن (مكاناً سوى) في سورة طه ص ٥٤.

(٦٣٢) انظر: تفسير الرازي ج ٢٣/ص ٢٤.

(٦٣٣) انظر: المفردات ص ١١٣.

غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصّد عن سبيله، ومَنع من يريده زيارة، فما ظنكم أن يفعل الله بهم؟» (٦٣٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد ﴿سَوَاءٌ أَلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ بالنصب أن الله - تعالى - جعل البيت الحرام سواء للمقيم والزائر.

أمّا قراءة ﴿سَوَاءٌ أَلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ بالرفع فقد أفادت أن المُقيم والزائر لبيت الله الحرام يستويان في حق السكن والعبادة فيه.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «رُفِعَ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مَبْتَدَأُ مَقْدَمِ أَيْ الْعَاكِفِ وَالْبَادِ فِيهِ سَوَاءٌ، وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ مَنْسَكًا فَالْعَاكِفِ وَالْبَادِ فِيهِ سَوَاءٌ وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ (سَوَاءٌ) بِالنَّصْبِ بِإِيقَاعِ الْجَعْلِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْجَعْلَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (٦٣٥).

أمّا قراءة ﴿وَالْبَادِ﴾ فإنَّ المقصود بها الزائر لبيت الله الحرام المُطِيل لزيارته.

في حين أن قراءة ﴿وَالْبَادِ﴾ يُقْصَدُ بِهَا الزائر الذي لا تطول زيارته لبيت الله الحرام.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي: «لا شك أن الحركة القصيرة أقل حجماً وأقصر استمرارية من الطويلة» (٦٣٦).

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أن نذكر أصلاً عاماً في ذكر الياء وحذفها وهو: أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلف عن ذكر الياء في كل ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كل

(٦٣٤) تفسير السعدي ص ٥٣٦.

(٦٣٥) تفسير الرازي ج ٢٣/ص ٢٣.

(٦٣٦) دراسة الصوت اللغوي ص ٣٣٩.

ذلك خطٌ عامٌّ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطلاءٍ وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاءِ بالكسرة فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام» (٦٣٧).

بالجمع بين القراءات الأربع يتبيَّن أنَّ الله - تعالى - قد جعل البيت الحرام سواءً وعدلاً في العبادة وفي الإقامة بين المقيم في مكة الملازم لبيته الحرام فيها، والمسافر الذي يحضرُ من البادية للعبادة، سواءً أطالت زيارته أم قُصُرَتْ، فإنَّ له حقَّ العبادة والإقامة في بيت الله الحرام، ولا يحقُّ لأيٍّ من العاكف أو البادي منع الآخر من هذين الحَقَّين اللذين جعلهما الله - تعالى - لكلِّ منهما سواءً، والله أعلم.

١٠ - قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾:

١ - قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وورش، ورويس ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾ بكسر اللام.

٢ - قرأ الباقر ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾ بإسكان اللام.

القراءات في: ﴿وَلِيُوفُوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾:

١ - قرأ ابن ذكوان ﴿وَلِيُوفُوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ بكسر اللام.

٢ - قرأ شعبة ﴿وَلِيُوفُوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ بإسكان اللام وفتح الواو وتشديد الفاء من (وَلِيُوفُوا).

٣ - قرأ الباقر ﴿وَلِيُوفُوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ بإسكان اللام منهما (٦٣٨).

(٦٣٧) التعبير القرآني ص ٨٠.

(٦٣٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٦.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً» (٦٣٩).

«وفى: الوافي: الذي بلغ التمام ... وفى بعهده يفى وفاءً وأوفى: إذا تَمَّ العهد ولم ينقض حفظه» (٦٤٠).

«الطواف: المشي حول الشيء ومنه: الطائف لمن يدور حول البيوت حافظاً» (٦٤١).

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: «أي: يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوسخ والأذى، الذي لحقهم في حال الإحرام، ﴿وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ﴾ التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا، ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم، أفضل المساجد على الإطلاق، المعتقد: من تسلط الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف، خصوصاً بعد الأمر بالمناسك عموماً، لفضله، وشرفه، ولكونه المقصود، وما قبله وسائل إليه.

ولعله - والله أعلم أيضاً - لفائدة أخرى، وهو: أن الطواف مشروع كل وقت، وسواء أكان تابعاً لنسك، أم مستقلاً بنفسه» (٦٤٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿لِيَقْضُوا﴾ أمر الحجاج والمعتمرين بالتحلل من إحرامهم بعد أن يَتِمُّوا أداء مناسكهم.

في حين أن قراءة ﴿لِيَقْضُوا﴾ أشارت إلى الأخذ بالرخص التي أباحها

(٦٣٩) المفردات ص ٦٧٤.

(٦٤٠) المرجع السابق ص ٨٧٨.

(٦٤١) المرجع السابق ص ٥٣١.

(٦٤٢) تفسير السعدي ص ٥٣٦.

الإسلام لأجل التسهيل والتيسير في التحلل من الإحرام وإذهاب ما لحقهم من أذى خلال فترة الإحرام.

أما قراءة ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ فقد أفادت حث الحجاج والمعتمرين على إيفاء نذورهم على أصولها كما نذروها، والإكثار من الطواف بالبيت.

في حين أفادت قراءة ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ الحث على أن يؤفوا نذورهم بغير تكلف ومشقة بأخذهم بالرخص التي أباحها الله - تعالى - لهم، وأن يكثرُوا منها ومن الطواف حول الكعبة المشرفة.

كذلك فإن قراءة ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ تفيد أخذ الحجاج والمعتمرين بالرخص الشرعية التي شرعها لهم الدين في إيفائهم بالنذور، وكذلك عند الإكثار من الطواف بالبيت الحرام.

يقول الرازي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: أصل التَّفَث في كلام العرب: كل قاذورة تلحق الإنسان فيجب عليه نقضها. والمراد ههنا قصُّ الشارب والأظفار ونتف الإبط وحلق العانة، والمراد من القضاء إزالة التَّفَث... .

أما قوله: ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ﴾ فقرأء بتشديد الفاء ثم يحتمل ذلك ما أوجبه الدخول في الحج من أنواع المناسك، ويحتمل أن يكون المراد ما أوجبه بالنذر الذي هو القول، وهذا القول هو الأقرب فإن الرجل إذا حج أو اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحج يقتضيه، فأمر الله تعالى بالوفاء بذلك.

أما قوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ فالمراد الطواف الواجب وهو طواف الإفاضة والزيارة، أما كون هذا الطواف بعد الوقوف ورمي الجمار والحلق، ثم هو في يوم النحر أو بعده ففيه تفصيل^(٦٤٣).

(٦٤٣) انظر: تفسير الرازي ج ٢٣/ص ٣٠. تفسير ابن كثير ج ٣/ص ٣٧١، تفسير البياضوي ص ٤٥٤، تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٣٧٩، والدر المصون ج ٥/ص ١٤٥.

بالجمع بين القراءات تتبين سماحة الإسلام ويسره بأمر الحجاج بالتحلل من إحرامهم وإذهاب ما لحق بهم من أذى في أثناء إحرامهم، بما تيسر لهم من وسائل، وأخذهم بالرخص المباحة في الدين، وبأن يوفوا نذورهم كما نذروها على أصولها بغير تكلف، وبما يتيسر لهم وليكثروا منها تقرباً إلى الله - تعالى - كما يكثرُوا من التعبد لله بالطواف حول البيت العتيق.

١١ - قال تعالى: ﴿حُفَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].
أولاً: القراءات:

١ - قرأ [المدنيان] نافع وأبو جعفر ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ بفتح الخاء وتشديد الطاء.

٢ - قرأ الباقر ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ بإسكان الخاء وتخفيف الطاء (٦٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خطف: الخطف والاختطاف: الاختلاس بالسرعة» (٦٤٥).

ثالثاً: التفسير:

يأمرنا الله - تعالى - بعبادته وحده ويحذرننا من الإشراك به وترك الاعتصام بالإيمان حتى لا تحطفنا الشياطين من كل جانب فتمزقنا وتذهب بديننا ودنيانا.

يقول السعدي - رحمه الله -: «أمرهم أن يكونوا ﴿حُفَّاءَ لِلَّهِ﴾ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ فمثله ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ﴾ أي: سقط منها ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ بسرعة ﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان

(٦٤٤) انظر: النسخ ج ٢/ص ٣٢٦.

(٦٤٥) المفردات ص ١٥٠.

بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه» (٦٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ سرعة خطف الشياطين للذين تركوا الاعتصام بالإيمان بالله تعالى.

أما قراءة ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ فتفيد كثرة الخطف وشدته.

يقول النسفي: «﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ أي: تسلبه بسرعة ﴿فَتَخَطَّفَهُ﴾ أي تنخطفه مدني، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أي تسقطه، والهوي: السقوط ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيْقٍ﴾ بعيد. يجوز أن يكون هذا تشبيهاً مركباً، ويجوز أن يكون مفرقاً. فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاخطفته الطير ففرق قطعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة. وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي أشرك بالله بالساقط من السماء. والأهواء المردية بالطير المتخطفة، والشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة» (٦٤٧).

«وليس يخفى أن هذه الصورة تدفع الخيال لمتابعة الحركات السريعة لسقوط المشرك من السماء، وفي لمح البصر تخطفه الطير، أو ترميه في مكان سحيق، بعيد عن الأنظار، ويترك للخيال أن يتأمل صورة خطف الطير له، وصورة تمزيقه قطعاً، أو يتابع حركة سقوطه في مكان سحيق بعيد» (٦٤٨).

(٦٤٦) تفسير السعدي ص ٥٣٨. وانظر: تفسير ابن عربي ج ٢/ ص ٣٨٩.

(٦٤٧) تفسير النسفي ج ٣/ ص ١٥٤. وانظر: التفسير القرآني مج ٥/ ج ١٧/ ص ١٠٢٩.

(٦٤٨) دلالات الظاهرة الصوتية ص ٢٣٣.

ويصور الشهيد سيد قطب - رَحِمَهُ اللهُ - هذا المشهد فيقول: «انظر: لقد خَرَّ من السماء، انظر: لقد خطفته الطير، انظر: لقد اختفى المسرح ومن فيه!... ولم هذه السرعة الخاطفة؟ لئلا يتوهم أحد أن لمن يشرك بالله منبتاً، أو وجوداً أو قراراً، أو امتداداً مهما يبلغ من الحسب والقوة والجاه والبنين؛ إنما يأتي في ومضة من المجهول، ليذهب في ومضة إلى المجهول» (٦٤٩).

بالجمع بين القراءتين ترسم الآية صورةً مُرعبةً، فيها تحذيرٌ من الشُّركِ بالله، ومن تركِ التمسُّك بالإيمان به، كما أن فيها تهديدٌ لمن يفعل ذلك؛ لأنَّ من يفعل ذلك ستزديه الأهواءُ في المهالكِ كمن تخطفه الشياطين بشدة وبسرعة وبكثرة، وستوقعه في الضلال فتذهب عليه دينه ودنياه، والله أعلم.

١٢ - قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّدِكْرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ أَلْأَنْعَمِ فَإِلَهُمُ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿مَنَسِكًا﴾ بكسر السين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مَنَسَكًا﴾ بفتح السين (٦٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نسك: التُّسُك: العبادة، والتَّاسِكُ: العابد، واختصَّ بأعمالِ الحج، والمناسك: مواقف التُّسُك وأعمالها (٦٥١).

«والمَنَسِكُ في كلام العرب هو الموضعُ المعتاد، ومنه تسميةُ مناسكِ

(٦٤٩) التصوير الفني في القرآن ص ١١١.

(٦٥٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٦.

(٦٥١) المفردات ص ٨٠٢.

الحج، لاعتبار مواضعها» (٦٥٢).

ثالثاً: التفسير:

ثبتت هذه الآية أن دعوة جميع الرسل واحدة حيث تدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبودية، فعلى رغم تعدد الشرائع فإن أصلها واحد، كما أن لكل أمة منسكاً واحداً دون غيره.

يقول أبو السعود - رحمه الله -: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴿٦٥٢﴾ أي: لكل أهل دين ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ أي: مُتَعَبِّدًا وَقُرْبَانًا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ﴿٦٥٣﴾. وقرئ بكسر السين أي: موضع نُسُكٍ. وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص، أي: لكل أمة من الأمم جعلنا منسكاً لا لبعض دون بعض. ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل جعله به تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها، وفيه تنبيه على أن القرбан يجب أن يكون من الأنعام. والخطاب في قوله تعالى: ﴿فَالْهَكَرُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ للكل تغليياً. والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكاً مما يدل على وحدانيته تعالى. وإنما قيل إله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته للكل. والفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ أَسْلَمُوا﴾ لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته تعالى، وتقديم الجار والمجرور على الأمر للقصر، أي: فإذا كان إلهكم إلهاً واحداً فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة، ولا تشوبوه بالشرك، ﴿وَيَشِرَ الْمُخْتَلِينَ﴾ تجريد الخطاب إلى رسول الله ﷺ أي: المتواضعين أو المخلصين؛ فإن الإخبارات من الوظائف الخاصة بهم» (٦٥٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مَنَسَكًا﴾ تخصيص المنسك حيث إن الله - تعالى - جعل

(٦٥٢) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٢٥.

(٦٥٣) تفسير أبي السعود ج ٤/ ص ٣٨١.

ذبحَ القرابين وإراقةَ الدماءِ تقرباً لله - تعالى - منسكاً خاصاً بكل أمةٍ من الأمم.

بينما قراءة ﴿مَنْسِكاً﴾ فتفيد تحديد المكان والزمان الذي يتم فيه ذبح قرابينهم وإراقة دمائها.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «وهذا الوزن (مَفْعِل) يصلح أن يكون مصدراً ميميّاً»^(٦٥٤) ومعناه: التُّسْك، والمراد به هنا: (الذَّبْح).

ويصلح أن يكون اسمَ مكانٍ، أي: مكاناً للتُّسْك، أو اسمَ زمانٍ، أي: وقتُ التُّسْك، والفتح هو القياس والكسر سماعي»^(٦٥٥).

ويقول البغوي: ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكاً﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المَسْجِد والمَطْلِع، أي: مذبحاً، وهو موضعُ القرابين، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المَدْخَل والمَخْرَج، أي: إراقةَ الدماءِ وذبحَ القرابين»^(٦٥٦).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - تعالى - اختصَّ كل أمةٍ من الأمم بذبح القرابين وإراقة دمائها تقرباً إليه - ﷻ - كما جعلَ لهم مكاناً خاصاً بالذَّبْح وزماناً خاصاً به كذلك، يؤدُّون فيه هذا المنسك، والله أعلم.

١٣ - قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٧].

(٦٥٤) يُصاغ المصدر الميمي من الفعل الثلاثي على وزن (مَفْعِل) نحو: مَقْدَم، إلا إذا كان مثلاً صحيح اللام تُحْدَف فاؤه في المضارع، فإنه يُصاغ على (مَفْعِل) نحو: موعِد. وشدَّت ألفاظُ منها المزيد، والمرجع، والمصير، وقياسها فتح العين. أمّا من غير الثلاثي فإنه يُصاغ على زنة اسم المفعول كالمنطلق والمستخرج. انظر: معاني الأبنية ص ٣٤.

(٦٥٥) الهادي ج ٣/ص ٦٧.

(٦٥٦) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٨٥. وانظر: تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧ / ص ٢٠٣، الكشاف ج ٣/ص ٢١، وتفسير البيضاوي ص ٤٥٥.

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب ﴿لَنْ تَنَالَ اللَّهَ، وَلَا يَنْ تَنَالَهُ﴾ بالتاء على التأنيث.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ، وَلَكِنْ يَنَالُهُ﴾ بالياء على التذكير^(٦٥٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«نَالَ خيراً يَنَالُ نَيْلاً: أَصَاب»^(٦٥٨).

ثالثاً: التفسير:

تَقَرَّرُ هذه الآية الهدف من القرابين التي تُذبح حيث لا يصلُ الله تعالى منها لحومها ولا دماؤها، ولكن لا يصله منها إلا تقوى الله وإخلاص النية له تعالى.

يقول الطبري: «﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْوُ مِنْكُمْ﴾ قال: إِنْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبُذُنِ، وَعَمِلْتَ فِيهَا لِلَّهِ، وَطَلَبْتَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعْظِيماً لَشَعَائِرِ اللَّهِ وَلِحُرْمَاتِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ قال (وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) قال: وجعلته طيباً، فذلك الذي يَتَقَبَّلُ اللَّهُ. فأما اللحمُ والدماء، فَمِنْ أَيْنَ تَنَالَ اللَّهُ؟ وقوله: ﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ﴾ يقول: هكذا سخر لكم البُذُن. يقول: ﴿لِشْكْرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ يقول: كي تعظموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقه إياكم لدينه وللشك في حجكم... ﴿لِشْكْرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ قال: على ذبحها في تلك الأيام: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة»^(٦٥٩).

(٦٥٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٦.

(٦٥٨) مختار الصحاح ص ٦٨٨. وانظر: التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٢٦٧.

(٦٥٩) تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧/ص ٢٠٣.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ، وَلَكِنْ يَنَالُهُ﴾ بالتذكير تفيذُ عدمِ نيلِ الله تعالى أو إصابته أيّاً من لحوم تلك الذبائح التي تُنَحَرُ كقرايينِ لله أو دمائها، فهنا نفى الفعل كائنٌ عن الله تعالى.

أمّا قراءة التأنيث ﴿لَنْ تَنَالَ اللَّهُ، وَلَايَنْ تَنَالُهُ﴾ فإنّها تفيذُ عدمِ إصابة اللحوم أو الدّماءِ أو وصولها إلى الله تعالى، حيث الفاعلُ المقصودُ بنفي فعله هنا هو الدماءُ واللحوم.

يقول ابن أبي مريم: «والوجه أنّه إنّما أُنتَ الفعل فيهما لتأنيث الفاعل.

أمّا الأول وهو قوله: ﴿لَنْ تَنَالَ اللَّهُ لَحُومُهَا﴾ فإنّما أُنتَ ﴿تَنَالَ﴾؛ لأنّ فاعله جماعة، وهي قوله ﴿لَحُومُهَا﴾.

وأمّا الثاني وهو قوله: ﴿تَنَالُهُ التَّقْوَى﴾ فإنّما أُنتَ؛ لأنّ فاعله ﴿التَّقْوَى﴾ وهي مصدرٌ مؤنث؛ لكونه فعلاً.

وقرأ الباقون بالياء فيهما، والوجه أنّ تذكير الفعل إنّما هو للفصل بين الفعل وفاعله. أمّا الأول فقد فصل بين الفعل منه وهو ﴿يَنَالَ﴾ وبين فاعله وهو اللحوم، بلفظ ﴿اللَّهُ﴾، وأكّد التذكير أنّ تأنيث اللحوم تأنيثُ جمع، فيجوزُ تذكيره.

وأمّا الثاني فقد فصل بين الفعل منه وفاعله بالهاء وهو ضميرُ المفعول في قوله: ﴿يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾، والتأنيث في الفاعلين كليهما غير حقيقي، فالأمرُ فيه أسهل» (٦٦٠).

بالجمع بين قراءتي التذكير والتأنيث يتأكّد النفي المذكور في الآية حيثُ لن يَصِلَ أو يبلُغَ أو يُدرِكَ الله - تعالى - لحوم تلك الذبائح ولا دمائها، كما لن تَصِلَ اللحومُ والدماءُ إلى الله تعالى، وذلك أنّ الله - تعالى - هو الغنيُّ عنها ولكّنها وسيلةٌ تُقَرَّبُ إليه سبحانه فلا بدّ للمُتَعَبِّدِ إلى الله بها أن

يَسْتَشْعِرُ التَّقْوَىٰ وَإِخْلَاصَ النِّيَّةِ لِلَّهِ ﷻ، والله أعلم.

١٤ - قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير و[البصريان] أبو عمرو ويعقوب ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾ بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقون ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾ بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء^(٦٦١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الدَّفْعُ: الدَّفْعُ إِذَا عُدِّيَ بِهِ (إِلَى) اقْتَضَىٰ مَعْنَى الْإِنَالَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، وَإِذَا عُدِّيَ بِغَيْرِ اقْتَضَىٰ مَعْنَى الْحِمَايَةِ، نَحْوُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]»^(٦٦٢).

ثالثاً: التفسير:

يؤكد الله - تعالى - في هذه الآية دفاعه عن المؤمنين، وبغضه للكفار.

وهنا تعبير جميل للشهيد سيد قطب - رحمه الله - حيث يقول:

«ولم يشأ الله أن يترك الإيمان، والخير، والحق عزلاً تكافح قوى الطغيان، والشر، والباطل، اعتماداً على قوة الإيمان في النفوس وتغلغل الحق في الفطر، وعمق الخير في القلوب. فالقوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وتزيغ الفطر. وللصبر حدٌ وللاحتمال أمدٌ، وللطاقة البشرية مدى تنتهي إليه. والله أعلم بقلوب الناس، ونفوسهم. ومن ثم لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتنة، إلا ريثما يستعدون للمقاومة، ويتهيؤون

(٦٦١) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٦.

(٦٦٢) المفردات ١٧٠.

للدفاع، ويتمكنون من وسائل الجهاد... وعندئذ أذن لهم في القتال لردّ العدوان.

وقبل أن يأذن لهم بالانطلاق إلى المعركة آذَنهم أَنَّهُ هو سيتولّى الدفاع عنهم؛ فَهُمْ في حمايته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَأَنَّهُ يَكْرَهُ أَعْدَاءَهُمْ لكفرهم وخيانتهم فهم مخذولون حتماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٦٦٣).

ويقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «يخبرُ تعالى أَنَّهُ يَدْفَعُ عن عباده الذين تَوَكَّلُوا عليه وَأَنَابُوا إليه شَرَّ الأَشْرَارِ وكَيْدَ الفَجَارِ، ويحفظُهم ويكلِّؤُهم وينصرُهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» [الطلاق: ٣].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أي: لا يحبُّ من عباده من اتَّصَفَ بهذا، وهو الخيانةُ في العهود والمواثيق، لا يفي بما قال. والكفر: الجحد للنعم، فلا يعترف بها» (٦٦٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ﴾ تفيد أنَّ الدَفْعَ عن المؤمنين يكونُ من الله تعالى وحده فيدفعُ عنهم أذى المشركين وغيرهم، كما يمنعُ أن يصيبهم قليلُ الأذى أو كثيره.

أمَّا قراءة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾ فإنَّها تفيد معنى المفاعلة لا على حقيقتها وإنَّما الدفاع من الله وحده. ولكن صيغة المفاعلة جاءت لتدلَّ على المبالغة في الدفاع وقوَّته وتكراره مرَّةً بعد مرَّةً.

يقول الشوكاني - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «قرأ أبو عمرو وابن كثير: «يدفع» وقرأ

(٦٦٣) في ظلال القرآن ج ٤/ص ٢٤٢٤.

(٦٦٤) تفسير ابن كثير ج ٣/ص ٣٨١.

الباقون: ﴿يُدْفَعُ﴾ وصيغة المفاعلة هنا مجردة عن معناها الأصلي، وهو وقوع الفعل من الجانبين كما تدلّ عليه القراءة الأخرى. وقد ترد هذه الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلي كثيراً مثل: عاقبتُ اللصَّ ونحو ذلك» (٦٦٥).

ويقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كلامٌ مُستأنفٌ مسوقٌ لتوطین قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرّون على صدّهم عن الحجّ، وذكر أن ذلك متّصلٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾ [الحج: ٢٥] وإنّ ما وقع في البين من ذكر الشعائر مستطرد لمزيد تهجين فعلهم وتقبيحهم لازدياد قبح الصدّ بازدياد تعظيم ما صدّ عنه، وتصديره بكلمة التحقيق لإبراز الاعتناء التام بمضمونه، وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على تكرّر الدفع، فإنّها قد تتجرّد عن وقوع الفعل المتكرّر من الجانبين فيبقى تكرّره كالممارسة، أي: إنّ الله تعالى يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصدّ عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام مبالغة من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى بحسبما يتجدّد منهم القصد إلى الإضرار بهم كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقرأ أبو عمرو، وابن كثير ﴿يدفع﴾ والمفعول محذوف كما أشير إليه، وفي (البحر) (٦٦٦) أنّه لم يذكر ما يدفعه سبحانه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعمّ» (٦٦٧).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن الله - تعالى - يبشّر المؤمنين بأنّه يحميهم ويبالغ في الدفاع عنهم بقوة مرة بعد مرة فيدفع عنهم الشرور والمكائد ويذهبها عنهم، ولن يتركهم بمفردهم لينال الكفار منهم، أو يصيبوهم بأي نوع من أنواع الأذى مهما قلّ أو كثر، والله أعلم.

(٦٦٥) فتح القدير ص ١١٦٨. وانظر: القراءات المتواترة ص ١٩٥.

(٦٦٦) هو تفسير البحر المحيط لأبي حيّان.

(٦٦٧) روح المعاني ج ١٧/ص ٢٣٨، ٢٣٩. وانظر: تفسير البضاوي ص ٤٥٥. والتحرير والتنوير ج ١٧/ص ٢٧١، ٢٧٢. وتفسير الرازي ج ٢٣/ص ٣٨.

١٥ - قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾:

١ - قرأ المدنيان، والبصريان^(٦٦٨)، وعاصم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾ بضم الهمزة.

٢ - قرأ الباقون ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾ بفتح الهمزة.

القراءات في ﴿يُقَتِّلُونَ﴾:

١ - قرأ المدنيان، وابن عامر وحفص ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بفتح التاء مجهلاً^(٦٦٩).

٢ - قرأ الباقون ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بكسر التاء^(٦٧٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الإذن في الشيء: إعلامٌ بإجازته والرخصة فيه نحو ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] أي: بإرادته وأمره... وقيل: معناه: بعلمه.

لكن بين العلم والإذن فرق، فإن الإذن أخص ولا يكاد يستعمل إلا فيما فيه مشيئة به^(٦٧١).

«أذن لهم: أي أبيع لهم القتال، دفاعاً عن النفس»^(٦٧٢).

(٦٦٨) المدنيان هما [نافع وأبو جعفر]، والبصريان هما [أبو عمرو ويعقوب].

(٦٦٩) مجهلاً أي: مبني للمجهول.

(٦٧٠) انظر: الشرح ج ٢/ص ٣٢٦.

(٦٧١) المفردات ص ٧١.

(٦٧٢) التفسير القرآني للقرآن مج ٥/ص ١٠٤٣.

«ق ت ل: القَتْلُ معروف وبابه نَصَرَ، وَتَقَاتَلَا وَقَتَلَهُ قِتْلَةً سَوْءَ بالكسر، وَمَقَاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أُصِيبَتْ قَتَلَتْهُ، يقال: مَقَتَلَ الرجل بين فكيه وَقَتَلَ الشيءَ حُجْرًا قال الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] أي: لم يحيطوا به علمًا، والمُقَاتِلَةُ القتال، وَقَاتَلَهُ قِتَالًا، والمُقَاتِلَةُ بكسر التاء: القَوْمُ الذين يصلحون للقتال، وأَقَتَلَهُ: عَرَضَهُ للقتل وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا: شَدَّدَ للكثرة» (٦٧٣).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية تَبَشِّرُ المؤمنين بأنَّ الله تعالى قد أَذِنَ لهم بالقتال وقد تَكَفَّلَ بنصرهم على عدوهم فجاءت خاتمة الآية مناسبة لمضمونها.

وقد جاء في سبب نزولها عن ابن عباس قال: (لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرِجُوا نَبِيَّهِمْ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، لِيَهْلِكَنَ، فَنَزَلَتْ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ...﴾ قال: فعرف أنه سيكون قتال)، قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال (٦٧٤).

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان معنى هذه الآية: ﴿أُذِنَ﴾ أي رُخِّصَ. وقرئ على البناء للفاعل أي أَذِنَ اللهُ تعالى ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ أي يُقَاتِلُهُمُ الْمُشْرِكُونَ. والمأذونُ فيه محذوفٌ لدلالة المذكور عليه فإنَّ مُقَاتِلَةَ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُمْ دَالَّةٌ عَلَى مُقَاتِلَتِهِمْ إِيَّاهُمْ دَلَالَةٌ نَبِيْرَةٌ. وقرئ على صيغة المَبْنِيِّ للفاعل أي يُرِيدُونَ أَنْ يُقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ فِيمَا سِيَّاتِي وَيَحْرِصُونَ عَلَيْهِ. فدلالته على المحذوفِ أَظْهَرُ ﴿يَأْنَهُمْ ظَلَمُوا﴾ أي بسبب أنهم ظلموا. وهم أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ - ورضي عنهم - كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُؤْذُونَهُمْ وَكَانُوا يَأْتُونَهُ ﷺ بَيْنَ مَضْرُوبٍ وَمَشْجُوجٍ وَيَتَظَلَّمُونَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ ﷺ: (اصْبِرُوا فَإِنِّي

(٦٧٣) مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٦٧٤) أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ج ٦ / ص ٢ / ح ٣٠٨٥ كتاب: الجهاد، باب: وجوب الجهاد. وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر: السنن الكبرى ج ٣ / ص ٣ / ح ٤٢٩٢، وسنن الترمذي ج ٥ / ص ٣٢٥ / ح ٣١٧١، والصحيح المسند ص ١٥٦ - ١٥٧.

لم أومر بالقتال^(٦٧٥) حَتَّى هَاجَرُوا فَأُنْزِلَتْ وَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ
بعد ما نُهِيَ عنه فِي تَيْفٍ وَسَبْعِينَ آيَةً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وعدَّ لهم
بالتَّصَرُّفِ وتأكَّدَ لما مرَّ من العِدَّةِ الكريمةِ بالدَّفْعِ، وتصريحُ بأنَّ المرادَ به ليسَ
مجرَّدَ تخليصِهِم من أيدي المشركين بلْ تغليبِهِم وإظهارَهُم عليهم. والإخبارُ
بقُدْرَتِهِ تعالى على نصرِهِم واردةٌ على سَنَنِ الكبرياءِ، وتأكيدُهُ بكلمةِ التَّحْقِيقِ
واللَّامِ لمزيدِ تحقيقِ مضمونه وزيادةِ توطِينِ نفوسِ المؤمنين^(٦٧٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إِنَّ قِرَاءَةَ ﴿أُذِنَ﴾ تَفِيدُ أَنَّ الْإِذْنَ قَدْ حَصَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ
الْكَافِرِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وسهولة ذلك عليه سبحانه.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «ولمَّا كان كَأَنَّهُ قد قيل: كيف تكون
المدافعةُ ويَمَن؟ قيل: بعبادَةِ المؤمنين، عَبَّرَ عن ذلك بقوله: ﴿أُذِنَ﴾ وأشارَ
بقراءة من بناه للمجهول إلى سهولة ذلك عليه سبحانه»^(٦٧٧).

فِي حِينَ تَفِيدُ قِرَاءَةَ ﴿أُذِنَ﴾ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ الَّذِي أُذِنَ لَهُمْ
بِالْقِتَالِ وَعَلَيْهِ فَقَدْ تَكَفَّلَ لَهُمْ بِالنَّصْرِ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

أَمَّا قِرَاءَةُ ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ فَإِنَّهَا تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ.

فِي حِينَ تَفِيدُ قِرَاءَةَ ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ أَنَّ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ بِالْقِتَالِ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ الْقَادِرُونَ عَلَى الْقِتَالِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ التَّكْلِيفِ بِالْقِتَالِ بِهَذِهِ
الْقِرَاءَةِ كُلٌّ مِنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْقِتَالَ كَالضَّعْفَاءِ وَالْمَرْضَى وَغَيْرِهِمْ.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وقرأ نافع، وأبو عمرو،
وعاصم: ﴿أُذِنَ﴾ بالبناء للنائب. وقرأه الباقون بالبناء إلى الفاعل.

وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بفتح التاء

(٦٧٥) أخرجه النسائي بمعناه عن ابن عباس في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد ج٦/
ص ٢ / ح ٣٠٨٦. وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٦٧٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٦٧٧) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٥٧.

الفوقية مبنياً إلى المجهول. وقرأه البقية بكسر التاء مبنياً للفاعل.

والذين يقاتلون مرادٌ بهم المؤمنون على كلتا القراءتين لأنهم إذا قوتلوا فقد قاتلوا. والقتالُ مُستعملٌ في المعنى المجازي إما بمادته، وإما بصيغة المضي.

فعلى قراءة فتح التاء فالمرادُ بالقتال فيه القتلُ المجازي، وهو الأذى. وأما على قراءة ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاء فصيغة المضي مستعملة مجازاً في التهيؤ والاستعداد، أي أذنٌ للذين تهيئوا للقتال وانتظروا إذن الله. وذلك أن المشركين كانوا يؤذون المؤمنين بمكة أذى شديداً فكان المسلمون يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: (اصبروا فإنني لم أومر بالقتال) (٦٧٨)، فلما هاجر نزلت هذه الآية بعد بيعة العقبة إذناً لهم بالتهيؤ للدفاع عن أنفسهم ولم يكن قتال قبل ذلك كما يؤذن به قوله تعالى عقب هذا: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَغَيْرُ حَرْجٌ﴾ [الحج: ٤٠] (٦٧٩).

يقول الشنقيطي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾: «أي أذن لهم في القتال بدليل قوله: يقاتلون، وقد صرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أذن للذين يقاتلون وهم النبي ﷺ وأصحابه، ودلّ قوله: يقاتلون: على أن المراد من يصلح للقتال منهم دون من لا يصلح له، كالأعمى والأعرج والمريض والضعيف والعاجز عن السفر للجهاد لفقره بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ...﴾ [النور: ٦١] و[الفتح: ١٧]. وقوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفُوتُ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] (٦٨٠).

بالجمع بين القراءات الأربع يتبين أن الله - تعالى - أذن لفئة من

(٦٧٨) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٦٧٩) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٦٨٠) أضواء البيان ج ٥ / ص ٦٩٩.

المؤمنين بمقاتلة الكافرين وهذه الفئة هم القادرون منهم على الجهاد، وإذنه تعالى لهم يعني تهيتوهم واستعدادهم للقتال وأنه تعالى تكفل بنصرهم على عدوهم، والله أعلم.

١٦ - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمَاءَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿دَفْعُ اللَّهِ﴾:

١ - قرأ المدنيان، ويعقوب ﴿دَفَاعُ اللَّهِ﴾ بكسر الدال وألف بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿دَفْعُ اللَّهِ﴾ بفتح الدال وإسكان الفاء^(٦٨١).

القراءات في ﴿لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ﴾:

١ - قرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر]، وابن كثير ﴿لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ بتخفيف الدال.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ بتشديد هاء^(٦٨٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات^(٦٨٣):

«الْهَدْمُ نَقِیْضُ الْبِنَاءِ هَدَمَهُ يَهْدِمُهُ هَدْمًا وَهَدَمَهُ فَانْهَدَمَ وَتَهْدَمُ وَهَدَمُوا بُيُوتَهُمْ شَدَدَ لِلْكَثْرَةِ ... الْهَدْمُ: قَلْعُ الْمَدَرِ يَعْنِي الْبُيُوتِ»^(٦٨٤).

(٦٨١) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

(٦٨٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

(٦٨٣) سبق المعنى اللغوي لـ (دفع). انظر: ص ٢٤٧.

(٦٨٤) لسان العرب ج ١٢/ص ٦٠٣. وانظر: مختار الصحاح ص ٧٠٥.

ثالثاً: التفسير:

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «ثم وصفهم بما يبين مظلوميتهم على وجه يجمعهم ويوثقهم بالله فقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ إلى الشَّعْبِ والحِشَّةِ والمدينة ﴿بِعَمِيرٍ حَقٍّ﴾ أوجب ذلك ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ أي: غير قولهم، أو إلا قولهم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ المحيطُ بصفات الكمال، الموجبُ لإقرارهم في ديارهم، وحبُّهم ومدحهم واقتفاء آثارهم، ... وفي سَوَاقِ ذلك المساق الاستثناء عند من يجعله منقطعاً إشارةً إلى أَنَّ من أخلصَ لله، صَوَّبَ الناسُ إليه سهامَ مكرهم، ولم يدعُوا في أذاه شيئاً من جهدهم.

ولما ذكر مدافعتَه، وذكر أنها عن المؤمنين، بيَّن سرَّها عموماً ليفهم منها هذا الخاص، وصوَّرها تقريباً لفهمها، فقال عاطفاً على ما تقديره: فلولا إذنُ الله لهم لاستمرَّ الشركُ ظاهراً، والباطلُ - باستيلاء الجَهْلَةِ على مواطنِ الحجِّ - قاهراً، ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ أي: المحيطُ بكلِّ شيءٍ علماً وقدرةً في كلِّ شريعة، وفي زمن كلِّ نبيٍّ أرسله.

﴿النَّاسُ﴾ أي: عموماً ﴿بَعْضُهُمْ يَبْغِي﴾ أي: بتسليط بعضهم على بعض، ﴿فَلَمَّا دَنَتْ صَوَائِعُ﴾ وهي معابدُ صغارَ مرتفعةً للرهبان، ﴿وَبَيْعُ﴾ للنصارى ﴿وَصَلَوَاتٍ﴾ أي: كنائس اليهود، ﴿وَسَجْدُ﴾ أي: للمسلمين، آخرها لتكون بعيدةً من الهدم قريبةً من الذكر، ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ أي: المَلِكُ الذي لا مَلِكَ غيره، ولعلَّ العدولَ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ للإشارة إلى اختلافِ ذكره تعالى في الأماكنِ المذكورة بالإخلاص وغيره، ﴿كَثِيرًا﴾ لأنَّ كلَّ فرقةٍ تريدُ هدمَ ما للأخرى، بل ربَّما أرادَ بعضُ أهلِ ملَّةٍ إخراجَ بعضِ معابدِ أهلِ ملَّتِه، فيدفعه الله بمن يريد من عباده، وإذا تأملت ذلك وجدت فيه من الأسرار، ما يدقُّ عن الأفكار، فإنَّه تعالى لما أرادَ بأكثر الناس الفساد، نصبَ لهم من الأضداد، ما يخففُ كثيراً من العناد.

ولما كان التقدير: ولكن لم تُهدمُ المذكورات، لأنَّ الله دفعَ بعضهم ببعض، وجعلَ بعضهم في نحور بعض، عطفَ عليه أو على قوله: ﴿أُذِنَ﴾ قوله: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾ أي: الملكُ الأعظم، وأظهرَ ولم يُضمِر تعميماً

وتعليقاً للحكم بالوصف فقال: ﴿مَنْ يَضُرُّهُ﴾ كائناً كم كان منهم ومن غيرهم، بما يهين له من الأسباب، إجراء له على الأمر المعتاد، وبغير أسباب خرقاً للعادة، كما وقع في كثير من الفتوحات...؛ ثم علل نصره وإن ضُغف المنصور، بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي: الذي لا كفاء له ﴿لَقَوَى﴾ أي: على ما يريد، ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يقدر أحدٌ على مغالته، ومن كان ناصره فهو المنصور، وعدوه المقهور، ولقد صدق سبحانه فيما وعد به، فأذّل بأنصار دينه ﷺ - جبابرة أهل الأرض وملوكهم، ومن أصدق من الله حديثاً^(٦٨٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿دِفَاعُ اللَّهِ﴾ المبالغة والقوة في الدفاع عنهم، وتكرار الدفع مرة تلو الأخرى.

في حين تفيد قراءة ﴿دَفْعُ اللَّهِ﴾ أن الله تعالى وحده هو الذي يدافع عن المؤمنين فيدفع الأذى عنهم دفعة واحدة.

أما بالنسبة لقراءة ﴿لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ فبالتخفيف تفيد قلة الهدم أو كثرته.

في حين تفيد قراءة ﴿لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ بالتشديد كثرة الهدم والمبالغة فيه، لأن التشديد يفيد الكثرة والمبالغة في الشيء.

يقول البغوي: ﴿لَهْدِمَتْ﴾ قرأ أهل الحجاز بتخفيف الدال، وقرأ الآخرون بالتشديد على الكثير، فالتخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد يختص بالكثير^(٦٨٦).

يقول الطاهر بن عاشور: «وقرأه الباقر بتشديد الدال للمبالغة في الهدم، أي لهدمت هدماً ناشئاً عن غيظ بحيث لا يبقون لها أثراً»^(٦٨٧).

(٦٨٥) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٥٧، ١٥٨.

(٦٨٦) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٨٩.

(٦٨٧) التحرير والتنوير ١٧/ص ٢٧٧.

بالجمع بين القراءات الأربع يتبين أنَّ الله تعالى هو الذي يدفع الكافرين بالمؤمنين، ولولا ذلك لهدم أصحاب الطوائف المختلفة معابد غيرهم هدماً قليلاً أو هدماً كثيراً ناشئاً عن غيظ بحيث لا يبقون لها أثراً، والله أعلم.

١٧ - قال تعالى: ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْتَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مَّشِيدٌ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَكَأَيُّ﴾:

١ - قرأ ابن كثير وأبو جعفر ﴿كَائِن﴾ بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة.

٢ - وقرأ الباقر ﴿فَكَأَيُّ﴾ بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مُشَدَّدة (٦٨٨).

القراءات في ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾:

١ - قرأ البصريان [أبو عمرو ويعقوب] ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقر ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها ألف (٦٨٩).

القراءات في ﴿وَيَبْرِىٰ﴾:

١ - قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة ﴿وَيَبْرِىٰ﴾ بإبدال الهمزة ياء.

٢ - وقرأ الباقر ﴿وَيَبْرِىٰ﴾ بالهمزة (٦٩٠).

(٦٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٣، ٢١٤.

(٦٨٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

(٦٩٠) انظر: النشر ج ١/ص ٣٩١، ج ٢ / ص ٣٢٧.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كان: «كَانَ نَاقِصَةً وَتَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ، وَتَامَةً بِمَعْنَى حَدَثٍ وَوَقَعَ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ، تَقُولُ: أَنَا أَعْرِفُهُ مَذْكَانَ، أَي: مَذْ خَلَقَ»^(٦٩١).

«فَكَائِنٌ»: اسْمٌ دَالٌّ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ عَدَدٍ كَثِيرٍ^(٦٩٢).

هلك: «هَلَكَ يَهْلِكُ هُلُكًا وَهَلَكًا وَهَلَاكًا: مَاتَ»^(٦٩٣).

«[بَار]: الْبَثْرُ جَمْعُهَا فِي الْقِلَةِ أَبْثُرُ كَافِلَسَ، وَأَبَاَزَ كَأَحْجَارَ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقْلِبُ الْهَمْزَةَ فَيَقُولُ: أَبَاَرُ»^(٦٩٤).

ثالثاً: التفسير:

يُنْذِرُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَهْلَ مَكَّةَ وَجَمِيعَ الْمَكْذِبِينَ مِثْلَهُمْ بِمَا حَدَثَ لِلْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنَ الْإِهْلَاكِ، وَقَدْ وَجِبَ عَلَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ الرَّشِيدَةِ أَنْ يَعْتَبِرُوا بِمَا حَدَثَ لَهُمْ.

يقول البغوي: «فَكَائِنٌ» فكم «مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا» بالتاء هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب، وقرأ الآخرون: «أَهْلَكْتُهَا» بالنون والألف على التعظيم، «وَهِيَ ظَلَمَةٌ» أي: وأهلها ظالمون، «فَنَهَى خَاوِيَةً» ساقطة «عَلَى عُرُوشِهَا» على سقوفها، «وَيَثِرُ مُعْطَلَةً» أي: وكم من بثرٍ معطلة متروكة مُخْلَاةً عَنْ أَهْلِهَا، «وَقَصْرٍ مَشِيدٍ»: رفيع طويل، من قولهم شَادَ بِنَاءَهُ إِذَا رَفَعَهُ. وقيل: مجصص، من الشيد، وهو الجص. وقيل: إِنَّ الْبَثْرَ الْمَعْطَلَةَ وَالْقَصْرَ الْمَشِيدَ بِالْيَمَنِ، أَمَّا الْقَصْرُ فَعَلَى قِمَةِ جَبَلٍ، وَالْبَثْرُ فِي سَفْحِهِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَوْمٌ كَانُوا فِي نِعْمَةٍ فَكَفَرُوا فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَبَقِيَ الْبَثْرُ وَالْقَصْرُ خَالِيَيْنِ.

(٦٩١) مختار الصحاح ص ٥٨٦.

(٦٩٢) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٢٨٥. وانظر: البحر المحيط ج ٦/ص ٣٤٨.

(٦٩٣) لسان العرب ج ١٠/ص ٥٠٣. وانظر: مختار الصحاح ص ٧٠٥.

(٦٩٤) مختار الصحاح ص ٧٣.

وروي أنَّ هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء، وذلك أنَّ أربعة آلاف نفرٍ ممَّن آمن بصالح، نَجَّوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح، فلما حضروه مات صالح، فسَمِّيَ حضرموت، لأنَّ صالحاً لما حضرَ مات فبنوا حاضوراء، وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلاً فأقاموا دهرًا وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله إليهم نبياً كان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوق فأهلكهم الله، وعظمت بئرهم وخربت قصورهم» (٦٩٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿كَائِنْ﴾ أنَّه حادثٌ وواقعٌ وجودَ قريةٍ أهلكها الله تعالى لظلم أهلها فقد مرَّ الصحابة عنها وعلموها.

يقول الطاهر بن عاشور: «وقد وجدَ المسلمون في مسيرهم إلى تبوك بئاراً في ديار ثمود ونهاهم النبي ﷺ عن الشربِ منها إلا بئراً واحدةً التي شربت منها ناقةُ صالح ﷺ» (٦٩٦).

في حين أفادت قراءة ﴿فَكَائِنْ﴾ التكثير أي هناك قُرَى كثيرةٌ أهلكها الله - تعالى - بسبب ظلم أهلها وكفرهم وتكذيبهم الرُّسل.

يقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «﴿فَكَائِنْ﴾ اسمٌ دالٌّ على الإخبار عن عدد كثير» (٦٩٧).

أمَّا قراءة ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾ فإنَّها أفادت أنَّ الذي أهلكها هو الله ﷻ.

وأضافت قراءة ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾ بنون العظمة أنَّ الله - تعالى - بعظمته هو الذي أهلكها وقد يكون فيها إشارةٌ إلى إهلاكها بوساطة جنوده من الملائكة وغيرهم والله أعلم.

(٦٩٥) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٢٩٠، ٢٩١ (بتصرف). وانظر: البحر المحيط ج ٦/ص ٣٤٩.

(٦٩٦) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٢٨٦.

(٦٩٧) المرجع السابق ج ١٧/ص ٢٨٥. وانظر: البحر المحيط ج ٦/ص ٣٤٨.

وأما قراءة ﴿وَيَبِّرُ﴾ فإنها تفيدُ عمق البئر حيث حرف المد الياء يفيد الإطالة كما تفيد هذه القراءة سهولة استخدام هذا البئر لوجود الماء فيه وآلات الاستقاء كذلك.

قال الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «ومعنى المعطلة: أنها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء؛ إلا أنها عطلت، أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها» (٦٩٨).

في حين أفادت قراءة ﴿وَيَبِّرُ﴾ إلى أن تلك البئر محفورة بكل ما في حفرها من صعوبات، كما أن الهمزة بثقلها وصعوبة النطق بها قد تشير إلى ما حصل لتلك البئر من الإهلاك، والله أعلم.

يقول أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ -: «وينبغي أن يكون ﴿وَيَبِّرُ﴾ ﴿وَقَصِرَ﴾ من حيث عطفها على ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أن يكون التقدير أهلكتهما كما كان أهلكتها مخبراً به عن ﴿فَكَانَ﴾ الذي هو القرية من حيث المعنى» (٦٩٩).

بالجمع بين القراءات الست يتبين أن الله تعالى يحذر الكافرين ويحذوهم على التفكير فيما حدث لكثير من الأمم السابقة التي أهلكها الله - تعالى - بعظمته، فيصيب هؤلاء ما أصاب أولئك حيث أصبحت قصورهم التي في قراهم خاوية على عروشها، كما أصبحت آبارهم معطلة رغم عمقها ووجود الماء وآلات السقيا فيها وذلك لهلاك أهلها، والله أعلم.

١٨ - قال تعالى: ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَدَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٧) [الحج: ٤٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿يَعْدُونَ﴾ بالغيب.

(٦٩٨) الكشف ج ٣/ص ١٧.

(٦٩٩) البحر المحيط ج ٦ / ص ٢٤٨.

٢ - وقرأ الباقون ﴿تَعْدُونَ﴾ بالخطاب^(٧٠٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«عَدَّه»: أحصاه^(٧٠١).

ثالثاً: التفسير:

يُخْبِرُ الله - تعالى - النبي ﷺ أَنَّ يَوْمًا عِنْدَ اللَّهِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا يَعُدُّهُو
وَالْمُؤْمِنُونَ.

يقول الماوردي - رحمه الله - في تفسير الآية: «قوله تعالى: ﴿وَسَتَجِدُنَا
بِالْعَذَابِ﴾ يستبطنون نزوله بهم استهزاء منهم. ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدُهُ﴾ ولن
يؤخر عذابه عن وقته.

﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعْدُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: أَنَّ يَوْمًا من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كَأَلْفِ
سنة... .

الثاني: أَنَّ طول يومٍ من أيام الآخرة كطول ألف سنةٍ من أيام الدنيا في
المدة.

الثالث: أَنَّ ألم العذاب في يومٍ من أيام الآخرة كَأَلْفِ سنةٍ من أيام
الدنيا في الشدة وكذلك يوم النعيم^(٧٠٢).

ويقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «وَحُكِيَ ﴿وَسَتَجِدُنَا﴾ بصيغة
المضارع للإشارة إلى تكريرهم ذلك تجديداً منهم للاستهزاء.
والخطاب للنبي ﷺ والمقصود إبلاغه إياهم.

والباء من قوله ﴿بِالْعَذَابِ﴾ لتأكيد معنى الاستعجال بشدته كأنه قيل:

(٧٠٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

(٧٠١) مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٧٠٢) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٣٣.

يحرصون على تعجيله» (٧٠٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يَعْدُونَ﴾ بالغيب ما يعدُّه الكافرون الذين يستعجلون بالعذاب وخاطبهم بالغيب تحقيراً لهم.

بينما تفيد قراءة ﴿تَعْدُونَ﴾ ما يعدُّه النبيُّ والصحابه معه، والخطابُ مُلزمٌ بما سيؤولُ إليه هذا العدُّ من الحسابِ والجزاء.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «والخطابُ في ﴿تَعْدُونَ﴾ للنبي ﷺ والمؤمنين. وقرأ الجمهور ﴿تَعْدُونَ﴾ بالفوقية، وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿مِمَّا يَعْدُونَ﴾ بياء الغائين. أي مما يعده المشركون المستعجلون بالعذاب» (٧٠٤).

بالجمع بين القراءتين يتضح فيهما خبرٌ مستعملٌ في التعريض بالوعيد للكافرين (٧٠٥)، حيثُ يتبيَّن أنَّ الله تعالى هيأ في هذه الدنيا أياماً تناسبُ أوهامَ المخلوقات، وأزماناً تناسبُ شأنهم، ولكنه حليمٌ لا يستطيلُ الزمان، وقادرٌ لا يخافُ القوتَ (٧٠٦)، لذا فإنَّ يوماً عنده - ﷻ - كالفِ سَنَةٍ مِمَّا يعدُّه النبيُّ والمؤمنون معه، ومِمَّا يعدُّه المشركون المحقرُّون الذين يستعجلون بالعذاب، وهذا اليوم قادمٌ وقد قَدَرَ الله - تعالى - له قَدْرَهُ الذي يتناسبُ مع عظمةِ شأنه، والله أعلم.

١٩ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

﴿٥١﴾ [الحج: ٥١].

(٧٠٣) التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٢٩١ (بتصرف بسيط).

(٧٠٤) المرجع السابق ج ١٧/ص ٢٩٢ (بتصرف بسيط).

(٧٠٥) انظر: المرجع السابق ج ١٧/ص ٢٩١.

(٧٠٦) انظر: نظم الدرر ج ٥/ص ١٦١.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بتشديد ﴿مُعْجِزِينَ﴾ بتشديد الجيم من غير ألف.

٢ - قرأ الباقون ﴿مُعْجِزِينَ﴾ بتخفيف الجيم والألف فيها^(٧٠٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

العَجَزُ بضم الجيم: مؤخر الشيء يَذْكُرُ ويؤنُّثُ وهو للرجل والمرأة جميعاً، وجمعه: أعجَازٌ، والعَجِيزَةُ للمرأة خاصة والعَجْزُ الضعف... أعجزه الشيء فاته وعَجَزَهُ تعجيزاً ثبطه أو نَسَبَهُ إلى العَجْزِ^(٧٠٨).

ثالثاً: التفسير:

يتوَعَّدُ الله - سبحانه - الذين يَكْذِبُونَ الرسول ﷺ وَيُشَاقِقُونَهُ مُتَّبِطِينَ له مُحَاولِينَ إعجازه وهم لا يعلمون أَنَّهُمْ يحاولون إعجازَ ربِّ العِزَّةِ سبحانه، بالبقاء في النار وملازمتها.

يقول النسفي: «ثم أنذر فقال: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ أي القرآن ﴿مُعْجِزِينَ﴾ حال ﴿مُعْجِزِينَ﴾ حيث كان: مكى وأبو عمرو. وعاجزه: سابقه كأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه. والمعنى: سَعَوْا في معناها بالفساد من الطعن فيها، حيث سَمَّوها سحراً وشعراً وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم، طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لها. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي النار الموقدة»^(٧٠٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مُعْجِزِينَ﴾ فيما يتعلّق بآيات الله المبالغة في فعل ما يُعْجِزُ

(٧٠٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

(٧٠٨) انظر: مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٧٠٩) تفسير النسفي ج ٣/ص ١٦٠.

النبي ﷺ والمؤمنين من المسارعة في الشقاق والمعادنة والتكذيب لها.

بينما تتعلق قراءة ﴿مُعْجِزِينَ﴾ بالنبي ﷺ والمؤمنين معه حيث إنَّ الكفار يُبْطِون عزيمة النبي ﷺ ومعه المؤمنين وينسبونهم إلى العجز، وهم يُحاولون إعجاز الله تعالى وهم لا يعلمون.

يقول الماوردي - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿مُعْجِزِينَ﴾ قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿مُعْجِزِينَ﴾، فمن قرأ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ .

الثاني: مثبطين في اتباع النبي ﷺ.

الثالث: مكذبين.

والرابع: مُعْجِزِينَ لمن آمن بإظهار تعجيزة في إيمانه.

ومن قرأ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مشاققين.

الثاني: متسارعين.

الثالث: معاندين.

والرابع: مُعْجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً»^(٧١٠).

ويقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: مبالغين في فعل ما يلزم - في زعمهم - منه عجزنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: مقدرين أنهم يعجزوننا بإخفائهم آياتنا، وإضلال الناس وصدّهم عنها بإلقاء الشبه والجدال، اتباعاً للشیطان المريد، من غير علم ولا هُدًى»^(٧١١).

ويقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «والمُعْجِز: المسابق الطالب عجزاً مُسايره عن الوصول إلى غايته وعن اللحاق به، فصيح له المفاعلة لأنَّ

(٧١٠) تفسير الماوردي ج ٤ / ص ٣٣ - ٣٤.

(٧١١) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٦٣. وانظر: المستنير ج ٢ / ص ٩٠.

كل واحد يطلب عجز الآخر عن لحاقه. والمعنى: أنهم بعملهم يغالبون رسول الله ﷺ وهم لا يشعرون أنهم يحاولون أن يغلبوا الله، وقد ظنوا أنهم نالوا مرادهم في الدنيا ولم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة^(٧١٢).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الكفار يحاولون تشبیط النبي ﷺ والمؤمنين معه بتعجيزهم بالمجادلات والمناقضات والتكذيب، والمعاندة والشقاق له ﷺ، وبإخفاء الآيات وصدّهم عنها وإضلال الناس بهيئة الساعي في طريق ليسابق غيره ليفوز بالوصول، ولكنهم لا يعلمون أنهم يحاولون إعجاز الله - تعالى - وهم يظنون أنهم نالوا مرادهم في الدنيا بما يفعلونه، لكنهم لم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَوْا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿أُمْنِيَّتِهِ﴾ بتخفيف الياء.

٢ - وقرأ الباقر ﴿أُمْنِيَّتِهِ﴾ بتشديد الياء^(٧١٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الْأُمْنِيَّةُ: واحدة الْأَمَانِي، قلت: يقال في جمعها أَمَانٍ وَأَمَانِيٌّ بالتخفيف والتشديد»^(٧١٤).

«والتَّمَنَّى: كلمة مشهورة، وحقيقتها: طلب الشيء العسير حصوله. والأمنية: الشيء المتمنى»^(٧١٥).

(٧١٢) التحرير والتنوير ج ١٧ ص ٢٩٥. وانظر: حاشية القنوي مج ١٣ ص ٩٠ - ٩١.

(٧١٣) انظر: النشر ج ٢ ص ٢١٧، ٢١٨.

(٧١٤) مختار الصحاح ص ٦٤٢.

(٧١٥) التحرير والتنوير ج ١٧ ص ٢٩٣.

ثالثاً: التفسير:

في هذه الآية بيان لحفظ الله - ﷻ - لآياته ووحيه من مكائد الشياطين فقد صدق جل شأنه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقد خاض المفسرون في ذكر قصة الغرانيق، وهي موضوعة، لا أرى فائدة لذكرها^(٧١٦).

يقول السعدي - رحمه الله -: «يخبرُ تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأنَّ الله ما أرسلَ قبلَ محمدٍ ﷺ ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى﴾ أي: قرأ قراءته، التي يذكُرُ بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: في قراءته، من طُرُقِه ومكايده، ما هو مناقضٌ لتلك القراءة، مع أنَّ الله تعالى قد عصمَ الرُّسلَ بما يبلغون عن الله، وحفظَ وحيه أن يشتهيه، أو يختلط بغيره. ولكنَّ هذا الإلقاء من الشَّيطان، غيرُ مستقرٍّ ولا مُستمرٍّ، وإِنَّمَا هو عارضٌ يعرضُ، ثمَّ يزول، وللعوارضِ أحكامٌ، ولهذا قال: ﴿يَكْشِفُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يزيله ويذهبُه ويبطله، ويبينُ أنَّه ليسَ من آياته، و﴿يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾ أي: يُتَقْنِئُها، ويحرِّرها، ويحفظُها، فتبقى خالصةً من مخالطةِ إلقاءِ الشَّيطان، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: كاملُ القوةِ والاعتدالِ، فبكمالِ قوَّته، يحفظُ وحيه، ويزيلُ ما تلقيه الشياطين، ﴿حَكِيمٌ﴾ يضعُ الأشياءَ مواضعها»^(٧١٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أُمْنِيَّتِهِ﴾ بالتخفيف معنى تلاوته وقراءته ﷻ.

بينما قراءة ﴿أُمْنِيَّتِهِ﴾ بالتشديد أفادت تمنُّيه ﷻ إسلام قومه وطاعتهم لله ولرسوله لأنَّ هذه الأمنية هي أحبُّ ما يتمناه ﷻ بشدَّةٍ ويُعلِّقُ أمله بذلك.

يقول الشنقيطي - رحمه الله -: معنى قوله تمنى في هذه الآية الكريمة فيه للعلماء وجهان من التفسير معروفان:

(٧١٦) راجع: الإسرائيليات والموضوعات ص ٣١٤ - ٣٢٢.

(٧١٧) تفسير السعدي ص ٥٤٢.

الأول: أنْ تمنى بمعنى: قرأ وتلا ... وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس أنه قال: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه. وكون تمنى بمعنى: قرأ وتلا. هو قول أكثر المفسرين.

القول الثاني: أنْ تمنى في الآية من التمني المعروف، وهو تمنيه إسلام أمته وطاعتهم لله ولرسله، ومفعول (ألقى) محذوف على أنْ تمنى بمعنى: أحب إيمان أمته، وعلق أمله بذلك، فمفعول (ألقى) يظهر أنه من جنس الوسواس، والصد عن دين الله حتى لا يتم للنبي ﷺ أو الرسول ما تمنى (٧١٨).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الشيطان يكيد لكل نبي أو رسول يشتهي شيئاً في نفسه لقومه أو للبشرية جمعاء، فحين يقرأ ما أوحى إليه من ربه مهما كان قليلاً أو كثيراً، فإنه يلقي ما يفسد معنى قراءته أو أمنيته، إلا أن الله - سبحانه - يبطل ما يلقي الشيطان ويُبقي وحيه محفوظاً كما تعهد سبحانه، وهو الذي وعد رسوله بإظهار دينه وقد أظهره سبحانه كما وعد، فحقق أمنيته نبيه ﷺ، والله أعلم.

٢١ - قال تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿لهادي﴾ بإثبات الياء وفقاً.

٢ - قرأ الباقون ﴿لهادٍ﴾ بحذف الياء وفقاً (٧١٩).

(٧١٨) انظر: أضواء البيان ج ٥ / ص ٧٢٧. والمعجم المفضل ص ٤٥٩ - ٤٦٠. الإسرائيليات والموضوعات ص ٣٢٢.

(٧١٩) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٤.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هدى: الهداية دلالة بلطف» (٧٢٠).

ثالثاً: التفسير:

بعد أن وصف الله - تعالى - الطائفتين الضالتين فإنه يصف في هذه الآية الطائفة المؤمنة التي تخشع قلوبها وتطمئن لحكمة الله بفضل هدايته لها.

يقول السعدي - رحمه الله -: «وأما الطائفة الثالثة، فإنه يكون رحمة في حقها، وهم المذكورون بقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيم، يقبض (٧٢١) بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائن النفوس الخيرة والشريرة، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفع المعارض والشبه.

﴿فَتُخَيِّتَ لَهُمْ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بسبب إيمانهم، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ علم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده» (٧٢٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿لَهُادِي﴾ بإثبات الياء ثبوت الذين آمنوا على إيمانهم واستمرار الهداية من الله - تعالى - لهم، وديمومتها بحيث تكون كاملة تامة.

(٧٢٠) المفردات ص ٨٣٥.

(٧٢١) «قَبِضَ اللهُ - تعالى - فلاناً لفلان أي: جاءه به وأتاحه له». مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٧٢٢) تفسير السعدي ص ٥٤٢.

بينما أفادت قراءة ﴿لَهَادٍ﴾ بحذف الياء هدايته تعالى للذين آمنوا على وجه التخصيص حيث يحذف من نفوسهم الشبه خاصة، ويدفعها عنهم بسرعة ولطف.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أن نذكر أصلاً عاماً في ذكر الياء وحذفها وهو: أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلف عن ذكر الياء في كل ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كل ذلك خطّ عامّ إضافة إلى السياق الخاص، ففي كل موطن ذكر الياء فيه يكون المقام مقام إطالة وتفصيل في الكلام، بخلاف الاجتزاء بالكسرة فإن فيه اجتزاء في الكلام» (٧٢٣).

ويقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وأياً ما كان فقوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَلْهَى الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ اعتراض مقرر لما قبله، والمراد بالذين آمنوا المؤمنين من هذه الأمة على تقدير التخصيص، أو المؤمنون مطلقاً على تقدير التعميم، والمراد بالصراط المستقيم: النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح، أي: إنه تعالى لهادي المؤمنين في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض (٧٢٤) والمشكلات التي من جملتها ردّ شبه الشياطين عن آيات الله ﷻ» (٧٢٥).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى يَخْصُ بهدايته المؤمنين من هذه الأمة وقد يَخْصُ أيضاً المؤمنين من غيرها من الأمم فيهديهم إلى صراطه المستقيم ويدفع باستمرارية وسرعة ولطافة ما في نفوسهم من الشبه الباطلة التي يروّج لها الضالّون ويثبتهم بديمومة على الإيمان الذي تطمئن به قلوبهم وتخضع، والله أعلم.

٢٢ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ

(٧٢٣) التعبير القرآني ص ٨٠.

(٧٢٤) دَحَضَتْ حجته: بطلت. مختار الصحاح ص ٢١٨.

(٧٢٥) روح المعاني ج ١٧/ص ٢٥٩.

مَاتُوا لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَلَئِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾
[الحج: ٥٨].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ ابن عامر ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ بتشديد التاء فيها.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ بتخفيف التاء فيها^(٧٢٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قتل: أصلُ القتل: إزالةُ الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتُبر بفعل المُتَوَلَّى؛ لذلك يقال: قُتِلَ، وإذا اعتُبر بفوت الحياة يقال: مَوْتُ»^(٧٢٧).

ثالثاً: التفسير:

يتبيّن في هذه الآية فضلُ الهجرة في سبيل الله حيث ساوى ربُّ العزّة في الوعد للمهاجرين في سبيله بين من يُقتل في أثناء هجرته أو جهاده وبين من يموت منهم على فراشه فأعدّ لهم رزقاً كريماً.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: «أي في الجهاد بحسبما يلوح به قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ أي: في تضاعيف المهاجرة، ومحلُّ الموصول الرّفْع على الابتداء وقوله تعالى: ﴿لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ﴾ جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسميّة وجوابها خبراً للمبتدأ يُضمَر قولاً هو الخبر والجملة محكية. وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ إمّا مفعول ثانٍ على أنّه من باب الرّعي والدّبح أي مَرزوقاً حسناً، أو مصدرٌ مؤكّد، والمراد به ما لا ينقطع أبداً من نعيم الجنّة وإنّما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد. وأصلُ العمل على أنّ مراتب الحُسْن متفاوتة فيجوزُ تفاوتُ حال

(٧٢٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٤٣. وانظر: البدور الزاهرة ص ٢١٤.

(٧٢٧) المفردات ص ٦٥٥. وانظر: أساس البلاغة ص ٣٥٤.

المرزوقين بحسب تفاوت الأرزاق الحسنة... ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ (٥٨) فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله (٧٢٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ قتل المشركين للمؤمنين المهاجرين في سبيل الله حال إمساكهم بهم في أثناء الهجرة أو في أثناء مجاهدة الكافرين بعد هجرتهم بزمان.

في حين أفادت قراءة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ بتشديد التاء فيها كثرة القتل وشدته حيث أكثر ما يخاف منه المهاجر في سبيل الله تعالى هو القتل.

يقول البقاعي - رحمه الله -: «ولما كان المشركون يمنعون بهذه الشبهة وغيرها كثيراً من الناس الإيمان، وكانوا لا يتمكنون بها إلا ممن يخالطهم، رغب سبحانه في الهجرة فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي: أوقعوا هجرة ديارهم وأهليهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طريق ذي الجلال والإكرام التي شرعها، فكانت ظرفاً لمهاجرتهم، فلم يكن لهم بها غرض آخر. ولما كان أكثر ما يخاف من الهجرة القتل. لقصد الأعداء للمهاجر بالمصادمة، عند تحقق المصادمة قال معبراً بأداة التراخي إشارة إلى طول العمر وعلو الرتبة بسبب الهجرة: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ أي بعد الهجرة، وألحق به مطلق الموت فضلاً منه فقال: ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ أي من غير قتل، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ أي: الملك الأعلى ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ من حين تفارق أرواحهم أشباحهم لأنهم أحياء عند ربهم، وذلك لأنهم أرضوا الله بما انخلعوا منه مما أثلوه (٧٢٩) طول أعمارهم. وأثله آبائهم من قبلهم، وأموالهم وأهليهم وديارهم» (٧٣٠).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن من قتلوا من الذين هاجروا في

(٧٢٨) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٩٣ (بتصرف).

(٧٢٩) «التأمل: اتخاذ أصل مال». مختار الصحاح ص ٦.

(٧٣٠) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٦٧.

سبيل الله سواء أكانوا كثيراً أم قلة فهم ممن وعدهم الله بالرزق الحسن، وهنا يتضح فضل الهجرة في سبيل الله حيث سوى رب العزة بين الذي يُقتل في أثناء هجرته أو في أثناء جهاده في سبيل الله بعد هجرته، وبين الذي يموت بدون قتال لأن كليهما يستويان في قصد المهاجرة في سبيل الله تعالى، فقد أعد الله لكليهما أجراً ورزقاً كريماً، والله أعلم.

٢٣ - قال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ

﴿٥٩﴾ [الحج: ٥٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر] ﴿مُدْخَلًا﴾ بفتح الميم.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مُدْخَلًا﴾ بضم الميم (٧٣١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«دخل: الدخول: نقيض الخروج ويستعمل ذلك في المكان والزمان والأعمال يقال: دخل مكان كذا قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] ... فمدخل من دخل يدخل ومدخل من أدخل ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ [الحج: ٥٩] وقوله: ﴿مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] وقرئ بالوجهين» (٧٣٢).

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي - رحمه الله -: «ويكون على هذا القول، قوله: ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصاً فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع

(٧٣١) انظر: الشرح ٢/ص ٢٢٣.

(٧٣٢) المفردات ص ٣٠٩ (بتصرف).

من إرادة الجميع ﴿وَلَنْ أَلْهِيَهُمْ﴾ بالأمر، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، ومتأخرها، ﴿حَلِيمٌ﴾ يعصيه الخلاق، ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله ﴿٧٣٣﴾.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿مَذْخَلًا﴾ أَنَّ الله تعالى سَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَكَانًا يَرْضُونَهُ وهو الجنة.

بينما تفيد قراءة ﴿مُذْخَلًا﴾ أَنَّهُمْ سَتَكُونُ لَهُمْ مَكَانَةً يَرْضُونَهَا فِي الْجَنَّةِ الَّتِي سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ - تعالى - فِيهَا حَيْثُ رَغَدُ الْعَيْشِ وَهَنَؤُهُ ﴿٧٣٤﴾.

«لَيَدْخُلْنَهُمُ اللَّهُ، وَكَأَنَّهُمْ ضَيُوفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِ(القسم) و(لامه) و(نون) التوكيد، ﴿مُذْخَلًا﴾ اسم مكان، وَصَفَهُ بِأَنَّهُمْ ﴿يَرْضَوْنَ﴾ يستطيعون نعيمه، ويفكهون في خيره، وهو الجنة التي تجري من تحتها الأنهار» ﴿٧٣٥﴾.

بالجمع بين القراءتين يجتمع للمهاجرين في سبيل الله رَغَدُ الْمَكَانِ وَرَغَدُ الْمَكَانَةِ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ إِنَّا هَا فَيَنْعَمُونَ بِالْمَكَانِ الَّذِي هُوَ الْجَنَّةُ، وبالمكانة السامية التي وعدهم الله بها كما قال سبحانه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٧٦﴾ [الفرقان: ٧٦]، والله أعلم.

٢٤ - قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿١٧﴾ [الحج: ٦٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالغيب.

(٧٣٣) تفسير السعدي ص ٥٤٣.

(٧٣٤) انظر: المعنى اللغوي للموضع نفسه. وحاشية القنوي مج ١٣ / ص ١٠٢.

(٧٣٥) زهرة التفاسير مج ٩ / ص ٥٠١٢.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَأَنْ مَا تَدْعُونَ﴾ بالخطاب (٧٣٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«دعا: الدعاء كالنداء إلا أنَّ النداء قد يقال بـ(يا)، أو (أيّا)، ونحو ذلك من غير أن يُضَمَّ إليه الاسم، والدعاء لا يكادُ يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يُستعمل كل واحدٍ منهما موضع الآخر ودعوته: إذا سأله وإذا استعثته، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي: سألته» (٧٣٧).

ثالثاً: التفسير:

تستنكر هذه الآية على المشركين دعاء غير الله ممن لا يستحقُّ العبادة من دونه تعالى.

يقول البيضاوي: ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم. ﴿يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده، فإنَّ وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالماً بذاته وبما عداه، أو الثابت الإلهية ولا يصلح لها إلا من كان قادراً عالماً. ﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ إلهاً، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين، وقرئ بالبناء للمفعول، فتكون الواو لـ (ما) فإنه في معنى الآلهة. ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته، أو باطل الألوهية. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على الأشياء، ﴿الْكَبِيرُ﴾ على أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر منه سلطاناً» (٧٣٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ﴾ ما يدعوه الكفار من الأصنام

(٧٣٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

(٧٣٧) المفردات ص ٣١٥.

(٧٣٨) تفسير البيضاوي ص ٤٥٨.

والخطاب بالغيب للكفار لتحقيرهم.

بينما تفيد قراءة ﴿وَأَنْ مَا تَدْعُونَ﴾ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتوجيه التهديد مباشرة للمشركين وإعلامهم أَنَّ ما يدعونه من دون الله - تعالى - باطل، وهو يلزمهم بالعقاب الذي يستحقونه بسبب كفرهم.

يقول الدكتور فضل عباس: «أسلوب الغيبة يدل على تفضيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكن أسلوب الخطاب فيه نظر إلى جهة أخرى وهو توجيه التهديد توجيهاً مباشراً لهم»^(٧٣٩).

بالجمع بين القراءتين نُقِرُّ الله - تعالى - بكمال القدرة وشمول العلم وأَنَّهُ وحده المستحق للعبادة وَأَنَّ كُلَّ ما يدعوه المشركون من دونه باطل، فهم يدعون معدوماً باطل الألوهمية من دون الله العلي الكبير، لذا فهم ليسوا حريين بالخطاب لكن الله - تعالى - يوجه التهديد إليهم مباشرة لدعوتهم غير الله، في حين أَنَّهُ لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر منه سلطاناً، ففعلهم هذا مُلَزِمٌ لهم بالعقاب، والله أعلم.

٢٥ - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿لَرءُفٌ﴾ بقصر الهمزة من غير واو.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَرءُوفٌ﴾ بواو بعد الهمزة^(٧٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رأف: الرأفة: الرحمة، وقد رءُف فهو رءُف ورءُوف، نحو: يقظ

(٧٣٩) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٨ - ٢٩.

(٧٤٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٢٣.

وحَذِرُ» (٧٤١).

ثالثاً: التفسير:

تُبَيَّنُ هذه الآية بعضاً من آيات الله في الكون كتسخير ما في الأرض والسفن التي تجري في البحر ورفع السماء وعدم سقوطها على الأرض رحمةً بالناس.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: «ألم تشاهد ببصرك وقلبك نعمة ربك السابغة، وأياديه الواسعة، ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقتاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، يستخرجها، وينتفع بها، ﴿وَالْفُلُوكَ﴾ أي: وسخر لكم الفلك، وهي السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ تحملك، وتحمل تجارتكم، وتوصلكم من محل إلى محل، وتستخرجون من البحر حلية تلبسونها، ومن رحمته بكم أنه ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ فلولا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلغ ما عليها، وهلك من فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾».

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أرحم بهم من والديهم، ومن أنفسهم، ولهذا يريد لهم الخير، ويريدون لهم الشر والضرر، ومن رحمته، أن سخر لهم ما سخر من هذه الأشياء» (٧٤٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿لَرُءُوفٌ﴾ بقصر الهمزة من غير واو تفيد قصر الرأفة من الله على المؤمنين به سبحانه دون غيرهم من الناس. بينما قراءة ﴿لَرُءُوفٌ﴾ تفيد تمام رحمته تعالى ورأفته بالمؤمنين وديمومة هذه الرأفة منه بهم.

(٧٤١) المفردات ص ٣٧٣.

(٧٤٢) تفسير السعدي ص ٥٤٤.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿لَرَّوْفٌ﴾ أي بما يحفظ من سرائرهم عن الزيف بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ونصب المناسك، التي يجمع معظمها البيت الذي بؤاه لإبراهيم عليه السلام، وهو التوحيد والصلاة والحج الحامل على التقوى التي بنيت عليها السورة، فإن الرأفة: أَلُطْفُ الرحمة وأبلغها، فالمرؤوف به تقيمه عناية الرأفة حتى تحفظ بمسراها في سره ظهور ما يستدعي العفو، وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة، وتارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب، وهذا خاص بمن له بالمنعم نوع صلة (٧٤٣).

بالجمع بين القراءتين يتبين نفي إنزال الله تعالى أي حجة من الحجج على عبادة غيره - سبحانه وتعالى - والمبالغة في نفي ذلك، حيث إن الله هو الذي يُنعم على الناس بنعمه الكثيرة، يُديم ويُتم نعمه على المؤمنين منهم بالطف الرحمة وأبلغها برأفته بهم، وتقتصر رحمته عليهم بخلق الهداية في قلوبهم، والله أعلم.

٢٦ - قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (الحج: ٧١).

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿يُنْزَلُ﴾ بإسكان النون وتخفيف الزاي.

٢ - وقرأ الباقون ﴿يُنْزَلُ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي (٧٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نَزَلَ﴾: النزول في الأصل هو انحطاط من علو. يقال: نَزَلَ عن دابته، ونَزَلَ في مكان كذا: حطَّ رَحْلَهُ فيه وأنزله غيره. قال تعالى: ﴿أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا

(٧٤٣) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٧١.

(٧٤٤) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٧.

مُبَارَكًا وَأَتَتْ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿[المؤمنون: ٢٩] وَنَزَلَ بِكَذَا وَأَنْزَلَهُ بِمَعْنَى، وَإِنْزَالَ اللَّهُ - تعالى - نِعَمَهُ وَنَقَمَهُ عَلَى الْخَلْقِ وَإِعْطَاؤُهُمْ إِيَّاهَا، وَذَلِكَ إِمَّا بِإِنْزَالِ الشَّيْءِ نَفْسَهُ، كإِنْزَالِ الْقُرْآنِ، وَإِمَّا بِإِنْزَالِ أَسْبَابِهِ وَالْهَدَايَةِ إِلَيْهِ كإِنْزَالِ الْحَدِيدِ وَاللِّبَاسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ تعالى: ﴿الْحَبْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١] ﴿٧٤٥﴾.

ثالثاً: التفسير:

إنَّ الكافرين يعبدون من دون الله ما لا يستحق العبادة فهو بلا حجة ولا يستطيع نصرهم من دون الله تعالى.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها بأن الله أذن لهم في عبادتها وما ليس لهم به علم أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم» ﴿٧٤٦﴾.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يُنْزَلُ﴾ بتشديد الزاي المبالغة في نفي تنزيل أي حجة من الحجج على ما يعبدون من دون الله.

بينما تفيد قراءة ﴿يُنْزِلُ﴾ عدم إنزال أي حجة من الحجج التي تدعم معبوداتهم من دون الله.

بالجمع بين القراءتين نزول أباطيل المشركين بعبادة ما لم يُنْزَلْ الله - تعالى - به ولو حجة واحدة تثبت استحقاقه للعبادة، كما أنه لا علم لهم

﴿٧٤٥﴾ المفردات ص ٧٩٩.

﴿٧٤٦﴾ تفسير الطبري مج ٩/ج ١٧/ ص ٢٣٦.

به، ولا يستطيع نصرهم فلا ناصر من دون الله تعالى، والله هو الأعلى والأعلم.

٢٧ - قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالغيب.

٢ - قرأ الباقون ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بالخطاب (٧٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: (٧٤٨).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ ضرب الأمثال من أساليب القرآن الكريم التي تُقَرَّبُ الصُّورة إلى ذهن السَّامع وتوضِّحُ المراد، وفي هذه الآية يضربُ الله مثلاً يُدَلِّلُ على عجزِ الناسِ عامَّةً، وعجزِ الكفار وما يدعونه من دون الله - تعالى - خاصَّةً.

يقول النسفي - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ﴾ بين ﴿مَثَلٍ﴾ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ﴿﴾ لضرب هذا المثل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ﴿يَدْعُونَ﴾ سهل ويعقوب ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آلهة باطلة ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ (لن) تأكيدُ نفي المستقبل وتأكيدُه هنا للدلالة على أنَّ خلقَ الذباب منهم مستحيلٌ كأنه قال: محالٌ أن يخلقوا. وتخصيصُ الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره، وسمي ذباباً لأنه كلما ذُبَّ لاستقذاره آبٌ لاستكباره، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾: لخلقِ الذباب، ومحلُّه النَّصْبُ على الحالِ كأنه قيل: مستحيلٌ منهم أن يخلقوا الذبابَ مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقِه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريشٍ حيث وَصَفُوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدارَ على المقدورات

(٧٤٧) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٧.

(٧٤٨) سبق ص ٢٧٤.

كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتمائيل يستحيل منها أن تقدّر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله لو اجتمعوا لذلك، ﴿وَلَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ ﴿شَيْئًا﴾ ثانياً مفعولي ﴿يَسْلُبُهُمُ﴾ ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا. عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه ﴿صَعَفَ الطَّالِبُ﴾ أي الصنم بطلب ما سلب منه ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب» (٧٤٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالغيب أن الخطاب للناس عامةً مؤمنين وكفاراً وإخبارهم بأن الكفار غير حريين بالخطاب، فهم والذين يدعونهم من دون الله عاجزون مجتمعين عن خلق ذباب أو استنقاذ ما يسلبهم الذباب إيّاه.

أمّا القراءة الثانية ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ فالمقصود بالناس المخاطبين هم الكفار وحدهم، وقد وجّه إليهم تهديداً مباشراً من خلال خطابه لهم.

يقول سيد قطب: «إنّ النداء العام، والنفير البعيد الصدى: ﴿يَنَافِئُ النَّاسُ﴾.. فإذا تجمع الناس على النداء أعلنوا أنهم أمام مثل عام يضرب، لا حالة ولا مناسبة حاضرة: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَجَبُوا لَهُ﴾.. هذا المثل يضع قاعدة، ويقرر حقيقة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾. كل من تدعون من دون الله من آلهة مدعاة. من أصنام وأوثان، ومن أشخاص وقيم وأوضاع، تستنصرون بها من دون الله، وتستعينون بقوتها وتطلبون منها النصر والعاج. كلهم ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾. والذباب صغير حقير؛ ولكن هؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا

يقدرّون ولو اجتمعوا وتساندوا على خلق هذا الذباب الصغير الحقير!

وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل. لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز سر الحياة. فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل. ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل! دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير. وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب! ثم يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري^(٧٥٠): ﴿وَلِنْ يَسْتَلْبِهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾. والآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه، سواء أكانت أصناماً أم أوثاناً أم أشخاصاً! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده. وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير. وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض ويسلب أغلى النفائس: يسلب العيون والجوارح، وقد يسلب الحياة والأرواح. إنه يحمل ميكروب السل والتيفود والدوستاريا والرمد. ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير!

وهذه حقيقة أخرى كذلك يستخدمها الأسلوب القرآني المعجز. ولو قال: وإن تسلبهم السباع شيئاً لا يستنقذوه منها. لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف. والسباع لا تسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب! ولكنه الأسلوب القرآني العجيب!

ويختتم ذلك المثل المصور الموحى بهذا التعقيب: ﴿ضَعُفَكَ الظَّلَالُ وَالْمَطْلُوبُ﴾. ليقرر ما ألقاه المثل من ظلال، وما أوحى به إلى المشاعر والقلوب!^(٧٥١).

ويقول الدكتور فضل عباس: «أسلوب الغيبة يدل على تفضيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكن أسلوب الخطاب فيه نظر

(٧٥٠) «رَزَى عَلَيْهِ فَعَلَهُ: عابه» مختار الصحاح ص ٢٨٠.

(٧٥١) في ظلال القرآن ج ٤/ص ٢٤٤٣، ٢٤٤٤.

إلى جهةٍ أُخَرَى وهو توجيه التهديد توجيهاً مباشراً لهم» (٧٥٢).

بالجمع بين القراءتين نسلّم بعجزنا نحن البشر أمام الخالق العظيم، وإن كان الخطاب للكفار خاصةً أم للناس كافةً فلا بدّ للجميع بالتسليم بضعف ما يدعوه الناس من دون الله سواء أكان ما يدعونه صنماً أم بشراً يُعَظَّمونه فهم جميعاً عاجزون ضعفاء أمام أحقر وأصغر مخلوق من مخلوقات الله وهو الذباب، ولهذا فقد خاطبهم بأسلوب الغيبة تحقيراً لهم، ولكنّه وجّه إليهم تهديداً مباشراً يلزمهم بالعذاب في حال عدم رجوعهم إلى الحقّ واخذ العبرة والعظة من المثل المضروب لهم ليتفكروا فيه فيعلموا عجزهم وعجز ما يدعونه من دون الله تعالى، والله أعلم.

٢٨ - قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَئِنْ تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ [الحج: ٧٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم.

٢ - وقرأ الباقر ﴿تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ بضم حرف المضارعة وفتح الجيم (٧٥٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

رجع: الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً، وبذاته كان رُجُوعه أو بجزءٍ من أجزائه أو بفعل من أفعاله. فالرُّجُوع: العَوْدُ والرُّجُوعُ: الإعادة والرَّجعة، والرجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات (٧٥٤).

(٧٥٢) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٨ - ٢٩.

(٧٥٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٧٥٤) المفردات ص ٣٤٢.

ثالثاً: التفسير:

تقرّر هذه الآية أنّ الله - تعالى - يتّصف بالعلم الكامل الشامل كما يتّصف بالقدرة الكاملة المطلقة وإليه مرجع الأمور كلّها.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «ثم بيّن سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أنه يسمع ما يقولون ويرى ما يفعلون، ولذلك أتبعه بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فقال بعضهم ما تقدم في الدنيا وما تأخر، وقال بعضهم: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أمر الدنيا، ثم أتبعه بقوله: ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ إشارة إلى العلم التام وقوله: ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ إشارة إلى القدرة التامة والتفرد بالإلهية والحكم، ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الإقدام على المعصية» (٧٥٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الإشارة إلى علم الله الكامل الشامل وقدرته التامة المطلقة لذا فإنّ أمور الدنيا والآخرة تعود إليه - تعالى - فهو الإله الأوحد الذي لا كفاء له.

جاء في زهرة التفاسير: «أي أنّ الأمور كلّها ترجع إليه وحده يوم القيامة» (٧٥٦).

بينما تفيد قراءة ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بالبناء للمجهول أنّ الأمور ترجع إلى الله - تعالى - بغاية السهولة بوعد فصل لا بدّ منه، وذلك يوم يتجلّى - سبحانه - لفصل القضاء يوم القيامة.

ويقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: الذي لا كفاء له، وحده ﴿تُرْجَعُ﴾ أي: بغاية السهولة بوعد فصل لا بدّ منه ﴿الْأُمُورُ﴾ يوم يتجلّى

(٧٥٥) تفسير الرازي ج ٢٣/ص ٧٠.

(٧٥٦) زهرة التفاسير مج ٩/ ص ٥٠٣٣.

لفصل القضاء، فيكون أمره ظاهراً لا خفياً فيه، ولا يصدُر شيء من الأشياء إلا على وجه العدل الظاهر لكل أحد أنه منه. ولا يكون لأحد التفات إلى غيره، والذي هو بهذه الصفة له أن يُشرع ما يشاء، وينسخ من الشروع ما يشاء، ويحكم بما يريد» (٧٥٧).

بالجمع بين القراءتين تتجلى حقيقة علم الله الكامل الشامل مع قدرته التامة المطلقة فهو الله الذي لا إله غيره، وليس له كفواً أحد، فلا بد من رجوع الأمور إليه سبحانه، لذا فهي ترجع منقاداً إليه بغاية السهولة ليفصل بين الخلق فيها بحكمه العادل يوم القيامة، والله أعلم.

الفصل الرابع

تفسير سورة (المؤمنون) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين وهما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (المؤمنون).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (المؤمنون) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول التعريف بسورة (المؤمنون)

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول التعريف بسورة (المؤمنون)

أولاً: اسم السورة:

الاسم الذي عُرِفَتْ به هذه السورة هو سورة (المؤمنون)، كما جرى على الألسنة أَنْ يُسَمَّوْهَا سورة (قد أفلَحَ)، كما يسمونها (سورة الفلاح) (٧٥٨).

ثانياً: نوع السورة:

أجمع معظم المفسرين على أَنَّ سورة (المؤمنون) مكيَّة، وتوقَّف بعضهم في الآية التي ذُكِرت فيها الزَّكاة.

يقول ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ -: «سورة المؤمنين مكية في قول الجميع» (٧٥٩).

ويقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وهي مكيَّة بالاتفاق. ولا اعتداد بتوقف من توقَّف في ذلك بأنَّ الآية التي ذُكِرت فيها الزَّكاة، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ١٠، تعيَّن أنها مدنيَّة؛ لأنَّ الزكاة فُرِضَتْ في المدينة. فالزَّكاة المذكورة فيها هي الصدقة، لا زكاة التَّصَبُّبِ المعينة في الأموال. وإطلاق الزَّكاة على الصدقة مشهور في القرآن. قال تعالى:

(٧٥٨) انظر: في ظلال القرآن ج ٤/ص ٢٤٥٢. والتحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ٥.
(٧٥٩) زاد المسير ج ٣/ص ٢٥٤. وانظر: تفسير القرطبي ج ٧/ص ٤٤٩٤. والدر المنثور ج ٦/ص ٨٢.

﴿...وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾ [فصلت: ٦ - ٧] وهي من سورة مكية بالاتفاق وقال: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ...﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥] ولم تكن زكاة التصب مشروعة في زمن إسماعيل»^(٧٦٠).

ثالثاً: عدد آيات السورة:

هناك خلاف بسيط في عدد آيات هذه السورة، فهي في عد الجمهور مائة وسبع عشرة آية، وعدّها أهل الكوفة مائة وثمانية عشرة آية، وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «مكية وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مائة وثمانية عشرة آية»^(٧٦١).

ويقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وآياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدّها أهل الكوفة مائة وثمانية عشرة فالجمهور عدوا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾﴾ آية وأهل الكوفة عدوا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٢﴾﴾ آية، وما بعدها آية»^(٧٦٢).

رابعاً: فضائل السورة:

سورة (المؤمنون) تمتاز بفضائل جمّة: فهي تشني على المؤمنين، وتنتصر لهم من الكافرين الخالدين في النار، الذين كانوا يتخذون المؤمنين سخرياً فجزاهم الله جنته بما صبروا.

«يذكر عن عبد الله بن السائب^(٧٦٣): (قرأ النبي ﷺ (المؤمنون) في

(٧٦٠) التحرير والتنوير مج ٩/١٨ ص ٥ - ٦.

(٧٦١) تفسير أبي السعود ج ٤/ ص ٤٠١. وانظر: تفسير البضاوي ص ٤٦١. والدر المنثور ج ٦/ ص ٨٢.

(٧٦٢) التحرير والتنوير مج ٩/١٨ ص ٦.

(٧٦٣) هو «عبد الله بن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويكنى أبا عبد الرحمن وأمه رملة بنت عروة ذي البردين من بني هلال بن عامر بن =

الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعدة
فرجع» (٧٦٤).

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وأخرج البخاري في الأدب المفرد (٧٦٥)
عن يزيد بن بابنوس (٧٦٦) قال: قلنا لعائشة: كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟
قالت: كان خلقه القرآن، ثم قالت: تقرأ سورة (المؤمنون) ﴿قَدْ أَفْلَحَ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ فقرأ حتى بلغ العشر فقالت: هكذا كان خلق
رسول الله ﷺ» (٧٦٧).

وذكر القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ -: «من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال:
(لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت قد أفلح
المؤمنون)» (٧٦٨) (٧٦٩).

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

خُتِمَت سورة (الحج) بحث المؤمنين على الجهاد والصلاة والزكاة

= صعبعة، أسلم عبد الله يوم الفتح ولم يزل مقيماً بمكة إلى أن مات بها في زمن
عبد الله بن الزبير». الطبقات الكبرى ج ٥/ص ٤٤٥.
(٧٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه ج ١/ص ٢٦٨، كتاب: صفة الصلاة، باب: الجمع بين
السورتين في الركعة.
(٧٦٥) انظر: الأدب المفرد ج ١ / ص ١١٥، كتاب: حسن الخلق، باب: من دعا الله أن
يحسن خلقه.
(٧٦٦) هو يزيد بن بابنوس، بصري، روى عن عائشة زوج النبي ﷺ، ذكره ابن حبان في
كتاب الثقات، وروى له البخاري في الأدب، وقال: كان ممن قاتلوا علياً. انظر:
تهذيب الكمال ج ٣٢/ص ٩٢.
(٧٦٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ج ١/ص ١١٥/ح ٣٠٨ وقال الشيخ الألباني:
ضعيف، وانظر: الدر المنثور ج ٦/ص ٨٢.
(٧٦٨) أخرجه السيوطي عن ابن عباس في الدر المنثور ج ١ / ص ٩٣. كما رواه الطبراني
(بنحوه) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المعجم الأوسط ج ١/ ص ٢٢٤ / ح ٧٣٨. كما
ذكره الألباني (بنحوه) عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحيح الترغيب والترهيب ج ٣/
ص ٢٦٠/ح ٣٧١٤، وقال الألباني: صحيح. وانظر: الفوائد ج ١/ ص ١٠٩.
(٧٦٩) تفسير القرطبي ج ٧/ ص ٤٤٩٤.

والاعتصام بالله، وابتدئت سورة (المؤمنون) بالثناء على المؤمنين الذين التزموا أمور الدين خاصة وعامة.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ - في مناسبة سورة (المؤمنون) مع سورة (الحج): «لَمَّا خُتِمَتِ (الحج) ببدء الذين آمنوا وأمرهم بأمور الدين خاصة وعامة، وختمت بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه موصوفاً بما ذُكِرَ، أوجب ذلك توقُّعَ المنادين كلَّ خيرٍ، فابتدئت هذه بما يُثْمَرُ الاعتصامُ به سبحانه في الصلاة وغيرها، من خلال الدين في الدارين، فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقُّع: ﴿قَدْ﴾ وهي نقيضة لما تَبَيَّنَ المتوقُّع وتقرُّب الماضي من الحال ولما تنفيه، ﴿أَفَلَحَ﴾ أي فاز وظفر الآن بكل ما يريد، ونال البقاء الدائم في الخير، ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ وعبر بالاسم إشارة إلى أن من أقر بالإيمان وعمل بما أُمِرَ به في آخر التي قبلها، استحق الوصف الثابت لأنه اتقى وأنفق ممَّا رَزَقَ فأفْلَحَ ﴿وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنَّهُ يَفْلَحُ﴾ [الحشر: ٧٧٠]» [٩].

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

هدف (سورة المؤمنون) أنها جاءت لتبشِّرَ وتستخرجَ عواطفَ الشُّكر، وتذكِّرُ لتؤدِّي دورها في التحذير من طُرُق الضلال بالتذكير والتعليم والتربية والتوضيح والتنوير، وكلُّ ذلك مُقدِّمة للمطالبة بكثيرٍ من الأحكام الإسلامية التي يقتضي القيام بها الدخول في الإسلام كله^(٧٧١).

وقد فصل الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ - أغراضَ هذه السورة حيث يقول: «هذه السورة تدور أيها حول محور تحقيق الوحدةانية، وإبطال الشُّرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلَّوا به من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك.

(٧٧٠) نظم الدرر ج ٥/ص ١٨٢. وانظر: التفسير المنير ج ١٨/ص ٦. وأسرار ترتيب القرآن ص ١١١.

(٧٧١) انظر: الأساس مج ٧ / ص ٣٦١٣.

وأعقب ذلك بوصف خَلَقَ الإنسان، أصله ونسبه الدَّالُّ على تفرُّدِ الله - تعالى - بالإلهية لتفرُّده بخلق الإنسان ونشأته ليبتدىء الناظرُ بالاعتبارِ في تكوينِ ذاته، ثم بَعْدَمِهِ بَعْدَ الحياة. ودلالة ذلك الخَلْقِ على إثباتِ البعثِ بعد الممات، وأنَّ الله لم يخلُقِ الخلقَ سُدىً ولعباً.

وانتقل إلى الاعتبار بخلق السماوات ودلالته على حكمة الله تعالى، وإلى الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى، التي أصلها الماء الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات وما في ذلك من دقائق الصُّنع، وما في الأنعام من المنافع ومنها الحَمَل، ومن تسخير المنافع للناس وما أوتيهِ الإنسان من آلات الفكر والنَّظر.

وورد ذكر الحمل على الفلك فكان منه تخلص إلى بعثة نوح وحدث الطوفان. وانتقل إلى التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق وما كان من عقاب المكذابين وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ فأعقب ذلك بالشناء على الذين آمنوا واتقوا.

ويتنبيه المشركين على أنَّ حالهم مماثلٌ لأحوال الأمم الغابرة وكلمتهم واحدة فهم عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية.

وقد أراهم الله مخائل^(٧٧٢) العذاب لعلهم يقلعون عن العناد فأصروا على إشراكهم بما ألقى الشيطان في عقولهم وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ولا يجرون على مقتضى إقرارهم أنَّهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت وفي يوم القيامة، وبأنهم عرفوا الرسول ﷺ وخبروا صدقه وأمانته ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم الرسالة ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق وما تخلل ذلك من جوامع الكلم.

(٧٧٢) «تَخَيَّلَ لَهُ أَنَّهُ كَذَا وَتَخَيَّلَ أَي تَشَبَّه يَقَالُ تَخَيَّلَهُ فَتَخَيَّلَ لَهُ، كَمَا يَقَالُ: تَضَوَّرَهُ، فَتَضَوَّرَ لَهُ، وَتَبَيَّنَ فَتَبَيَّنَ لَهُ فَتَحَقَّقَ لَهُ». مختار الصحاح ص ١٩٦.

وُخِّمَتْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُغْضَ عَنْ سُوءِ مُعَامَلَتِهِمْ وَيُدْفَعَهَا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ، وَيَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَلَاحُ الَّذِي ابْتَدِئَتْ بِهِ السُّورَةُ (٧٧٣).

سابعاً: محور السورة:

محورُ السورة هو الكلامُ في أصول الدِّينِ من وجود الخالق وتوحيده وإثبات الرِّسالة والبعث.

يقول الشهيد سيد قطب - رَحِمَهُ اللهُ -: «هذه سورة (المؤمنون)... اسمها يدلُّ عليها. ويحدد موضوعها.. فهي تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق. ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله صلوات الله عليهم من لدن نوح ﷺ إلى محمد خاتم الرسل والنبیین؛ وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى يستنصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين، وينجي المؤمنين.. ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد.. ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر.. وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب، ويؤنبون على ذلك الموقف المريب، ويختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله بطلب الرحمة والغفران.

فهي سورة (المؤمنون) أو هي سورة الإيمان، بكل قضاياها ودلائله وصفاته. وهو موضوع السورة ومحورها الأصل (٧٧٤).

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

مضمون سورة (المؤمنون) هو بيان صفات المؤمنين، وعرض دلائل القدرة والوحدانية، وقصص بعض الأنبياء؛ تسلياً لرسول الله ﷺ، وتصوير

(٧٧٣) التحرير والتنوير مج ٩ / ج ١٨ / ص ٦ - ٧.

(٧٧٤) في ظلال القرآن ج ٤ / ص ٢٤٥٢.

الشدائد والأهوال التي يلقاها الكفار وقت الاحتضار، وفي يوم القيامة، وبيان مصير كل من المؤمنين والكفار.

يقسم الشهيد سيد قطب - رَحِمَهُ اللهُ - سياق السورة إلى أربعة أشواط:

يبدأ الشوط الأول بتقرير الفلاح للمؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾... ويبيّن صفات المؤمنين هؤلاء الذين كتب لهم الفلاح.. ويشي بدلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، فيعرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا متوسعاً في عرض أطوار الجنين، مجملأً في عرض المراحل الأخرى.. ثم يتابع خط الحياة البشرية إلى البعث يوم القيامة.. وبعد ذلك ينتقل من الحياة الإنسانية إلى الدلائل الكونية.

فأما الشوط الثاني فينتقل من دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق إلى حقيقة الإيمان. حقيقته الواحدة التي توافق عليها الرسل دون استثناء: ﴿يَقُولُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قالها نوح رَحِمَهُ اللهُ وقالها كل من جاء بعده من الرسل، حتى انتهت إلى محمد رَحِمَهُ اللهُ وكان اعتراض المكذبين دائماً: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾... وكانت العاقبة دائماً أن يلجأ الرسل إلى ربهم يطلبون نصره، وأن يستجيب الله لرسله، فيهلك المكذبين.

والشوط الثالث يتحدث عن تفرق الناس بعد الرسل وتنازعهم حول تلك الحقيقة الواحدة التي جاءوا بها: ﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ﴾ وعن غفلتهم عن ابتلاء الله لهم بالنعمة، واغترارهم بما هم فيه من متاع. بينما المؤمنون مشفقون من خشية ربهم، يعبدونه ولا يشركون به، وهم مع ذلك دائمو الخوف والحذر ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنْهُمْ إِنْ يَخِشُوا رَبَّهُمْ فَرِحُوا بِالْحَمْدِ﴾.

والشوط الأخير يدعهم وشركهم وزعمهم؛ ويتوجه بالخطاب إلى رسول الله رَحِمَهُ اللهُ أن يدفع السيئة بالتي هي أحسن، وأن يستعيد بالله من الشياطين، فلا يغضب ولا يضيق صدره بما يقولون.. وإلى جوار هذا مشهد من مشاهد القيامة يصور ما ينتظرهم هناك من عذاب ومهانة وتأنيب.. وتختتم السورة بتنزيه الله سبحانه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

الْمَرْشِ الْكَوْبِ ﴿١١٦﴾ وبنفي الفلاح عن الكافرين في مقابل تقرير الفلاح في أول السورة للمؤمنين: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ وبالتوجه إلى الله طلباً للرحمة والغفران: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ (٧٧٥).

المبحث الثاني

عرض وتفسير آيات سورة (المؤمنون) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ﴾ [المؤمنون:

[٨

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿لَأَمَانَتِهِمْ﴾ بغير ألف على التوحيد.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَأَمْتِنَتِهِمْ﴾ بالألف على الجمع^(٧٧٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أمن: «(أَمِنَ) بالكسر (أَمَانَةً) فهو (أَمِينٌ) ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً فقليل الوديعة أمانة ونحوه، والجمع: (أَمَانَاتٌ)»^(٧٧٧).

الأمانة: حالة في الإنسان تَبَعُّثُهُ على حفظ ما يجب عليه من حقٍّ لغيره، وتمنُّعُهُ من إضَاعَتِهِ، أو جعله لنفع نفسه، وضدّها الخيانة.

(٧٧٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٨.

(٧٧٧) المصباح المنير ص ٢٤.

والأمانة من أعزّ أوصاف البشر، وهي من أخلاق المسلمين، وفي الحديث: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَ لَهُ) (٧٧٨)(٧٧٩).

ثالثاً: التفسير:

يمتدحُ الله - تعالى - المؤمنين بأنهم يحفظون أماناتهم وعهدهم.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ (٨): «أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ...﴾ [الأحزاب: ٧٢] فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمْتِنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم، والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات، والعقود التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها» (٧٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ تشير إلى أمانة واحدة تجمع كل ما يحمله المسلم من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، فهذه القراءة تعبّر عن جنس الأمانة.

يقول القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ -: «الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان

(٧٧٨) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده برواية أنس بن مالك ج ٣/ ص ١٣٥ / ح ١٢٤٠٦، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن. وانظر: صحيح ابن حبان ج ١ / ص ٤٢٢ / ح ١٩٤. ومسند أبي يعلى ج ٥ / ص ٢٤٦ / ح ٢٨٦٣.

(٧٧٩) التحرير والتنوير ج ٥ / ص ٢٠٣.

(٧٨٠) تفسير السعدي ص ٥٤٧.

من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك وغاية ذلك حفظه والقيام به والأمانة أعم من العهد وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد^(٧٨١).

أما القراءة الثانية ﴿لَا مَنَنْتِيهِمْ﴾ فإنها تتعلق بجميع أمانات المؤمن التي تكون بينه وبين خالقه من العبادات كالصلاة والصوم وغيرها، وما تكون بين العبيد كالودائع وغيرها.

يقول البغوي - رَحِمَهُ اللهُ -: «والأمانات تختلف فتكون بين الله - تعالى - وبين العبد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، وتكون بين العبيد، كالودائع والصنائع، فعلى العبد الوفاء بجميعها»^(٧٨٢).

بالجمع بين القراءتين تتبلور صورة جميلة للمؤمن الذي يحفظ ويرعى جميع أماناته التي تكون بينه وبين خالقه، والتي تكون بينه وبين الناس، فهو بذلك يحفظ عهده وأمانته بحفظ أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، فالأمانة جنس واحد لا يقبل التجزئة ولا التبعض؛ إما أن تكون حافظاً للأمانة راعياً لها، أو أن تكون مضيعاً لها والعباد بالله، والله أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ بالتوحيد.

٢ - وقرأ الباقون ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ بالجمع^(٧٨٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

صلاة: «الصَّلَاةُ: الدعاء، والصلاة من الله - تعالى - الرحمة، والصلاة واحدة الصَّلَوَاتِ المفروضة، وهو اسم يوضع موضع المصدر، يقال: صَلَّى

(٧٨١) تفسير القرطبي ج ٧/ص ٤٤٩٩.

(٧٨٢) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤١٠.

(٧٨٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٨.

صلاة، ولا يقال تَضَلُّيَّةٌ^(٧٨٤).

ثالثاً: التفسير:

لقد امتازت الصلاة عن غيرها من العبادات بالكثير، ولأهميتها فقد فرضت من الله مباشرة للنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بدون وساطة جبريل عليه السلام، لذا فمن صفات المؤمنين أنهم على صلواتهم يحافظون.

يقول الشنقيطي - رحمه الله -: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين الوارثين الفردوس: أنهم يحافظون على صلواتهم والمحافظة عليها تشمل إتمام أركانها، وشروطها، وسننها، وفعلها في أوقاتها في الجماعات في المساجد، ولأجل أن ذلك من أسباب نيل الفردوس أمر تعالى بالمحافظة عليها في قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى في سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]، وقال فيها أيضاً: ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢٢] الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٢ - ٢٣]، وذم وتوعد من لم يحافظ عليها في قوله: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]»^(٧٨٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ بالإنفراد معنى المحافظة على الصلاة فذكر المصدر ويعني المحافظة على كل صلاة من الصلوات المفروضة.

أما قراءة ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ بالجمع فتفيد المحافظة على أعداد الصلوات كلها، وعدم تضييع أي منها، كما تفيد تعظيم الصلاة وتعظيم من يحافظ عليها، وتعظيم جزائه من الله.

يقول الطاهر بن عاشور: «ثناء على المؤمنين بالمحافظة على

(٧٨٤) مختار الصحاح ص ٣٧٥.

(٧٨٥) أضواء البيان ج ٥ / ص ٧٧٤ - ٧٧٥.

الصلوات، أي بعدم إضاعتها أو إضاعة بعضها، والمحافظة مستعملة في المبالغة في الحفظ... وجيء بالصلوات بصيغة الجمع للإشارة إلى المحافظة على أعدادها كلها تنصيماً على العموم» (٧٨٦).

ويقول الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرئ: ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ فإن قلت: كيف كرّر ذكر الصلاة أولاً وآخرًا؟ قلت: هما ذكran مختلفان فليس بتكرير. وصفوا أولاً بالخشوع في صلاتهم، وآخرًا بالمحافظة عليها. وذلك أن لا يسهُوا عنها، ويؤدوها في أوقاتها، وقيموا أركانها، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها. وأيضاً فقد وُحِدَتْ أولاً لِيُفَادَ الخشوعُ في جنس الصلاة أي صلاة كانت، وُجِمِعَتْ آخرًا لِيُفَادَ المحافظةُ على أعدادها وهي: الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة، وصلاة الجمعة، والعيدين، والجنائز، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد وصلاة التسبيح، وصلاة الحاجة. وغيرها من النوافل» (٧٨٧).

ويقول ابن الجزري - رَحِمَهُ اللهُ -: اكتنف قبل وبعد قوله تعالى ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ في هذه السورة من تعظيم الوصف في المتقدم وتعظيم الجزاء في المتأخر فناسب لفظ الجمع، وكذلك قرأ به أكثر القراء، ولم يكن ذلك في غيرها فناسب الإفراد» (٧٨٨).

بالجمع بين القراءتين يستشعر المؤمن أهمية المحافظة على الصلاة المفروضة إلى جانب النافلة فبعد ثناء الله - تعالى - على المؤمنين الخاشعين في صلاتهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] أثنى عليهم مرةً أخرى؛ لمحافظتهم على جميع صلواتهم، ممّا يدلُّ على تفرُّد الصلاة واختصاصها بما لم يُختصَّ به غيرها من العبادات على الإطلاق، كما يدلُّ على جزيل ثوابها، وعظيم صفة المحافظة عليها، والله أعلم.

(٧٨٦) التحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ١٨.

(٧٨٧) الكشف ج ٣/ ص ٢٧. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج ١/ ص ٣٣٧.

(٧٨٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٨.

٣ - قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وأبو بكر^(٧٨٩) ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ﴾ بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على التوحيد فيهما.

٢ - وقرأهما الباقون ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ﴾ بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع^(٧٩٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الْعِظْمُ: الذي عليه اللحم من قَصَبِ الحيوان، والجمع أَعْظُمُ وعِظَامٌ»^(٧٩١).

ثالثاً: التفسير:

يتجلى كمالُ قدرة الله، واستحقاقه وحده للعبادة - ﷻ - في أطوار خلقه الإنسان، ونقله له من حالٍ إلى حال، وقد ضُمَّنْتُ الموضع الثاني من سورة الحجّ تفصيلاً لأطوار خلق الإنسان كما ذكرها الطاهر بن عاشور^(٧٩٢) بما يُغني هنا عن التكرار.

يقول السعدي: «ذكر الله في هذه الآيات أطوار آدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم ﷺ، وأنه ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طَيْنٍ﴾ أي: قد سُلِّت، وأخَذَتْ مِنْ جَمِيعِ

(٧٨٩) هو شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم، ولد سنة ٩٥هـ، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان سيداً إماماً حجة، كثير العلم والعمل، منقطع القرنين، وكان من أئمة السنة توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٩٣هـ.

(٧٩٠) انظر: النشر ج ٢ / ص ٣٢٨.

(٧٩١) لسان العرب ج ١٢ / ص ٤٧٧. وانظر: مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٧٩٢) انظر: التحرير والتنوير مج ٨ / ج ١٧ / ص ١٩٦ - ٢٠٣.

الأرض، ولذلك جاء بنوع على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحزن^(٧٩٣)، وبين ذلك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: جنس آدميين ﴿نُطْفَةً﴾ تخرج من بين الصلب والترائب، فتستقر ﴿فِي قَرَارٍ مُّكَيَّنٍ﴾ وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ﴾ التي قد استقرت قبل ﴿عَلَقَةً﴾ أي: دما أحمر، بعد مضي أربعين يوماً من النطفة، ﴿فَخَلَقْنَا أَلْفَافَةً﴾ بعد أربعين يوماً ﴿مُضْغَةً﴾ أي: قطعة لحم صغيرة، بقدر ما يمتص من صغرها. ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ﴾ اللينة ﴿عِظْمًا﴾ صلبة، قد تخللت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عماداً للحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ نفخ فيه الروح، فانتقل من كونه جماداً، إلى أن صار حيواناً، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: تعالى وتعاضم وكثر خيرُه، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ رُؤُسُهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِيٍّ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة: ٧ - ٩] فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿١﴾ [التين: ٤] ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها^(٧٩٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ﴾ بالإنفراد خلق الله - تعالى - لجنس العظام وكسوته لحماً، وقد وُحِّدَ نسبةً إلى لفظ إفراد الإنسان والنطفة والعلقَة.

(٧٩٣) «الحزن: ما غلظ من الأرض». مختار الصحاح ص ١٦٧.

(٧٩٤) تفسير السعدي ص ٥٤٨.

بينما تفيد قراءة ﴿عَظَمًا فَكَسَوْنَا الْوُطَنَ﴾ بالجمع أصل العظام وتعدّد أنواعها فمنها الدقيقة والغليظة وغيرها، كما أفادت أنّ هذا أمرٌ عامٌّ في جميع النَّاسِ.

يقول ابن جنّي - رَحِمَهُ اللهُ - في توجيه القراءتين: «أما من وَحَدَ فإنه ذهبَ إلى لفظ أفراد الإنسان والنُّطفةِ والعَلَقَة، ومن جمع فإنه أرادَ أنّ هذا أمرٌ عامٌّ في جميع النَّاسِ» (٧٩٥).

كما جاء في كتاب طلائع البشر: «قُرِئَ ﴿عَظَمًا، الْعَظْمُ﴾ بفتح العين وسكون الظاء فيهما، وحذف الألف على الأفراد لقصد الجنس.

وقُرِئَ بكسر العين وفتح الظاء بعدها ألف على الجمع» (٧٩٦) لقصد الأنواع، والعظامُ أنواعٌ مختلفةٌ بين دقيقةٍ وغليظةٍ، ومستديرةٍ ومستطيلةٍ وغير ذلك» (٧٩٧).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ الله - تعالى - يخلق المضغّة التي هي طورٌ من أطوار خلق الإنسان عظماً مكسواً لحماً، وأنّ هذا العظم الموجود في كلّ إنسانٍ أنواعٌ مختلفةٌ بين دقيقةٍ وغليظةٍ، ومستديرةٍ ومستطيلةٍ، وهذا عامٌّ في جميع الناس، والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿طُورٍ سَيْنَاءَ﴾:

١ - قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو ﴿طُورٍ سَيْنَاءَ﴾

(٧٩٥) المحتسب ج ٢/ص ٨٧.

(٧٩٦) المعنى يتطلب لفظة (الجمع) لكنها في كتاب (طلائع البشر) كتبت (الأفراد).

(٧٩٧) طلائع البشر ص ١٨٢. وانظر: الموضح ج ٢/ص ٨٩١. إعراب القراءات السبع

ج ٢/ص ٨٦. الكشف ج ٢/ص ١٢٦. الحجة في القراءات السبع ص ٢٥٦. الإنحاف

ج ٢/ص ٢٨٢. المستير ج ٢/ص ٩٨. والهادي ج ٣/ص ٧٤.

بكسر السين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ بفتحها.

القراءات في ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ بضم التاء وكسر الباء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ بفتح التاء وضم الباء^(٧٩٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«سين: طور سيناء جبل بالشام وهو طور أضيف إلى سيناء وهي شجر وكذا طُورُ سَيْنَيْنِ قال الأخفش سينين شجر واحدتها سينية قال وقرئ ﴿طُور سيناء﴾ وسيناء بالفتح والكسر والفتح أجود في النحو، وقال أبو علي^(٧٩٩) إنما لم يصرف لأنه جعل اسماً للبقعة»^(٨٠٠).

تَنْبُتُ: «نَبَتَ الشَّيْءُ يَنْبُتُ نَبْتًا وَنَبَاتًا وَتَنْبَتَ»^(٨٠١).

تَنْبُتُ: «تَنْبُتُ فَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنْ مَعْنَاهُ تَنْبُتُ الدُّهْنُ أَيْ شَجَرُ الدُّهْنِ أَوْ حَبُّ الدُّهْنِ»^(٨٠٢).

ثالثاً: التفسير:

لقد اختصَّ الله - تعالى - شجرة الزيتون بما ينفع الناس من زيتها وزيتونها، كما اختصها بمكان منبتها في بقعة مباركة هي طور سيناء.

يقول النسفي - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿وَشَجَرَةٍ﴾ عطف على ﴿جَنَّتِ﴾ وهي

(٧٩٨) انظر: الشرح ٢/ص ٣٢٨.

(٧٩٩) هو أبو علي الفارسي، سبقت ترجمته ص ٤١.

(٨٠٠) مختار الصحاح ٣/ص ٣٢٦. وانظر: أطلس القرآن ص ١٦٦ - ١٦٨. وراجع ص ٣٤ - ٣٨ من هذه الرسالة.

(٨٠١) تاج العروس ج ١/ص ٥٨٨.

(٨٠٢) المرجع السابق ج ١/ص ٥٨٩.

شجرة الزيتون ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾، ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ و﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [التين: ٢٢] لا يخلو إِمَّا أَنْ يُضَافَ الطُّورُ إِلَى بَقْعَةٍ اسْمُهَا سَيْنَاءٌ وَسَيْنُونُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِلْجَبَلِ مَرْكَبًا مِنْ مُضَافٍ وَمُضَافٍ إِلَيْهِ كَامِرِيءُ الْقَيْسِ، وَهُوَ جَبَلُ فَلَاسْطِينَ. وَ(سَيْنَاءُ) غَيْرُ مُنْصَرَفٍ بِكُلِّ حَالٍ، مَكْسُورُ السَّيْنِ كَقِرَاءَةِ الْحِجَازِيِّ وَأَبِي عَمْرٍو لِلتَّعْرِيفِ وَالْعَجْمَةِ، أَوْ مَفْتُوحَا كَقِرَاءَةِ غَيْرِهِمْ لِأَنَّ الْأَلْفَ لِلتَّائِيَةِ كَصَحْرَاءَ، ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ قَالَ الزَّجَاجُ: الْبَاءُ لِلْحَالِ أَيْ تَنْبَتَ وَمَعَهَا الدَّهْنُ ﴿تَنْبُتُ﴾ مَكِّي وَأَبُو عَمْرٍو. إِمَّا لِأَنَّ أَنْبَتَ بِمَعْنَى تَنْبَتَ كَقَوْلِهِ (حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ)، أَوْ لِأَنَّ مَفْعُولَهُ مَحْذُوفٌ أَيْ تَنْبَتَ زَيْتُونُهَا وَفِيهِ الدَّهْنُ ﴿وَصَبِغَ لِلْأَكْلِينَ﴾ أَيْ إِدَامَ لَهُمْ. قَالَ مِقَاتِلٌ^(٨٠٣): جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ إِدَامًا وَدِهْنًا، فَالْإِدَامُ الزَّيْتُونُ، وَالِدَّهْنُ الزَّيْتُ. وَقِيلَ: هِيَ أَوَّلُ شَجَرَةٍ نَبَتَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ. وَخَصَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ الثَّلَاثَةَ لِأَنَّهَا أَكْرَمُ الشَّجَرِ وَأَفْضَلُهَا وَأَجْمَعُهَا لِلْمَنَافِعِ^(٨٠٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ خُرُوجَ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ مِنْ جَبَلِ الطُّورِ الْمُسَمَّى ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ فَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَخْبَرْتَنَا بِاسْمِ الْمَكَانِ الَّذِي تَنْبُتُ فِيهِ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ.

بينما تفيد قراءة ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وَصْفَ الْبَقْعَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهَا شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ بِأَنَّهَا بَقْعَةٌ مَرْتَفَعَةٌ مَبَارَكَةٌ، كَثِيرَةُ الشَّجَرِ، حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ.

يقول الماوردي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وفي طور سيناء خمسة تأويلات:

أحدها: أَنَّ سَيْنَاءَ الْبَرَكَةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ جَبَلُ الْبَرَكَةِ.

(٨٠٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي صاحب التفسير: من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب ج ١٠/ص ٢٤٩، والأعلام ج ٧/ص ٢٨١.

(٨٠٤) تفسير النسفي ج ٣/ص ١٧٤ - ١٧٥.

الثاني: أنه الحسن المنظر.

الثالث: أنه الكثير الشجر...

الرابع: أنه اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

الخامس: أنه المرتفع مأخوذ من السَّناء، وهو الارتفاع. فعلى هذا التأويل يكون اسماً عربياً وعلى ما تقدم من التأويلات يكون اسماً أعجمياً^(٨٠٥).

ويقول الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «طُورِ سَيْنَاءَ» وطور سنين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه، كامريء القيس، وكبعلبك، فيمن أضاف. فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث؛ لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فَتَحَ فلم يصرف؛ لأنَّ الألف للتأنيث كصحراء. وقيل: هو جبل فلسطين. وقيل: بين مصر وإيلة. ومنه نودي موسى ﷺ^(٨٠٦).

أما قراءة «تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ» فقد أفادت إنبات شجرة الزيتون للدهن الذي هو الزيت المُستخرج من ثمرها.

بينما تفيد قراءة «تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ» نَبَتَ هذه الشجرة ومعها الدهن الذي هو زيت الزيتون الذي يحويه ثمرها.

يقول الشنقيطي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الباقون: (تَنْبُت) بفتح التاء، وضم الباء مضارع: نبت الثلاثي، وعلى هذه القراءة، فلا إشكال في حرف الباء في قوله: بالدهن أي: تنبت مصحوبة بالدهن الذي يستخرج من زيتونها، وعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ففي الباء إشكال، وهو أن أنبت الرباعي يتعدى بنفسه، ولا يحتاج إلى الباء وقد قدمنا النكتة في الإتيان بمثل هذه

(٨٠٥) تفسير الماوردي ج ٤ / ص ٥٠. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مع ٢

/ ص ٦٦٠ - ٦٦١.

(٨٠٦) الكشف ج ٣ / ٢٩. وانظر: إعراب ثلاثين سورة ص ١٢٨.

الباء في القرآن، وأكثرنا من أمثلته في القرآن، وفي كلام العرب في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى ﴿وَهَزَيَ إِلَيْكَ جَنَّاتٍ مِّنْ ثَمَرَاتِهَا وَيَخْرِجُونَ فِيهَا زُكُوتَ الثَّمَرَاتِ﴾ [مريم: ٢٥]، ولا يخفى أن (أُنبِت) الرباعي، على قراءة ابن كثير، وأبي عمرو هنا: لازمة لا متعدية لمفعول، وأُنبِت متعدي، وتلزم فمن تعديها قوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ﴾ [النحل: ١١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩] ومن لزومها قراءة ابن كثير، وأبي عمرو المذكورة... أنبت... لازم بمعنى: نبت، وهذا هو الصواب في قراءة: تنبت بضم التاء. خلافاً لمن قال: إنها مضارع أنبت المتعدي، وأن المفعول محذوف: أي تنبت زيتونها، وفيه الزيت^(٨٠٧).

بالجمع بين القراءات الأربع نعرف ما اختصَّ الله به شجرة الزيتون حيث تُنْبِتُ في أرض مرتفعة مباركة كثيرة الشجر حسنة المنظر وهي المُسَمَّاة بطور سيناء، والتي تُنْبِتُ ثمر الزيتون الذي نستخرج منه الدهن المعروف بزيت الزيتون. فهذه الشجرة تخرج من طور سيناء وتخرج ثمرها الذي هو حب الزيتون المليء بالزيت، والله أعلم.

٥ - قال تعالى: ﴿وَلَا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعْنَةٌ شَقِيقَةٌ مِّمَّا فِي بَطْنِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب، وشعبة ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بفتح النون.
- ٢ - قرأ أبو جعفر ﴿تَسْقِيَكُمْ﴾ بالتاء مفتوحة.
- ٣ - قرأ الباقون ﴿تُسْقِيكُمْ﴾ بضم النون^(٨٠٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(٨٠٧) أضواء البيان ج ٥/ ص ٧٨٨. وانظر: تاج العروس ج ١/ ص ٥٨٩.

(٨٠٨) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٠٤.

سقي: «س ق ي: السَّقاء يكون للبن والماء والقربة تكون للماء خاصة وسَّقاء من باب رمى وأسَّقاء قال له سقيا وسَّقاء الله الغيث وأسَّقاء والاسم السَّقيا بالضم وقيل سَّقاء لسفته وأسَّقاء لماشيته وأرضه»^(٨٠٩).

ثالثاً: التفسير:

نِعَمُ الله - تعالى - على الإنسان لا تُعدُّ ولا تُحصَى، ومنها خلقه الأنعام ذات المنافع الكثيرة للناس فمنها نأخذ اللبن واللحم، ونَتَّخِذُ بعضها ركوبةً إلى غير ذلك من المنافع.

يقول الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «قرىء: ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بقاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك، كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير. وفيها منفعة زائدة، وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها، والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفائن البر»^(٨١٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ إرجاع سُقيا اللبن إلى الله تعالى بعظمته فهو الذي خلق هذه الأنعام وهيأها لِتُخْرَجَ لنا اللبن.

وتفيد القراءة الثانية ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ أنَّ الأنعام هي التي تسقينا اللبن.

يقول الزمخشري: «قرىء: ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بقاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام»^(٨١١).

وتفيد القراءة الثالثة ﴿تُسْقِيكُمْ﴾ ديمومة سقيا اللبن من الأنعام فهي تعطينا اللبن باستمرار وبدون انقطاع.

(٨٠٩) مختار الصحاح ص ٣٢٦.

(٨١٠) الكشف ج ٣ ص ٢٩.

(٨١١) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٩. (سبق في تفسير الآية).

يقول الخطيب التبريزي - رَحِمَهُ اللهُ -: «قال قوم: سَقَى وأسَقَى لغتان في معنى واحد، وقال آخرون: سَقَيْتُهُ ناولته شربة، وأسَقَيْتُهُ: جعلتُ له سقياً، وأجازوا القراءة بالضم؛ لأنه شربٌ دائمٌ»^(٨١٢).

ويقول ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «نَسَقِيكُمْ» بفتح النون... والوجه أنه من سقاهُ يَسْقِيهِ، وذلك لما يكون للشفة، قال الله تعالى ﴿...وَسَقَّيْنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقرأ الباقون ﴿نُسَقِيكُمْ﴾ بضم النون، والوجه أنه من أسَقَيْتُهُ إذا جعلت له سقياً، يُقال أسَقَيْتُهُ نهراً إذا جعلته شرباً له، والمعنى أنا نجعله في كثرته وإدامته كالسُقيا لكم»^(٨١٣).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبين أن الله - تعالى - بعظمته خلق للناس الأنعامَ وهيأها لتكون مصنعةً يُخرجُ لهم اللبن فتسقيهم منه بكثرة واستمرارٍ سقياً دائمةً إلى ما شاء الله، والله أعلم.

٦ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر، والكسائي ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ برفع الراء وضم الهاء^(٨١٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

غير: «غَيْرَ: بمعنى سِوَى»^(٨١٥).

(٨١٢) المُلَخَّص ص ١٤٢.

(٨١٣) الموضح ج ٢/ص ٧٣٩. وانظر القراءات وأثرها في علوم العربية ج ١/ ص ٤٦١.

(٨١٤) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٧٠.

(٨١٥) مختار الصحاح ص ٤٨٨.

ثالثاً: التفسير:

إنَّ دعوة نوح عليه السلام هي دعوة سائر الأنبياء بتوحيد الألوهية، هداية الناس لعبادة الله وحده لينجوا من عذاب النار ويَتَّقوها.

يقول السعدي - رحمته الله -: «يذكر تعالى رسالة عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول رسول أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم بعبادة الله وحده، فقال: ﴿يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصح إلا بإخلاصها. ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ فيه إبطال ألوهية غير الله، وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على صور قوم صالحين، فعبدوها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سرّاً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم لا يزدادون إلا عتواً ونفورا» ^(٨١٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ إبطال ألوهية غير الله، فتكون كلمة ﴿غَيْرِهِ﴾ صفة لـ ﴿إِلَهِ﴾ حيث إنه مجرور بحرف الجر (من) اتباعاً للفظ.

بينما تفيد قراءة ﴿مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ تخصيص الله تعالى بالألوهية، وإثباتها له تعالى وحده، حيث إن (من) زائدة، و﴿غَيْرِهِ﴾ صفة لـ ﴿إِلَهِ﴾ على أنه في محل رفع مبتدأ مؤخر خبره (ما لكم).

يقول البقاعي - رحمته الله -: «ودل على الاستغراق بقوله: ﴿مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾» ^(٨١٧).

ويقول الطاهر بن عاشور - رحمته الله -: «و﴿غَيْرِهِ﴾ نعت لـ ﴿إِلَهِ﴾. قرأه الجمهور بالرفع على اعتبار محل المنعوت بـ (غير) لأن المنعوت مجرور

(٨١٦) تفسير السعدي ص ٥٥٠.

(٨١٧) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٩٨.

بحرف جر زائد، وقرأه الكسائي بالجر على اعتبار اللفظ المجرور بالحرف الزائد^(٨١٨).

بالجمع بين القراءتين يتضح أن دعوة نوح عليه السلام لقومه كدعوة سائر الرسل فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده حيث أنه لا يوجد لهم إله غيره، وكل الآلهة التي يعبدونها من دونه باطلة، لذا يجب عليهم تخصيص العبادة له وحده لأنه المستحق لها دون جميع تلك الآلهة الباطلة، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [المؤمنون: ٢٦].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب ﴿كذبوني﴾ بإثبات الياء وصلأً ووقفاً.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿كَذَّبُونَ﴾ بحذف ياء المتكلم وصلأً ووقفاً^(٨١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(كذب) الكذب: نقيض الصدق كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا»^(٨٢٠).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية هي دعوة نوح عليه السلام التي دعاها بعد أن استمر يدعو قومه لعبادة الله تسعمائة وخمسين سنة وما آمن معه إلا قليل، بل استمروا في تكذيبه فدعا ربه أن يؤيده بالنصر الذي لا يكون حقيقة إلا من عنده سبحانه.

يقول أبو السعود - رحمه الله -: «﴿قَالَ﴾ استئناف مبني على سؤالٍ نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الأباطيل؟ فقيل: قال لما رآهم قد أصرُّوا على الكفر والتكذيب وتمادوا في

(٨١٨) التحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ٤١. وانظر: روح المعاني ج ١٨/ص ٣٧. وفتح القدير ص ١١٨٧. وتفسير النسفي ج ٣/ص ١٧٥. وتفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٤٠٩. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج ١/ص ٢٧٧.

(٨١٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٣٠.

(٨٢٠) لسان العرب ١ / ص ٨٢٧.

الغواية والضلال حتى يشن من إيمانهم بالكلية وقد أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾ بإهلاكهم بالمرّة؛ فإنه حكاية إجمالية لقوله ﷺ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿يَمَا كَذَّبُون﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي، أو بدل تكذيبهم^(٨٢١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿كذّبوني﴾ التصريح بطلب النصر من الله - تعالى - مع كمال التجاء نوح ﷺ لربه وإلقائه بنفسه كلها بين يديه؛ ليأخذ بيده وينصره على قومه الذين كذبوه بشدة واستمرار.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «وذلك أن المقام يستدعي إبراز ياء المتكلم، لأنه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يُلصَقَ الإنسانُ بمن يحميه ويُلقَى بنفسه كلها عليه ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكل أحاسيسه ومشاعره التجاء كاملاً»^(٨٢٢).

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿كَذَّبُون﴾ الطلب الضمني من الله - تعالى - بإهلاك الكافرين كلياً، فقد اختصر الكلام واكتفى بالتصريح الضمني وبأقصر الكلام حيثُ الاجتزاء بالكسرة يدلُّ على الاجتزاء في الكلام.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «فصرّح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظرٌ جميلٌ، ففي الطلب الصريح صرّح بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يُصرّح بالضمير»^(٨٢٣).

يقول الرازي - رحمه الله -: «أما قوله: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي يَمَا كَذَّبُون﴾ ففيه وجوه:

(٨٢١) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٤١١. وانظر: روح المعاني ج ١٨/ص ٣٩.

(٨٢٢) التعبير القرآني ص ٨٤.

(٨٢٣) بلاغة الكلمة ص ٢٨.

أحدها: أن في نصره إهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي.
وثانيها: انصرتني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك، أي: بدل ذلك ومكانه، والمعنى: أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم.
وثالثها: انصرتني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبه فيه حين قال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] (٨٢٤).

بالجمع بين القراءتين يتضح أن نوحاً عليه السلام دعا ربه وهو في كمال التجائه إليه لياخذ بيده وينصره على قومه بعد أن أوحى إليه ربه أنه لن يؤمن أحد من قومه بعد ذلك، وكان دعاؤه الله بأن ينصره دعاء صريحاً شمل دعاء ضمناً بإنجاز الله - تعالى - وعده إياه بتعذيب الكفار وإهلاكهم، والله أعلم.

٨ - قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ حفص عن عاصم ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بالتنوين.
- ٢ - وقرأ الباقون ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بغير تنوين على الإضافة (٨٢٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كل: هي اسم موضوع للاستغراق، وأداة تقتضي الإضافة، وتقع توكيداً وصفة (٨٢٦).

ثالثاً: التفسير:

لما أوحى الله - سبحانه وتعالى - لنوح بأنه لن يؤمن من قومه إلا من

(٨٢٤) تفسير الرازي ج ٢٣/ ص ٩٣. وانظر: الكشف ج ٣/ ص ٣٠.

(٨٢٥) انظر: النشر ج ٢/ ص ٢٨٨.

(٨٢٦) انظر: الأدوات النحوية ص ١٤٧.

أَمَرَ أَنْ يَصْنَعَ الْفَلَكَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ جَبْرِيلَ لِيُعَلِّمَهُ كَيْفَ يَصْنَعُهَا، وَأَمَرَهُ حِينَ يَرَى الْعَلَامَةَ الْمَوْعُودَةَ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَكَراً وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَهُ أَلَّا يَرْكَبَ فِيهَا غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِهِ وَأَهْلِهِ.

يقول البيضاوي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا نحفظه أَنْ تخطيء فيه أو يفسده عليك مفسد. ﴿وَوَحَيْنَا﴾ وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالركوب أو نزول العذاب. ﴿وَفَارَ الْتَوُورُ﴾ روي أَنَّهُ قِيلَ لَنُوحٍ إِذَا فَارَ الْمَاءَ مِنَ التَّنُورِ ارْكَبْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ، فَلَمَّا نَبَعَ الْمَاءُ مِنْهُ أَخْبَرَتْهُ أَمْرَاتُهُ فَرَكِبَ وَمَحَلَّهُ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِ الدَّخْلِ مِمَّا يَلِي بَابَ كِنْدَةَ. وَقِيلَ عَيْنُ وَرْدَةٍ مِنَ الشَّامِ وَفِيهِ وَجْهُ آخَرُ ذَكَرَتْهَا فِي (هُود). ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾ فَادْخُلَ فِيهَا يُقَالُ سَلَكَ فِيهِ وَسَلَكَ غَيْرُهُ قَالَ تَعَالَى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾. ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ مِنْ كُلِّ أُمَّتِي الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى وَاحِدِينَ مَزْدُوجِينَ، وَقَرَأَ حَفْصٌ: ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بِالتَّنْوِينِ أَي: مِنْ كُلِّ نَوْعٍ زَوْجِينَ وَاثْنَيْنِ تَأْكِيدٌ. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وَأَهْلَ بَيْتِكَ أَوْ مِنْ آمَنَ مَعَكَ. ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أَي: الْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - بِإِهْلَاكِهِ لِكُفْرِهِ، وَإِنَّمَا جِيءَ بِهِ (عَلَى) لِأَنَّ السَّابِقَ ضَارٌّ كَمَا جِيءَ بِاللَّامِ حَيْثُ كَانَ نَافِعاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾. ﴿وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِالِدَّعَاءِ لَهُمْ بِالْإِنْجَاءِ. ﴿لَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ لَا مُحَالَةَ لظَلَمِهِمْ بِالْإِشْرَاقِ وَالْمَعَاصِي، وَمِنْ هَذَا شَأْنُهُ لَا يَشْفَعُ لَهُ وَلَا يَشْفَعُ فِيهِ» (٨٢٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إِنَّ قِرَاءَةَ التَّنْوِينِ ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بِالتَّنْوِينِ تَفِيدُ أَمَرَ اللَّهِ تَعَالَى لَنُوحٍ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، وَتَكُونُ ﴿اثْنَيْنِ﴾ هُنَا صَفَةً لـ ﴿زَوْجَيْنِ﴾ تَفِيدُ التَّوَكِيدَ كَمَا تَفِيدُ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ شُمُولَ الْأَمْرِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِإِسْتِثْنَاءِ.

بينما قراءة ﴿مِنْ كُلِّ﴾ تفيد أمر الله - تعالى - لنوح عليه السلام أن يحمل في السفينة اثنين من كل زوجين، أي من كل صنفين، بمعنى واحداً من صنف الذكور وواحداً من صنف الإناث. فتكون هذه القراءة مبينة لتلك بأن الزوجين من كل أمة هما من صنفين مختلفين.

يقول الزمخشري - رحمته الله -: «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ» من كل أمتي زوجين، وهما أمة الذكر وأمة الأنثى، كالجمال، والنوق، والحُصن والرمالك ﴿اثنين﴾ واحد من زوجين، كالجمال والناقة، والحصان والرمكة (٨٢٨): روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض. وقرئ: «مَنْ كُلِّ» بالتنوين، أي: من كل أمة زوجين. واثنين: تأكيد وزيادة بيان (٨٢٩).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - سبحانه وتعالى - أصدر أمره لنوح عليه السلام بأن يحمل معه من كل أمة من المخلوقات زوجين اثنين ذكراً وأنثى بلا استثناء، وذلك حفاظاً على حياة الأجناس جميعها، والله أعلم.

٩ - قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٢٩)
[المؤمنون: ٢٩].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ أبو بكر ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً﴾ بفتح الميم وكسر الزاي.
- ٢ - وقرا الباقر ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً﴾ بضم الميم وفتح الزاي (٨٣٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الْمَنْزِلُ»: المَنْهَل والدار والمَنْزِلَةُ مثله، والمَنْزِلَةُ أيضاً: المرتبة لا تُجمع، واستَنْزَلَ فلان أي: حُطَّ عن مرتبته، والمَنْزِلُ بضم الميم وفتح الزاي

(٨٢٨) «الرَّمَكَةُ بفتحيتين: الأنثى من البراذين، وجمعها رِمَاكٌ». مختار الصحاح ص ٢٦٧.
(٨٢٩) الكشف ج ٣ / ص ٣٠. وانظر: تفسير البيضاوي ص ٤٦٣. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج ١ / ص ٣٥ - ٣٦.
(٨٣٠) انظر: الشرح ج ٢/ص ٣٢٨.

الإنزال تقول أَنزَلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَالْمُنْزَلُ بفتح الميم والزاي: النُّزُول وهو الحُلُول، تقول نَزَلَ يَنْزِلُ نَزْولًا وَمُنْزَلًا وَأَنْزَلَهُ غيره واستَنْزَلَهُ بمعنى، ونَزَلَهُ تَنْزِيلًا، والتَّنْزِيلُ أيضاً: الترتيب» (٨٣١).

«النُّزُول بالضّم: الحُلُول وهو في الأصل انحطاطٌ من علو وقد نَزَلَهُم ونَزَلَ بهم ونَزَلَ عليهم يَنْزِلُ كَيَضْرِبُ نَزْولًا بالضّم وَمُنْزَلًا كَمَقْعَدٍ وَمَجْلِسٍ وهذه شاذة» (٨٣٢).

«نزل: النزول في الأصل هو انحطاط من علو» (٨٣٣).

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله - ﷻ - نبيه أن يدعو إذا استوى على ظهر الفلك أن يُنْزَلَهُ مكاناً مباركاً ورتبةً مباركةً.

يقول: «ثم أمره تعالى بأن يحمد ربه على النجاة من الظلمة، عن استوائه وتمكنه في الفلك، ثم أمر بالدعاء في بركة المنزل، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿مُنْزَلًا﴾ بفتح الميم وكسر الزاي وهو موضع النزول، وقرأ الباقر وحفص عن عاصم ﴿مُنْزَلًا﴾ وهو مصدر بمعنى الإنزال بضم الميم وفتح الزاي، ويجوز أن يراد موضع النزول» (٨٣٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا﴾ موضع النزول، بمعنى أن يكون موضع النزول مباركاً.

وأفادت القراءة الثانية ﴿أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا﴾ فعل النزول بمعنى أن يكون فعل النزول مباركاً.

(٨٣١) مختار الصحاح ص ٦٨٨.

(٨٣٢) تاج العروس ج ٨ ص ١٣٣. وانظر: لسان العرب ج ١١ ص ٧٨٢.

(٨٣٣) المفردات ص ٧٩٩.

(٨٣٤) المحرر الوجيز ج ٤ ص ١٤٢.

يقول الماوردي - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً﴾ :
«قراءة الجمهور بضم الميم، وفتح الزاي، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر
بفتح الميم، وكسر الزاي، والفرق بينهما أنَّ الْمُنْزَلَ بِالضَّمِّ فعلُ النزول،
وبالفتح موضعُ النزول» (٨٣٥).

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله - تعالى - يأمرُ نبيَّه نوحاً عليه السلام أن
يدعوه حين يستوي على ظهر السفينة أن يكون منزله مباركاً فعلاً وموضعاً،
أي أن يُبارك الله مكانَ نزوله وفعل نزوله، والله أعلم.

١٠ - قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ :

١ - قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾
بكسر النون.

٢ - وقرأ الباقون ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ بضم النون (٨٣٦).

القراءات في ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ :

١ - قرأ أبو جعفر، والكسائي ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر
الهاء بعدها.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ برفع الراء وضم الهاء (٨٣٧).

(٨٣٥) تفسير الماوردي ج ٤ / ص ٥٣. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج ١ / ص ٦٢٢.

(٨٣٦) انظر: غيث النفع ص ١٩٥.

(٨٣٧) انظر: النشر ج ٢ / ص ٢٧٠ (سبق في الموضع السادس من هذه السورة، انظر: ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أَنْ): ﴿إِنْ﴾ في ﴿أَبْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يجوز أَنْ تكون مفسرة، وأن تكون مصدرية^(٨٣٨).

ثالثاً: التفسير:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخَرَ﴾ ﴿٢١﴾ هم: عاد أو ثمود. ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح، وإنما جعل القول موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وإنما أوجي إليه وهو بين أظهرهم. ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: تفسير لأرسلنا أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله^(٨٣٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت (إِنْ) هنا مفتوحة بالاتفاق في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ولها توجيه عند المفسرين حيث يقول الألوسي: «(إِنْ) في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله، وجوز كونها مصدرية ولا مانع من وصلها بفعل الأمر وقبلها جار مقدر أي أرسلنا فيهم رسولا بأن اعبدوا الله وحده^(٨٤٠).

أما قراءة ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فتفيد أَنَّ هذا الدين الحنيف هو دين يسر، وليس دين عسر، وهو سهل ميسر على المؤمنين، حيث الكسر لالتقاء الساكنين والكسرة حركة أكثر خفة من الضم، فهي تعبر عن التيسير والتسهيل.

بينما تفيد قراءة ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ صعوبة عبادة الله وحده وثقلها على نفوس المشركين، حيث الضمة أثقل الحركات، وتدل على ما هو ثقل على النفس.

(٨٣٨) البحر المحيط ج ٦/ ص ٣٧٣.

(٨٣٩) تفسير البضاوي ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٨٤٠) روح المعاني ج ١٨/ ص ٤٣.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «إنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرة ثمَّ تليها الفتحة وهي أخفُّ الحركات، إنَّ النطق بالضمّة يحتاج إلى جهد عَضَلِيٍّ أكثرَ من الكسرة والفتحة، وذلك لأنّها لا تُنطَقُ إلا بانضمام الشفّتين، وارتفاعهما، ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى ذلك، كما هو ظاهرٌ ومعلوم»^(٨٤١).

أما فيما تختصُّ بقراءتي ﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرِهِ﴾ و﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرِهِ﴾ فقد سبقت في الموضع السادس من هذه السورة^(٨٤٢).

بالجمع بين القراءات الأربع تتضح دعوة جميع الرسل أقوامهم لعبادة الله وحده فما من إلَهٍ غيره لأنّه الإله الأوحد، وهذه هي الرسالة التي أرسل الله بها رسولا للذين نجّاهم الله من الطوفان من قوم نوح عليه السلام، ولكنهم لم يتّعظوا بما حدث لأسلافهم فكان منهم المؤمنون ومنهم الكافرون، وإنَّ من صدّق الرُّسل يؤمن بالله بيسر وسهولة بينما يكون إيمان الكافرين به عسيراً صعباً ثقيلاً على نفوسهم، والله أعلم.

١١ - قال تعالى: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [المؤمنون: ٣٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ﴾ بكسر التاء منهما.

٢ - قرأ الباقون ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ﴾ بفتحها فيهما^(٨٤٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هيئات: هيئات كلمة تستعمل لتبعيد الشيء، يقال: هيئات هيئات وهيئاتاً ومنه قوله ﷺ: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ قال الزجاج:

(٨٤١) بلاغة الكلمة ص ١١٤.

(٨٤٢) انظر: ص ٣٠٨ - ٣٠٩ من هذه الرسالة.

(٨٤٣) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٨.

البعد لما توعدون... وقال الفسوي^(٨٤٤): هيهات بالكسر جمع هيهات بالفتح^(٨٤٥).

«و(هيهات) كلمة مبنية على فتح الآخر وعلى كسره أيضاً. وقرأها الجمهور بالفتح. وقرأها أبو جعفر بالكسر. وتدل على البعد. وأكثر ما تستعمل مكررة مرتين كما في هذه الآية أو ثلاثاً كما جاء في الشعر.

واختلف فيها أهى فعل أم اسم؛ فجمهور النحاة ذهبوا إلى أن (هيهات) اسم فعل للماضي من البُعد، فمعنى هيهات كذا: بُعد. فيكون ما يلي (هيهات) فاعلاً. وقيل هي اسم للبُعد^(٨٤٦).

ثالثاً: التفسير:

إن من أسباب ضلال الناس ما يعدهم الشيطان به ويُمنِّيهم من طول الأمل، وعدم إمكان البعث، كما يجعل كبراءهم دعاةً إلى جهنم يصدون المؤمنين عن سبيل الهدى بشيظهم وتعجزهم.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في بيان هذه الآية: «وهذا خبر من الله - جلّ ثناؤه - عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات: أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم تراباً وعظاماً مخرجون أحياء من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن^(٨٤٧)».

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ﴾ بالفتح على الأفراد معنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأنِ بعثِ كلِّ إنسان بعد موته.

(٨٤٤) هو أبو علي الفارسي، سبقت ترجمته ص ٤١. وعبارته: ألا ترى أن من فتح هيهات في الواحد قال في جمعه: هيهات فكسر فجعله في كسر التاء في جمعه بمنزلة ما كان الواحد منه منصوباً. انظر: المفردات ص ٨٤٨.

(٨٤٥) المفردات ص ٨٤٧ - ٨٤٨. وانظر: تفسير البياض ص ٤٦٤.

(٨٤٦) التحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ٥٤ (بتصرف بسيط).

(٨٤٧) تفسير الطبري ج ١٨/ص ٢٤.

بينما تفيّد قراءة ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بالكسر على الجمع بمعنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأنِ بعثِ جميع الخلائق بعد موتها.

يقول ابن جنّي - رَحِمَهُ اللهُ -: «أما الفتح - وهي قراءة العامة - فعلى أنّه واحد، وهو اسم سُمِّيَ به الفعل في الخبر، وهو اسم (بعْد)، ومن كسر فقال: (هيهات) منوناً فهو جمع هيهات أو غير منون»^(٨٤٨).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ الكفّارَ يستبعدون أمرَ بعثهم بعد الموتِ استبعاداً تاماً، بمعنى قولهم: إِنَّهُ يستحيلُ بعثُكم جميعاً بعدَ الموت، كما يستحيلُ بعثُ أيّ منكم بعدَ موته، والله أعلم.

١٢ - قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ﴾ ﴿٣٩﴾ [المؤمنون: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿كَذَّبُونِي﴾ بإثبات الياء وصلّاً ووقفاً.

٢ - قرأ الباقون ﴿كَذَّبُونَ﴾ بحذف ياء المتكلم وصلّاً ووقفاً^(٨٤٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(كذب): الكَذِبُ نقيضُ الصّدقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً»^(٨٥٠).

ثالثاً: التفسير:

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي أيّها المُحسِنُ إليّ بإرسالِي إليهم وغيره من أنواع التربية ﴿انصُرْنِي﴾ عليهم أي: أوقع لي النصر ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾»^(٨٥١).

(٨٤٨) المحتسب ج ٢/ص ٩١. وانظر: المحرر الوجيز ج ٤/ص ١٤٣.

(٨٤٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٣٠.

(٨٥٠) لسان العرب ج ١ /ص ٨٢٧.

(٨٥١) نظم الدرر ج ٥/ص ٢٠٠.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين تبينُ التجاء نبي الله هود عليه السلام لرَبِّه وإلقائه بنفسه كلها بين يدي خالقه يسأله بموجز الكلام صراحةً أَنْ يَنْصُرَهُ على قومه الذين كَذَّبُوهُ، كما يسأله ضمناً أَنْ يَهْلِكَ المَكْذِبِينَ من قومه^(٨٥٢).

١٣ - قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِعَصْمِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو ﴿تَتْرًا﴾ بالتنوين.

٢ - قرأ الأصحاب^(٨٥٣) ﴿تَتْرًا﴾ بالإمالة.

٣ - قرأ الباقر ﴿تَتْرًا﴾ بغير تنوين^(٨٥٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿تَتْرَى﴾: بَعْضُهَا عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ تُجْرَى وَلَا تُجْرَى^(٨٥٥).

«قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ فيه قولان:

أحدهما: متواترين يتبع بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: منقطعين بين كل اثنين دهر طويل وهذا تأويل من قرأ بالتنوين^(٨٥٦).

(٨٥٢) راجع الموضع السابع من هذه السورة في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتُ عَلَيْهِمْ كَاذِبًا﴾ [المؤمنون: ٢٦]، وذلك ص ٣١٠ - ٣١٢.

(٨٥٣) الأصحاب هم: حمزة والكسائي وخلف.

(٨٥٤) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٨. وانظر: البدور الزاهرة ص ٢١٧.

(٨٥٥) غريب القرآن ص ٢٦٥.

(٨٥٦) تفسير الماوردي ج ٤ / ص ٥٤.

ثالثاً: التفسير:

يقيمُ الله الحجةَ على الناس فيرسل إليهم الرسل متتابعين فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿١٤﴾ [فاطر: ٢٤] ويقول: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

يقول الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «تتري» فعلى: الألف للتأنيث؛ لأن الرسل جماعة. وقرىء: «تتري» بالتنوين، والتاء بدل من الواو، كما في: تولج...، أي: متواترين واحداً بعد واحد، من الوتر وهو الفرد: أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أممهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [المائدة: ٣٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الأعراف/ ١٠١] لأن الإضافة تكون للملابسة، والرسول ملابس المرسل، والمرسل إليه جميعاً بالملابسة، ﴿فَاتَّبَعْنَا الْأُمَمَ أَوْ الْقُرُونَ﴾ ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أخباراً يُسَمَّرُ بها وَيَتَعَجَّب منها الأحاديث: تكون اسمُ جمع للحديث. ومنه: أحاديثُ رسولِ الله ﷺ. وتكون جمعاً للأحداث: التي هي مثل الأضحوكة والألعبوبة والأعجوبة. وهي: مما يتحدَّث به الناس تلهياً وتعجباً، وهو المراد ههنا^(٨٥٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿تَتَرَأَّ﴾ بالتنوين تتابع الرسل المكلفين بالدعوة إلى الله من الله لأقوامهم بعضهم على إثر بعض.

كما تفيد قراءة ﴿تَتَرَأَّ﴾ بالإمالة، تقارب زمن كلِّ رسولٍ من سلفه فكان بعضهم يدعو بشرية من سبقهم، ولا يلزم أن يكون كلُّ منهم له رسالة.

بينما تفيد قراءة ﴿تَتَرَأَّ﴾ أنَّ الرُّسل التي كانت تأتي بشرائع جديدة كانت منقطعة متفاوتة حيث كان بين كلِّ اثنين منهما دهرٌ طويل.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ أي بعد إنشاء كل قرن منهم

(٨٥٧) الكشف ج ٣ / ص ٣٢ - ٣٣ (بتصرف بسيط).

وطول إمهالنا له، ومن هنا يعلم أن بين كل رسولين فترة، وأضاف الرسل إليه لأنه في مقام العظمة وزيادة في التسلية فقال: ﴿رُسُلَنَا تَتْرَ﴾ أي واحداً بعد واحد؛ قال الرازي: من وتر القوس لاتصاله» (٨٥٨).

يقول الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ -: «ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ أَنَّ رُسُلَهُ كَانُوا بَعْدَ هَذِهِ الْقُرُونِ مُتَوَاتِرِينَ، وَأَنَّ شَأْنَ أُمَمِهِمْ كَانَ وَاحِداً فِي التَّكْذِيبِ لَهُمْ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَ﴾ والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها بمعنى: أَنَّ إِرْسَالَ كُلِّ رَسُولٍ مُتَأَخِّرٌ عَنِ إِنْشَاءِ الْقُرُونِ الَّتِي أُرْسِلَ إِلَيْهِ، لَا عَلَى مَعْنَى أَنَّ إِرْسَالَ الرُّسُلِ جَمِيعاً مُتَأَخِّرٌ عَنِ إِنْشَاءِ تِلْكَ الْقُرُونِ جَمِيعاً، وَمَعْنَى ﴿تَتْرَ﴾: تَتَوَاتَرُ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، مِنَ الْوَتْرِ وَهُوَ الْفَرْدُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَاتَرْتُ كَتَبْتِي عَلَيْهِ: أَتَبَعْتُ بَعْضُهَا بَعْضاً إِلَّا أَنْ بَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَبَيْنَ الْآخِرِ مَهْلَةٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: الْمُتَوَاتَرَةُ الْمُتَتَابِعَةُ بِغَيْرِ مَهْلَةٍ. قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَمْرٍو ﴿تَتْرَى﴾ بِالتَّنْوِينِ عَلَى أَنَّهُ مُصْدَرٌ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَعَلَى هَذَا يَجُوزُ ﴿تَتْرَى﴾ بِكَسْرِ التَّاءِ الْأُولَى؛ لِأَنَّ مَعْنَى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾: وَاتَرْنَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ مُتَوَاتِرِينَ» (٨٥٩).

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - تعالى - لم يترك أمة بدون أن يبعث فيها رسولا يدعوهم لعبادة الله وحده، لذا فقد أرسل الله - تعالى - الرسل الذين منهم من كان يدعو إلى شريعة من قبله وهؤلاء كانوا متتابعين تتقارب أزمانهم، ومنهم الرسل الذين كان الله - تعالى - يرسلهم بشرائع جديدة فهؤلاء كانوا منقطعين؛ حيث كان يمضي بين كل اثنين منهم دهوراً طويلاً، والله أعلم.

١٤ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ ﴿٥٥﴾ [المؤمنون: ٥٠].

(٨٥٨) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢٠١.

(٨٥٩) فتح القدير ص ١١٨٩.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، وعاصم ﴿رَبُّوْهُ﴾ بفتح الرَّاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿رُبُّوْهُ﴾ بضم الرَّاء^(٨٦٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ وَالرَّبُّوْهُ»
كلُّ ما اِزْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ^(٨٦١).

«وَالرَّبُّوْهُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا: مَكَانٌ مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفَعٌ دُونَ الْجَبِيلِ»^(٨٦٢).

ثالثاً: التفسير:

إِنَّ خَلَقَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلَا أَبٍ يَعُدُّ مُعْجَزَةً لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ آدَمَ بِلَا أُمٍّ وَلَا أَبٍ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُخْبِرُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْ عِيسَى وَأُمِّهِ حَيْثُ أَسْكَنْهُمَا أَرْضاً مُرْتَفَعَةً ذَاتَ فَسْحَةٍ وَزَرْعٍ وَمَاءٍ مُعِينٍ.

وبيان ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَوْتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبِّوْهُ﴾ «يعني: أنزلناهما إلى ربوة، وذلك أَنَّ مَرْيَمَ لَمَّا وَلَدَتْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمَّ قَوْمُهَا أَنْ يَرْجُمُوهَا، فَخَرَجَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى أَرْضِ دِمَشْقَ، وَالرَّبُّوْهُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفَعُ.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يعني: أرضاً مستوية، ومعين يعني: الماء الجاري الطاهر، وهو مفعول من العين، وأصله معيون، كما يقال: ثوب مخيط... الربوة هي دمشق، ويقال هي بيت المقدس؛ لأنها أقرب إلى السموات من سائر الأرض، ويُقال إِنَّهَا الرملة وفلسطين^(٨٦٣).

(٨٦٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٢٣٢.

(٨٦١) لسان العرب ج ١٤/ص ٣٧٧.

(٨٦٢) التحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ٦٧.

(٨٦٣) تفسير السمرقندي ج ٢/ص ٤١٥.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذكر العلماء أنَّ العلاقة بين قراءتي ﴿رَبُّوهُ﴾ و﴿رَبُّوهُ﴾ هي علاقة لغوية حيث: ﴿رَبُّوهُ﴾ لغة تميم، و﴿رَبُّوهُ﴾ لغة قريش^(٨٦٤).

قلت: بالنظر من زاوية اللغة فإنه يُقال لكل ما ارتفع من الأرض (ربوة)، ويجوز في الرء الحركات الثلاث^(٨٦٥)، إلا أنه جاءت في هذه الكلمة قراءتان صحيحتان وهما: قراءتا ﴿رَبُّوهُ﴾ و﴿رَبُّوهُ﴾ وذلك بأثقل الحركات وأخفها للرء.

وحيث إنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة ثم تليها الفتحة وهي أخف الحركات^(٨٦٦)؛ فذلك يُشعر بأنَّ مريم وابنها عليهما السلام كانا في ظروف صعبة، وسهل الله - تعالى - لهما الأمر وظروف المعيشة.

وبالنظر من زاوية أخرى فقد جعل الله - تعالى - مريم وابنها عليهما السلام آية للناس حيث إنَّ عيسى عليه السلام جاء بلا أب، ورغم أنَّ مريم العذراء كانت من بيت إيمان وتقوى، إلا أنه كان يسود مجتمع بني إسرائيل آنذاك من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، وكان لا بدَّ من إخفاء عيسى عليه السلام خوفاً من أن يقتلوه، لذا كانت عناية الله - تعالى - التي تعهدت مريم وابنها عليهما السلام بالرعاية، وكان المسكن الذي اختاره الله لهما والذي يُشعر بالأمان ويُسرِّي عن النفس، ويتوفَّر فيه المأكُل والمشرب.

وباعتبار كلِّ ما سبق فإنَّ القراءة الأولى ﴿رَبُّوهُ﴾ بفتح الرء تفيدُ تفسير الله تعالى هذا المكان لمريم وابنها عليهما السلام وكونه منبسطاً في ذاته ويجري الماء فيه تحت أشجار النخيل التي يمتاز ثمرها بأنَّه الغذاء الوحيد

(٨٦٤) انظر: الكشف ج ١/ص ٣١٣. والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج ٢/ص ٩٢٣.

(٨٦٥) انظر: لسان العرب ج ١٤/ص ٣٧٧. والتحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ٦٧.

(٨٦٦) انظر: بلاغة الكلمة ص ١١٤، وقد ورد مفصلاً في الموضع الأول من سورة (طه) ص ٣١.

الذي يغني عن كل ما سواه من الغذاء، وكون المكان مرتفعاً يجعله يُشعرُ بالأمان، من حيث ارتفاعه وكونه كاشفاً للمنطقة المحيطة به.

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿رُبُوبَةٌ﴾ ارتفاع المكان حيث يحتاج كل مكان مرتفع إلى جهد في صعوده، كما تفيد أن مريم - عليها السلام - كانت في شدةٍ ووضع صعب عليها بسبب حملها بعيسى من غير أب، على غير عادة البشر، حيث الضمة أثقل الحركات وتعبّر عن الثقل والصعوبة.

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - تعالى تعهد مريم وابنها عليهما السلام بالرعاية فحَقَّقَ عنهما ما بهما من شدةٍ، ويسر لهما (رُبُوبَةً) على رغم كونها مرتفعة وتحتاج جهداً لصعودها فإنها لارتفاعها تكشف ما حولها، وتُشعرُ بالأمان، كما أنها منبسطة في ذاتها، وكانت ذات ثمر وماء جارٍ، فكان هذا المكان الذي آواهما الله - تعالى - إليه، مهياً لحياتهما فيه من جميع النواحي، والله أعلم.

١٥ - قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٥٢﴾

[المؤمنون: ٥٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكوفيون^(٨٦٧) ﴿وَإِنْ﴾ بكسر الهمزة وتشديد النون.

٢ - قرأ ابن عامر ﴿وَأَنْ﴾ بفتح الهمزة وتخفيف النون.

٣ - قرأ الباقون ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الهمزة وتشديد النون^(٨٦٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إِنْ): بالكسر والتشديد على أحد أوجهها التي ذكرها لها السيوطي:

التأكيد والتحقيق وهو الغالب نحو: ﴿...إِنَّا إِلَهُكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس:

[١٦].

(٨٦٧) هم عاصم وحمة والكسائي وخلف. انظر: البدور الزاهرة ص ٩.

(٨٦٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٨. والبدور الزاهرة ص ٢١٧.

(أَنْ): بالفتح والتشديد ذكر لها السيوطي وجهين وأحد وجهيهما:
أن تكون حرف تأكيد، والأصح أنها فرع المكسورة، وأنها موصول
حرفي.

(أَنْ): بالفتح والتخفيف، ذكر لها السيوطي ثمانية أوجه ثالثها:
أن تكون مفسرة بمنزلة: (أي) (٨٦٩).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية فيها القول للرسول بأن أمتهم واحدة وربهم الذي يعبدونه
واحد سبحانه.

يقول البيضاوي: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ﴾ أي ولأن ﴿هَذِهِ﴾ والمعلل به
﴿فَأَقْضُوا﴾، أو واعلموا أن هذه، وقيل إنه معطوف على ﴿مَا تَقُولُونَ﴾ وقرأ
ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف. ﴿أَمَّتْكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾
ملتكم ملة واحدة أي متحدة في الاعتقاد وأصول الشرائع، أو جماعتكم
جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب ﴿أُمَّةٌ﴾ على
الحال. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَأَقْضُوا﴾ في شق العصا ومخالفة الكلمة (٨٧٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿وَإِنَّ﴾ استئناف الكلام بالقول للرسول إن أمتكم أمة واحدة،
أو عطف هذا القول لهم على ما سبق لهم من القول.

وتفيد قراءة ﴿وَأَنَّ﴾ معنى الصلة أي: هذه أمتكم أمة واحدة.

ويقول البغوي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ﴾ قرأ أهل الكوفة: «وإن»
بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الباقون بفتح الألف، وخفف ابن عامر

(٨٦٩) انظر: الإتيان ج ١/ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٨٧٠) تفسير البيضاوي ص ٤٦٥.

النون وجعل «إن» صلة، مجازة: وهذه ﴿أُمَّتُكُمْ﴾^(٨٧١).

بينما تفيد قراءة ﴿وَأَنَّ﴾ معنى اللام.

يقول أبو العباس بن يزيد المبرّد - رَحِمَهُ اللهُ -: «فأما قوله: ﴿وَلَإِنْ هَلَدِوْهُ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٥١) فإنما المعنى معنى اللام، والتقدير: ولأنّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة، وأنا ربُّكم فاعبدون»^(٨٧٢).

ويقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وتأكيد الكلام بحرف (إن) على القراءات كلها للردّ على المشركين من أمم الرسل أو المشركين المخاطبين بالقرآن»^(٨٧٣).

بالجمع بين القراءات الثلاث نجد في الآية استثناف القول للرسول وتأکید كونهم أُمَّةً واحدة، وَأَنَّ رَبُّهم واحدٌ يعبدونه، والله أعلم.

١٦ - قال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجُّرُونَ﴾^(٦٧) [المؤمنون: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع ﴿تَهَجُّرُونَ﴾ بضم التاء وكسر الجيم.

٢ - وقرأ الباقون ﴿تَهَجُّرُونَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم^(٨٧٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

هَجَرَ: «الهِجْرُ ضد الوصل وبابه نصر وهِجْرَاناً أيضاً والاسم الهِجْرَةُ والمُهَاجِرَةُ من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية والتَّهَاجُرُ التقاطع والهَجْرُ بالفتح أيضاً الهذيان»^(٨٧٥).

(٨٧١) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٢٠. وانظر: التحرير والتنوير مج ٩/ ١٨ / ص ٦٩ - ٧٠.

(٨٧٢) المقتضب ج ٢/ ص ٣٤٦.

(٨٧٣) التحرير والتنوير مج ٩/ ١٨ / ص ٧٠.

(٨٧٤) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢٩.

(٨٧٥) مختار الصحاح ص ٧٠٥. وانظر: لسان العرب ج ٥ / ص ٢٩٣.

ثالثاً: التفسير:

في الآيةِ تَقْرِيعٌ للمُشْرِكِينَ حيثُ يفتخرون بأنَّهم خُدَّامُ البيتِ وقُوَّامُه، ثمَّ يستكبرون عن آياتِ ربِّهم فيهجرونها ويهجرون نبيَّهم، ويسمرون حول الكعبةِ فيذكرون النبيَّ والقرآنَ بكلامٍ يطعنُ فيهما.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ» أي بالبيتِ الحرامِ أو بالحَرَمِ. والإضمارُ قبل الذِّكْرِ لاشتِهَارِ استكبارِهِم وافتخارِهِم بأنَّهم خُدَّامُه وقُوَّامُه أو بكتابي الذي عبر عنه آياتي على تضمينِ الاستكبارِ معنى التَّكْذِيبِ أو لأنَّ استكبارَهُم على المُسلمين قد حدثَ بسببِ استماعِهِ. ويجوزُ أنْ تتعلقِ الباءُ بقوله تعالى: ﴿سَمِرًا﴾ أي تسمرون بذكرِ القرآنِ وبالطَّعنِ فيه حيثُ كانوا يجتمعونَ حولَ البيتِ بالليلِ يسمرونَ وكانت عامَّةُ سمرِهِم ذَكَرَ القرآنَ وتسميته سِخْرًا وسِغْرًا. والسَّامِرُ كالحاضرِ في الإطلاقِ على الجمعِ وقيل هو مصدرٌ جاء على لفظِ الفاعلِ. وقرئ سَمَرًا وسُمَارًا. وأنْ تتعلقِ بقوله تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الهَجَرِ بالفتحِ بمعنى الهَذْيَانِ أو التَّرْكِ، أي: تهذون في شأنِ القرآنِ أو تتركونه، أو من (الهَجَرِ) بالضَّمِّ وهو الفُحْشُ ويؤيِّدُه قراءةُ (تهجرون) من أهَجَرَ في منطقِهِ إذا فحشَ فيه. وقرئ (تهجرون) من (هَجَرَ) الذي هو مبالغةٌ في (هَجَرَ) إذا هَذَى^(٨٧٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أنكم تهذون، وتأتون ما لا خيرَ فيه من الكلام.

يقول مكي بن أبي طالب - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَحِجَّةٌ مِنْ ضَمِّ الْجِيمِ أَنَّهُ جَعَلَهُ مِنَ الْهَجَرِ وَهُوَ الْهَذْيَانِ، وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ»^(٨٧٧).

(٨٧٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٤٢٤. وانظر: التفسير الوسيط ج٢/ ص ١٧٠٣ - ١٧٠٤.

(٨٧٧) الكشف ج٢/ص ١٢٩. وانظر: الموضح ج٢/ص ٨٩٧. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ ص ٥٣٥.

وأفادت قراءة ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أنكم تقاطعون آيات الله، وتعرضون عنها، ولا تؤمنون بها.

يقول ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «والوجه أن المراد أنكم كنتم تهْجُرُونَ آياتي وما يُتلى عليكم من القرآن فتعرضون عن سماعها والإيمان بها، وهو من الهَجْر بفتح الهاء وهو القطيعة. ويجوز أن يكون من الهَجْر أيضاً، فقد يُقال: هَجَرَ في مرضه إذا هَذَى يَهْجُرُ»^(٨٧٨).

بالجمع بين القراءتين ينكشف أمر الكفار الذين كانوا يتفاخرون بأنهم خُذَّامُ البيتِ وقَوَّامه، فقد كانوا يسمرون حوله ليطعنوا في آياتِ الله ورسوله بكلام لا خيرَ فيه كالهذيان، ثم يقاطعون رسولَ الله كما يقاطعون القرآن، فيهجرونه ولا يؤمنون به، فكانوا يسمرون بقول الفاحش والسوء، ويسمرون بما يجعلهم يهجون الإيمان بالقرآن، والله أعلم.

١٧ - قال تعالى: ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ حَرِجًا فَخَرَجَ رَيْكَ حَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

أولاً: القراءات:

- ١ - قرأ ابن عامر ﴿خَزَجًا فَخَرَجَ﴾ بفتح الخاء وإسكان الراء فيهما.
- ٢ - وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خَرَجًا فَخَرَجَ﴾ بفتح الخاء والراء وألف بعدها.
- ٣ - وقرأ الباقون ﴿خَرَجًا﴾ بفتح الخاء وإسكان الراء، و﴿فَخَرَجَ﴾ بفتح الخاء والراء وألف بعدها^(٨٧٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الخَزَجُ والخَرَجُ الإتاوة وجمع الخرج أَخْرَاجٌ وجمع الخراج أَخْرِجَةٌ

(٨٧٨) الموضح ج ٢/ص ٨٩٧. وانظر: الكشف ج ٢/ص ١٢٩. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج ١/ص ٥٣٥.

(٨٧٩) انظر: النشر ج ٢/ص ٣١٥.

كزمان وأزمنة وأخاريج أيضاً، قلت: وقرأ قوله تعالى ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَّبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، وأم تسألهم خراجاً، وكذا قوله تعالى ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤] وخراجاً^(٨٨٠).

«الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج»^(٨٨١).

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ (٧٢): «أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد أنك تسألهم على الإجابة أجراً ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّقْلَوْنَ﴾ يتكلفون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك ﴿فَخَرَّاجٌ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: ﴿وَيَنْقُورُ لَا أَشْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] أي: ليسوا يدعون الخلق طمعاً فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنما يدعون نصحاً لهم، وتحصيلاً لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال»^(٨٨٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿خَرْجًا فَخَرَّاجٌ﴾ مقارنة عطاء قليل منهم بعطاء الله - تعالى - والغرض توبيخ المشركين بسؤال يستنكر عليهم أنهم لا يؤمنون بسبب طلبك منهم قليل العطاء فعطاء ربك خير.

وتفيد قراءة ﴿خَرَّاجًا فَخَرَّاجٌ﴾ عدم إيمانهم خوفاً من إتاوة تلزمهم بها، فما جعله الله لك من الثواب خير.

بينما تفيد قراءة ﴿خَرْجًا﴾ و﴿فَخَرَّاجٌ﴾ خوف المشركين من سؤالك إياهم

(٨٨٠) مختار الصحاح ص ١٩٦.

(٨٨١) تفسير الرازي ج ٢٣/ ص ١١٢.

(٨٨٢) تفسير السعدي ص ٥٥٦.

عطاءً قليلاً فإنَّ ما جعله الله لك عطاءً كثيراً دائماً لك منه خيرٌ.

«لذلك حسنت قراءة من قرأ ﴿خَرَجًا فَرَجًا رَبِّكَ﴾ يعني أم تسألهم على هدايتهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير»^(٨٨٣).

يقول الخطيب التبريزي: «قيل: هما لغتان مثل قولك: الحصد والحصاد، وقيل: الخراج لما يخرج من الفرائض في الأموال، والخرج المصدر، ويقال: من قرأ بغير ألف أراد: جُعِلَ»^(٨٨٤)، ومن قرأ بالألف أراد: عطاء»^(٨٨٥)»^(٨٨٦).

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللهُ - : «﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ﴾ [المؤمنون: ٧٠] فهو انتقال إلى توبيخ آخر، وغير للخطاب لمناسبته ما بعده، وكان المراد أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة ﴿خَرَجًا﴾، أي: جعلاً، فلاجل ذلك لا يؤمنون بك، وقوله تعالى: ﴿فَرَجًا رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أي لا تسألهم ذلك فإن ما رزقك الله - تعالى - في الدنيا والعقبى خير من ذلك لسعته ودوامه وعدم تحمل منة الرجال فيه، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تعليل الحكم وتشريفه ﷺ ما لا يخفى.

و﴿الخرج﴾ بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخرج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله تعالى، وكذا على ما قيل من أنَّ الخرج ما تبرعت به والخرج ما لزمك واللزوم بالنسبة إليه تعالى إنما هو لفضل

(٨٨٣) تفسير الرازي ج ٢٣ / ص ١١٣.

(٨٨٤) «الجُعْلُ بالضم: ما جعل للإنسان من شيء على فعل». مختار الصحاح ص ١١٩.

(٨٨٥) «عطا: أعطاه مالا، والاسم: العطاء، واستغطى وتغطى: سأل العطاء، ورجل مِعْطَا: كثير الإغطاء، وامرأة مِعْطَاة أيضاً». مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٨٨٦) المُلَخَّص ص ٢٢٦.

وعده ﷻ، وقيل الخرج أعم من الخراج وسأوى بينهما بعضهم^(٨٨٧).

بالجمع بين القراءات يتبين أن الله - تعالى - يُوخِّشُ المشركين ويستنكرُ عليهم عدم إيمانهم بالتعريض بخلهم، وَيُخَفِّفُ عن نبيه وحبيه محمد ﷺ بأنه لا يطلبُ منهم القليل من العطاء ولا الكثير ولا يلزمهم بشيءٍ من ذلك مقابل دعوتهم للإيمان لأنه ﷻ لا يرجو منهم شيئاً بل يرجو العطاء الكثير الدائم من ربه - سبحانه - والذي هو خيرٌ من عطائهم، والله أعلم.

١٨ - قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٥) [المؤمنون: ٧٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ دوري الكسائي ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾ بالإمالة.

٢ - قرأ الباقون ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾ بغير إمالة^(٨٨٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«طغأ: طَغَا يَطْغَى بفتح الغين فيهما ويطغُو طُغْيَانًا وطُغْوَانًا أي: جاوز الحد، وكلَّ مجاوز حدّه في العصيان طَاغٍ، وطَغِيَ بالكسر مثله، وأطغاه المال: جعله طَاغِيًا»^(٨٨٩).

ثالثاً: التفسير:

يُبينُ الله - سبحانه وتعالى - طبيعة المشركين التي تأبى عليهم إلا التمادي في الكفر والطغيان ما داموا في رغد العيش، وهم يتملقون النبي ﷺ ليدعو الله لهم بأن يكشف ما بهم من ضرٍّ بسبب القحط، فإذا عادوا لرغد العيش عادوا لاستكبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ.

يقول النسفي - رحمه الله -: «والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو

(٨٨٧) روح المعاني ج ١٨/ص ٨٠. وانظر: تفسير الفيضاني ص ٤٦٧.

(٨٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٩.

(٨٨٩) مختار الصحاح ص ٤٠٣.

القحط الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب ﴿لَلْجَوِّ﴾ أي لتمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين، ولذهب عنهم هذا التعلق بين يديه» (٨٩٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾ - بالإمالة - ميل المشركين عن الحق بظلمهم وكفرهم، واستكبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ.

وتفيد قراءة ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾ - بالألف المدية بغير إمالة - استمرارهم في ضلالهم، ومداومتهم على الكفر والعناد ومعاداة النبي ﷺ.

يقول البقاعي: «أي عادلون متحنون مائلون منحرفون في سائر أحوالهم سائرون على غير منهج أصلاً، بل خبط عشواء لأنه يجوز أن يراد مطلق الصراط وأن يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة.

ولما وُصفوا بالميل، وكان ربما قال قائل: إن جوارهم المذكور آنفاً سلوك في الصراط، بين ألا اعتداد به لعروضه فقال: ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ﴾ أي عاملناهم معاملة المرحوم في إزالة ضرره وهو معنى ﴿وَكَشَفْنَا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿مَا بِهِمْ مِن شَرٍّ﴾ وهو الذي عرّض جوارهم بسببه ﴿لَلْجَوِّ﴾ أي تمادوا تمادياً عظيماً ﴿فِي ظُغْيَانِهِمْ﴾ الذي كانوا عليه قبل الجوار وهو إفراطهم في منابذة الحق والاستقامة» (٨٩١).

بالجمع بين القراءتين تظهر طبيعة المشركين التي تأبى إلا الميل والانحراف عن الحق، والاستمرار والتماذي في الضلال وعداوة النبي، ولكون هذه طبيعتهم فهم يتحولون عنها فيتملقون النبي ﷺ لإصابتهم بالقحط، فإذا رحمهم الله فكشف عنهم ما أصابهم من ضرر فسيرجعون لطبيعتهم الدائمة، والله أعلم.

(٨٩٠) تفسير النسفي ج ٣ / ص ١٨٦.

(٨٩١) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢١٤ - ٢١٥.

١٩ - قال تعالى: ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ

﴾ [المؤمنون: ٨٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أَءِذَا، أَءِنَّا﴾:

١ - قرأ نافع، والكسائي، ويعقوب ﴿أَءِذَا، إِنَّا﴾ بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَءِذَا، أَءِنَّا﴾ بالاستفهام فيهما^(٨٩٢).

القراءات في ﴿مِتْنَا﴾:

١ - قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿مِتْنَا﴾ بكسر الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿مِتْنَا﴾ بضم الميم^(٨٩٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(موت): المَوْتُ ضدُّ الحياة، ماتَ يَمُوتُ وَيَمَاتُ أيضاً فهو مَيِّتٌ وَمَيِّتٌ مُشَدِّدٌ وَمُخَفَّفٌ، وَقَوْمٌ مَوْتَى وَأَمْوَاتٌ وَمَيِّتُونَ وَمَيِّتُونَ مُشَدِّدٌ وَمُخَفَّفٌ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، قال الله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ ولم يقل مَيِّتَةً، والمَيِّتَةُ ما لم تلحقه الذِّكَاةُ^(٨٩٤) والمَوَاتُ بالضم: الموت، والمَوَاتُ بالفتح: ما لا روح فيه»^(٨٩٥).

ثالثاً: التفسير:

تجسّد هذه الآية موقف الكفار من البعث، وإنكارهم له واستبعادهم إياه.

(٨٩٢) البدور الزاهرة ص ٢١٨.

(٨٩٣) انظر: في هامش القرآن ص ٣٤٧.

(٨٩٤) «الذكاة: الذبح». لسان العرب ج ١٤ ص ٣٥٦.

(٨٩٥) مختار الصحاح ص ٦٤٢.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: «يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، ولا تدبروا ما احتج به عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كل ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم: (قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا) يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من لحومنا (أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ) يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن» (٨٩٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿أَإِذَا، إِنَّا﴾ الاستفهام الإنكاري للبعث، والتعجب من إمكانية حدوثه.

وتفيد قراءة ﴿أَإِذَا، أَئِنَّا﴾ إنكار البعث واستبعادهم له.

بينما تفيد قراءة ﴿مِنَّا﴾ مفارقة الروح للجسد حيث يصبح الجسد جثة لا روح فيها.

كما تفيد قراءة ﴿مُتْنًا﴾ حدوث الموت وحدث البلى بعده .

يقول البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: «ولما كان معنى الاستفهام الإنكاري النفي، حسن بعده كل الحسن قوله: ﴿بَل﴾ وعدل إلى أسلوب الغيبة للإيذان بالغضب بقوله: ﴿قَالُوا﴾ أي هؤلاء العرب ﴿وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ من قوم نوح ومن بعده؛ ثم استأنف قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي منكرين للبعث متعجبين من أمره: ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ثم أكدوا الإنكار بقولهم: ﴿أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي من باعث ما» (٨٩٧).

بالجمع بين القراءات الأربع يُخبرُ الله - تعالى - عن الكفار إنكارهم للبعث، وتأكيده إنكار البعث بأسلوب الاستفهام الإنكاري، فهم يُنكرون البعث

(٨٩٦) تفسير الطبري ج ١٨ / ص ٥٥.

(٨٩٧) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢١٧.

ويتعجبون منه حيث يُنكرون إعادة الروح إلى الجسد بعدما أصبح جثة لا روح فيها ويتعجبون من ذلك، وهم يُنكرون البعث، ويستبعدون عودة الحياة إلى الجسد بعد ما فارقت فأصبح بالياً، والله أعلم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٥]

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ :

١ - قرأ البصريان ﴿سيقولون الله﴾ بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيها ورفع الهاء من الجلالة.

٢ - وقرأ الباقون ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ بغير ألف وخفض الهاء (٨٩٨).

القراءات في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ :

١ - قرأ حفص والأخوان وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ - وقرأ الباقون ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال (٨٩٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«ذكر: الذَّكْرُ الحِفْظُ للشيء تَذَكُّرُهُ، والذَّكْرُ أيضاً: الشيء يجري على اللسان، والذَّكْرُ جَزْيُ الشيء على لسانك» (٩٠٠).

ثالثاً: التفسير:

في الآية تبيكت للكفار؛ لكونهم على رغم أنهم يعلمون علماً يقينياً أن الله هو خالق السماوات والأرض، إلا أنهم يتجاهلون ذلك وينسونه بعبادة الأصنام فيشركون به سبحانه.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا» من

(٨٩٨) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٩.

(٨٩٩) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٨.

(٩٠٠) لسان العرب ج ٤ / ص ٣٥٦.

المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أي إن كنتم تعلمون شيئا فأخبروني به، فإن ذلك كافٍ في الجواب. وفيه من المبالغة في وضوح الأمر وفي تجهيلهم ما لا يخفى أو إن كنتم تعلمون ذلك فأخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهولهم ولذلك أخبر بجوابهم قبل أن يجيبوا حيث قيل: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأن بديهته العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها. ﴿قُلْ﴾ أي عند اعترافهم بذلك تبكيئاً لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥) أي أتعلمون ذلك أو تقولون ذلك فلا تتذكرون أن من فطر الأرض وما فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانياً فإن البدء ليس بأهون من الإعادة بل الأمر بالعكس في قياس العقول. وقرئ تتذكرون على الأصل (٩٠١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد تكرر قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في هذه الآية: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥) وفي الآيتين ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ﴾ (٨٧)، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩).

ففي الآية الأولى جاء الجواب في قراءة الجمهور موافق للفظ السؤال، وفي قراءة البصريين موافق لمعنى السؤال.

يقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «والاستفهام مستعمل مجازاً في التقرير. والتقرير هنا مراد به لازم معناه، وهو تبكيئ المشركين، وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يفضي إلى إبطال معتقدهم الشرك، فهو مستعمل في معناه الكنائي مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكنائي.

ولكونه مراداً به الإلجاء إلى الإقرار كان الجواب عنه بما يريده السائل من إقرار المسؤول محققاً لا محييص عنه، إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلذلك لم ينتظر السائل جوابهم وبادرهم الجواب عنه بنفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تبكيئاً لهم، لأن الكلام مسوق مساق إبلاغ الحجة مقدرة فيه

محاورة وليس هو محاورة حقيقية. وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلم واحد. فهؤلاء القوم المقدر إلجاؤهم إلى الجواب سواء أنصفوا فأقروا حقية الجواب أم أنكروا وكابروا فقد حصل المقصود من دمغهم بالحجة. وهذا أسلوب متبع في القرآن، فتارة لا يذكر جواباً منهم كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَ... قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، وتارة يذكر ما سيجيبون به بعد ذكر السؤال منسوباً إليهم أنهم يجيبون به ثم ينتقل إلى ما يترتب عليه من توبيخ ونحوه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥] (٩٠٢).

أما في الآيتين الأخريين فالتوجيه كالاتي:

تفيد قراءة ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ المبادرة بالجواب باللفظ بما يتفق مع السؤال، وذلك لأنهم ملزمون بقوله، لذا فقد أجابوا به إلزاماً.

بينما تفيد قراءة ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إجابة المشركين بما يقتضيه معنى السؤال، حيث سيتكلمون ويجيبون: هي لله.

يقول ابن الجوزي: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿لِلَّهِ﴾ بغير ألف هاهنا، وفي اللذين بعدها بألف. وقرأ الباقر: ﴿لِلَّهِ﴾ في المواضع الثلاثة. وقراءة أبي عمرو على القياس. قال الزجاج: ومن قرأ: ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ فهو جواب السؤال، ومن قرأ ﴿لِلَّهِ﴾ فجيء أيضاً، لأنك إذا قلت: مَنْ صاحب هذه الدار؟ فقول: لزيد، جاز، لأن معنى (مَنْ صاحب هذه الدار؟): لمن هي؟ وقال أبو علي الفارسي: من قرأ ﴿لِلَّهِ﴾ في الموضعين الآخرين، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ (٩٠٣).

(٩٠٢) التحرير والتنوير ج ٤ / ص ١٥٠.

(٩٠٣) زاد المسير مج ٣/ص ٢٦٩. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج ٢/ ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

أما قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فتفيد عدم تذكُّرهم لما فيه خفاء الدلالة وما يحتاج منهم التأمل والتفكير فيه من مخلوقات الله في الكون ولو لوقتٍ قصير.

بينما قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ تفيد عدم تذكُّرهم ما هو ظاهر الدلالة في هذا الكون مثل الظواهر الكونية الواضحة والأحداث العظيمة ذات الأثر الطويل، كما لا يتذكَّرون ما يعلمون تفاصيله من مخلوقات الله في الكون المحيط بهم.

يقول الطاهر بن عاشور: «ووقعت جملة ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ جواباً لإقرارهم واعترافهم بأنها لله. والاستفهام إنكاري إنكار لعدم تذكُّرهم بذلك، أي تفتن عقولهم لدلالة ذلك على انفراده تعالى بالإلهية. وخصَّ بالتذكر لما في بعضه من خفاء الدلالة والاحتياج إلى النظر»^(٩٠٤).

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: «إنَّ القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلا لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال:

إنَّه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحَدَّث أَقْلٌ ممَّا لم يحذف منه، وأنَّ زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحَدَّث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل»^(٩٠٥).

بالجمع بين القراءتين يظهر في الآية توبيخ من الله - تعالى - للمشرِّكين حيث يعلمون أنَّ الله - تعالى - هو خالق السموات والأرض ومن فيهن، ولكنَّهم على رغم ذلك يُشركون به سبحانه، وقد فرغت عقولهم عن تذكُّر أيِّ مما في الكون، سواء أكانَ ظاهر الدلالة أم خفيها، وسواء أكانَ ذا أثر قريب أم بعيد، لذا فإنَّ الله تعالى - يدمغهم بالحجَّة ويلزمهم الجواب، والله أعلم.

(٩٠٤) التحرير والتنوير مج ٩ / ج ١٨ / ص ١٠٩.

(٩٠٥) بلاغة الكلمة ص ١١.

٢١ - قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ رويس ﴿يَدِيهِ﴾ بحذف الصلة من الهاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَدِيهِ﴾ بإثبات الصلة من الهاء^(٩٠٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يد: اليد أصلها يَدْيٌ على فعل ساكنة العين؛ لأن جمعها أيْدٍ وَيْدِي^(٩٠٧).

الْيَدُ النُّعْمَةُ، والْيَدُ الْقُوَّةُ، والْيَدُ الْقُدْرَةُ، والْيَدُ الْمِلْكُ، والْيَدُ السُّلْطَانُ، والْيَدُ الطَّاعَةُ، والْيَدُ الْجَمَاعَةُ^(٩٠٨).

ثالثاً: التفسير:

تثبت هذه الآية لله ديمومة الملكوت والقدرة وتنفيهما عن كل ما سواه ﷻ.

يقول الألوسي: ﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر؛ وصيغة الملكوت للمبالغة في الملك فالمراد به الملك الشامل الظاهر، وقيل: المالكية والمدبرية، وقيل: الخزائن ﴿وَهُوَ يُحْيِيهِ﴾ أي يمنع من يشاء ممن يشاء ﴿وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ﴾ ولا يمنع أحد منه جل وعلا أحداً، وتعدية الفعل بعلى لتضمينه معنى النصر أو الاستعلاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تكرير لاستهانتهم وتجهيلهم على ما مر^(٩٠٩).

(٩٠٦) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٨.

(٩٠٧) انظر: مختار الصحاح ص ٧٤٥.

(٩٠٨) انظر: لسان العرب ج ١٥ ص ٤٩٣.

(٩٠٩) تفسير الألوسي ج ١٨ ص ٨٧.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يَدِيهِ﴾ بالاجتزاء بالكسرة بغير صلة ملكوت الله - تعالى - لكل ما لم يذكر، وآيات قدرة الله الخفية، وانتفاء فعل الملكوت والقدرة عن كل أحد سواه تعالى بما يفيد العموم مع الاختصار.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وبني فعل ﴿يُجَاوِزُ عَلَيْهِ﴾ للمجهول لقصد انتفاء الفعل عن كل فاعل فيفيد العموم مع الاختصار.

ولما كان تصرف الله هذا خفياً يحتاج إلى تدبر العقل لإدراكه عُقب الاستفهام بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كما عَقَّبَ الاستفهام الأول بمثله حثاً لهم على علمه والاهتداء إليه» (٩١٠).

وتفيد قراءة ﴿يَدِيهِ﴾ بإثبات الصلة من الهاء ملكوت الله لكل ما ذُكِرَ من آيات قدرة الله - تعالى - وإثبات ملكوته لكل شيء بتفاصيله وجزئياته، وديمومة ملكوته ﷻ.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» ممّا ذكر وما لم يذكر أي ملكه التام القاهر وقيل: خزائنه» (٩١١).

بالجمع بين القراءتين يتضح أنّ ملكوت الله - تعالى - شامل لكل شيء ممّا ذُكِرَ وممّا لم يُذكر، كما تتضح دلائل قدرته الشاملة المطلقة بما يفيد العموم مع الاختصار، بديمومة وخلود، والله أعلم.

٢٢ - قال تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ برفع الميم.

(٩١٠) التحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ١١٢.

(٩١١) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٤٢٩.

٢ - وقرأ الباقون ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بكسر الميم (٩١٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«عَلِمَ الشيء بالكسر يعلمه عِلْماً: عَرَفَهُ» (٩١٣).

ثالثاً: التفسير:

تقرّر هذه الآية نفى الشريك عن الله، وذلك باتصاف الله - ﷻ - بكمال العلم وشموله، فقد علا وعَظُم سبحانه عما يشركونه به.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: «قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت ببديع أشكالها، أنّ المدبر لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة، ولهذا نبّه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿فَعَلَى﴾ أي: ارتفع وعظم، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله» (٩١٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أنّ الله المُنَزَّه عن الولد والشريك يَتَّصِفُ بكمال العلم وشموله، فبعد تنزيهه سبحانه عن الولد والشريك، استأنف الكلام بوصفه تعالى بالعلم الكامل الشامل، بما يُثَبِّتُ له هذه الصفة على الدوام؛ لتعبيره بالاسم الذي يفيد الثبوت (٩١٥).

(٩١٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٩.

(٩١٣) مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٩١٤) تفسير السعدي ص ٥٥٨.

(٩١٥) انظر: التعبير القرآني ص ٢٢.

بينما تفيّد القراءة الثانية ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ تنزيه الله الذي يتّصفُ بكمال العلم وشموله عن الولد والشريك، ليزول التوهم بأنّه قد يكون عدم علم من كلّ إله من الآلهة المتعدّدة بما يملكه الإله الآخر فلا يحدثُ علوٌ من أحدهما على الآخر فوصف نفسه سبحانه بكمال العلم وشموله لدفع مثل هذا التوهم.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وإنما أتبع الاستدلال على انتفاء الشريك بقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ المراد به عموم العلم، وإحاطته بكل شيء كما أفادته لام التعريف في ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ من الاستغراق الحقيقي، أي عالم كل مغيب وكل ظاهر، لدفع توهم أن يقال: إنّ استقلال كلّ إله بما خلق قد لا يفضي إلى علو بعض الآلهة على بعض، لجواز أن لا يعلم أحد من الآلهة بمقدار تفاوت ملكوته على ملكوت الآخر فلا يحصل علو بعضهم على بعض لاشتغال كل إله بملكوته. ووجه الدفع أن الإله إذا جاز أن يكون غير خالق لطائفة من المخلوقات التي خلقها غيره لثلا تتداخل القُدَر في مقدورات واحدة لا يجوز أن يكون غير عالم بما خلقه غيره لأن صفات العلم لا تتداخل، فإذا علم أحد الآلهة مقدار ملكوت شركائه فالعالم بأشدية ملكوته يعلو على من هو دونه في الملكوت. فظهر أن قوله ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ من تمام الاستدلال على انتفاء الشركاء، ولذلك فرع عنه بالفاء قوله ﴿فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وخلف ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ برفع ﴿عَالِمٌ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف وهو من الحذف الشائع في الاستعمال إذا أريد الإخبار عن شيء بعد أن أجريت عليه أخبار أو صفات.

وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب بجر ﴿عَالِمٌ﴾ على الوصف لاسم الجلالة في قوله ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩).

و(ما) مصدرية. والمعنى: فتعالى عن إشراكهم، أي هو أعظم من أن

يكون موصوفاً بكونه مشاركاً في وصفه العظيم، أي هو منزّه عن ذلك» (٩١٦).

بالجمع بين القراءتين ننزه الله الذي يتّصف بكمال العلم وشموله عن الشريك والولد، وليزول التوهم بأنّه قد يكون عدم علم منه تعالى بما يملكه إله آخر فلا يحدث علوّ من أحدهما على الآخر لعدم علم أحدهما بالآخر، وصف نفسه سبحانه بكمال العلم وشموله لدفع مثل هذا التوهم، وليؤكد سبحانه بأنّه وحده صاحب الملكوت المتفرّد به وبشمولية العلم وديمومته له سبحانه في ملكوته.

٢٣ - قال تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿أَنْ يَحْضُرُونِي﴾ بإثبات ياء المتكلم.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ بحذف ياء المتكلم (٩١٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«حضر: الحُضُورُ نقيض المَغِيبِ والغَيْبَةِ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُوراً وَحِضَارَةً» (٩١٨).

ثالثاً: التفسير:

هذا أمرٌ من الله لنبِيِّهِ ﷺ بالتعوذ به - سبحانه وتعالى - من شياطين الإنس والجن.

يقول أبو السعود رحمه الله -: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أمر ﷺ بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمر بالعوذ به من همزاتهم؛

(٩١٦) التحرير والتنوير مج ٩/ ج ١١٦/ ١١٧. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج ٢/ ص ٩١٨.

(٩١٧) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٨.

(٩١٨) لسان العرب ج ٤/ ص ٢٢٩.

للمبالغة في التحذير من مُلابستهم. وإعادة الفعل مع تكرير النداء، لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به، وعرض نهاية الابتهاال في الاستدعاء، أي: أعوذ بك من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال. وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة^(٩١٩) رحمته الله لأنها أخرى الأحوال بالاستعاذة منها^(٩٢٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿أَنْ يَحْضُرُونِي﴾ التعوذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم، بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه.

يقول الزمخشري: «أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرر لندائه، وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً ويحوموا حوله»^(٩٢١).

ويقول الطاهر بن عاشور في بيان معنى الآية: «أو يكون أمره بالتعوذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم. قال في «الشفاء»: الأمة مجتمعة (أي مجمعة) على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس»^(٩٢٢).

وتفيد قراءة ﴿أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ الاستعاذة بالله من أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً ما كان من جميع الشؤون في جميع الأوقات.

يقول الشنقيطي: «والظاهر في قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً

(٩١٩) هو عكرمة القرشي الهاشمي، أبو عبد الله المدني، مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، توفي سنة ١٠٤هـ وقيل بعد ذلك بالمدينة. انظر: الأعلام ج ٤/ ص ٢٤٤.

(٩٢٠) تفسير أبي السعود ج ٤/ ص ٤٣١.

(٩٢١) الكشف ج ٣ / ص ٤٢. وانظر: تفسير النسفي ج ٣/ ص ١٩٠.

(٩٢٢) التحرير والتنوير مج ٩/ ج ١٨/ ص ١٢١.

ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] أم كان عند حضور الموت، أم غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات. والعلم عند الله تعالى» (٩٢٣).

ويقول الطاهر بن عاشور: «وأما قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ ﴿٩٨﴾ فهو تعوذ من قربهم؛ لأنهم إذا اقتربوا منه لحقه أذاهم».

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله - تعالى - يأمر نبيه ﷺ أن يعود بالله من شياطين الإنس والجن بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرر لندائه، ليحصل له استمرار السلامة وديمومتها من أن يحضروه في أي أمر من أموره في أي وقت من الأوقات، والله أعلم.

٢٤ - قال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿٩٩﴾ [المؤمنون: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي﴾ بإثبات ياء المتكلم.

٢ - قرأ الباقون ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ بحذف ياء المتكلم (٩٢٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(رجع): رَجَعَ الشيء بنفسه من باب جلس، وَرَجَعَهُ غيره من باب قطع وهذيل تقول أَرْجَعَهُ غيره بالألف، وقوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبا: ٣١] أي: يتلاومون والرجعى الرجوع وكذا المَرْجِعُ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحِيمُ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وهو شاذ لأن المصادر

(٩٢٣) أضواء البيان ج ٥ / ص ٨١٩.

(٩٢٤) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٨.

من فَعَلَ يَفْعَلُ إنما تكون بالفتح وفلان يُؤمن بالرَّجْعَةِ أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت» (٩٢٥).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية تُصوِّرُ حالَ من تشغله أمور دنياه عن آخرته، فيفاجأ بملائكة الموتِ تَنزِعُ روحه من جسده، فيتمنى رجوعه للدنيا.

يقول الطبري في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین نزول أمر الله به، قال: - لعظيم ما يعاین مما يَقدِّم عليه من عذاب الله تنذما على ما فات، وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى الدنيا فردوني إليها، ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ يقول: كي أعمل صالحاً فيما تركت قبل اليوم من العمل، فضيعته، وفرطت فيه» (٩٢٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي﴾ لجوء الكافر إلى ربِّه وهو في أشدِّ حالات ضعفه وخوفه وندمه، حين يعلم أنَّ حقيقة وجوده وحياته في الدنيا انتهت، وأنَّه سيحاسب على ما اقترفت يداه.

يقول الشهيد سيّد قطب: «إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال. وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان!» (٩٢٧).

ويقول الشوكاني: «والمراد بمجيء الموت: مجيء علاماته ﴿قَالَ رَبِّ

(٩٢٥) مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٩٢٦) تفسير الطبري ج ١٨ / ص ٦٠.

(٩٢٧) في ظلال القرآن ج ٤ / ص ٢٤٨٠. وانظر: تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٢٨. وزاد المسير مج ٣ / ص ٢٧٠.

أَرْجِعُونِ ﴿ أَي قال ذلك الواحد الذي حضره الموت تحسراً وتحزناً على ما فرط منه: رب ارجعون، أي ردوني إلى الدنيا، وإنما قال: ارجعون بضمير الجماعة لتعظيم المخاطب. وقيل: هو على معنى تكرير الفعل، أي: ارجعني ارجعني ارجعني، ومثله قوله: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [ق: ٢٤]... معناه ألقى ألقى... وقيل: إنهم لما استغاثوا بالله قال قائلهم: رب، ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال: ﴿ ارجعون لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾ أي: أعمل عملاً صالحاً في الدنيا إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير^(٩٢٨).

كما تفيد ﴿ رَبِّ ارجِعُونِ ﴾ تمنّي الرجوع بسرعة لعمل الأعمال الصالحة فقط، وقصر هدف الرجوع لأجلها فقط ولو لمدة قصيرة، حيث الاجتزاء بالكسرة يفيد الاجتزاء في الكلام^(٩٢٩).

بالجمع بين القراءتين يتضح في الآية تحذير لكل من كان طويل الأمل في هذه الحياة، فظن أن الموت سيمهله إلى أن يحقق آماله وطموحاته الدنيوية ثم يعمل لأخراه، فإذا الموت يأتي بغتة حيث لا يبقي أمامه متسع من الوقت لأي شيء، ولا يستطيع الرجوع للعالم ولو التجأ إلى الله، وابتهل إليه بالدعاء والرجاء لأجل العمل الصالح فقط، والله أعلم.

٢٥ - قال تعالى: ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكوفيون^(٩٣٠) ويعقوب ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ ﴾ بإسكان الياء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ ﴾ بفتح الياء^(٩٣١).

(٩٢٨) فتح القدير ص ١١٩٩. (بتصرف).

(٩٢٩) انظر: التعبير القرآني ص ٨٠.

(٩٣٠) هم عاصم وحزمة والكسائي وخلف.

(٩٣١) انظر: الشرح ج ٢/ص ٣٣٠. والبدور الزاهرة ص ٢١٨.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(لعل): لَعَلَّ كلمة شك وأصلها عَلَّ واللام في أولها زائدة ويُقال لَعَلِّي أفعل وَلَعَلَّنِي أفعل بمعنى» (٩٣٢).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية تعليلٌ لطلب الرجوع إلى الدنيا عند الموت، وذلك رجاء العمل الصالح فيها وتدارك ما فات بسبب الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

يقول أبو السعود رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي في الإيمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الأعمال الصالحة بأن يقول لَعَلِّي أومنُ فأعمل الخ، للإشعار بأنه أمرٌ مقررٌ الوقوع غني عن الإخبار بوقوعه قطعاً فضلاً عن كونه مرجو الوقوع أي لعلِّي أعمل في الإيمان الذي أتى به البتة عملاً صالحاً وقيل: فيما تركته من المال أو من الدنيا» (٩٣٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ﴾ بإسكان الياء التجاء الكافر إلى الله وخشيته وخوفه منه بعد أن انكشفت الغشاوة التي كانت تغطي عينيه فيها ورأى مقعده الأخروي من النار.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «وذلك أن المقام يستدعي إبراز ياء المتكلم، لأنه مقام التجاء وخوف وخشية» (٩٣٤).

كما تفيد ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ﴾ بفتح الياء السرعة في تعليل الغرض من طلب الرجوع للدنيا.

يقول الفخر الرازي: «وجملة الترجي في موضع العلة لمضمون

(٩٣٢) مختار الصحاح ص ٦١٢.

(٩٣٣) تفسير أبي السعود ج ٤/ص ٤٣٢.

(٩٣٤) التعبير القرآني ص ٨٤، وقد ذكر سابقاً، انظر: ص ٨٥.

﴿أَرْجُونَ﴾ (٩٣٥).

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الكافر يلجأ إلى الله عند موته، ومعرفة مقامه في الآخرة، فيطلب منه ويرجوه أن يُرجعه للعراة معلاً بسرعة سبب طلبه برجاء العمل الصالح في الدنيا وتدارك ما فاتته، والله أعلم.

٢٦ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ رويس، وأبو عمرو ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإدغام الباءين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإظهار الباءين (٩٣٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(نسب): التَّسَبُّ واحد الأنساب، والتَّسَبُّ بكسر النون وضمها مثله، ورجلٌ نَسَابَةٌ أي: عالمٌ بالأنساب، والهاء للمبالغة في المدح، وفلان يُنَاسِبُ فلاناً فهو نَسِيبُهُ أي: قريبه، وبينهما مُنَاسَبَةٌ أي مُشاركة، ونَسَبْتُ الرجل: ذكرتُ نسبه، وبابه نَصَرَ، ونَسَبَةٌ أيضاً بالكسر، وانتَسَبَ إليك أي: ادَّعى أنَّه نَسِيبُكَ» (٩٣٧).

ثالثاً: التفسير:

تحدّرنا هذه الآية من هول يوم القيامة حيث لا تُرتجى قرابة ولا ينفع نسب.

يقول ابن كثير: «يخبر تعالى أنَّه إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والدٌ لولده، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا

(٩٣٥) التحرير والتنوير مج ٩/ج ١٨/ص ١٢٣.

(٩٣٦) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٩.

(٩٣٧) مختار الصحاح ص ٦٨٨.

﴿يُصْرَفُونَ﴾ [المعارج: ١٠ - ١١] أي: لا يسأل القريب قريبه وهو ينصره، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] (٩٣٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة الجمهور ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإظهار الباءين على الأصل ثبوت النسب في الحقيقة يوم القيامة لأن الله إذا أعاد الخلائق فالأنساب ثابتة، لأن المعاد هو الولد والوالد.

بينما تفيد القراءة الأخرى ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإدغام الباءين نسيان الرجل ولده ووالده، بمعنى انشغال كل إنسان بنفسه عن أقرب الناس إليه، فلا تفاخر بالأنساب ولا تعاطف بينها ولا تراحم مهما كانت شدة قرابتها، وذلك كناية عن الخوف الشديد الذي يشغل كل إنسان بنفسه.

يقول الفخر الرازي - رحمه الله - في معنى القراءتين:

«أما قوله: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فمن المعلوم أنه سبحانه إذا أعادهم فالأنساب ثابتة لأن المعاد هو الولد والوالد، فلا يجوز أن يكون المراد نفي النسب في الحقيقة بل المراد نفي حكمه. وذلك من وجوه:

أحدها: أن من حق النسب أن يقع به التعاطف والتراحم، كما يقال في الدنيا: أسألك بالله والرحم أن تفعل كذا. فنفي سبحانه ذلك من حيث إن كل أحد من أهل النار يكون مشغولاً بنفسه، وذلك يمنعه من الالتفات إلى النسب، وهكذا الحال في الدنيا لأن الرجل متى وقع في الأمر العظيم من الآلام ينسى ولده ووالده.

وثانيها: أنَّ من حقِّ النسبِ أن يحصلَ به التفاخرُ في الدنيا، وأن يسألَ بعضهم عن كيفية نسبِ البعض، وفي الآخرة لا يتفرغون لذلك.

وثالثها: أن يجعل ذلك استعارة عن الخوف الشديد فكل امرئ مشغول بنفسه عن بنيه وأخيه وفصيلته التي تؤويه فكيف بسائر الأمور» (٩٣٩).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الأنساب يوم القيامة تبقى في الحقيقة ويستفي حكمها من تعاطفٍ وتراحمٍ وتفاخر، فالله يبعثُ الناس يوم القيامة ولداً ووالداً، لكنَّ أهوال القيامة تبعثُ على الخوف الشديد الذي يُنسي الرجل أقرب الناس إليه؛ لانشغاله بنفسه وماله عما سواهما، والله أعلم.

٢٧ - قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ

﴿المؤمنون: ١٠٦﴾.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿شَقَاوُنَا﴾ بفتح الشين والقاف وألف بعدها.

٢ - وقرأ الباقون ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف (٩٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(شقا): الشَّقَاءُ والشَّقَاوَةُ بالفتح ضد السعادة وقرأ قتادة ﴿شَقَاوُنَا﴾ بالكسر وهي لغة وقد شَقِيَ شَقَاءً وشَقَاوَةً بالكسر أيضاً وأشَقَاهُ الله فهو شَقِيٌّ بَيْنَ الشَّقْوَةِ بالكسر وفتحته لغة» (٩٤١).

ثالثاً: التفسير:

لا يملك الكافر يوم القيامة إلا الندم وكلمات الاعتذار التي لا تنفعهم

(٩٣٩) تفسير الرازي ج ٢٣/ص ١٢١ - ١٢٢.

(٩٤٠) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٢٩.

(٩٤١) مختار الصحاح ص ٣٥٤.

ولا تغني عنهم شيئاً.

يقول السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ في عملهم، وإن كانوا يدرون أنهم ظالمون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه^(٩٤٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بدون ألف حدوث الشقوة لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها، فكان حالهم الشقاء في الدنيا، وهو شقاء لا يُذكر بالنسبة لشقاء الآخرة.

وتفيد قراءة ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بالألف ديمومة الشقاوة لهم في الدارين حيث إنَّ الشقوة الحاصلة لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها تبعتهم في أخراهم حيث ألكوا إلى هذا المصير المخزي فلازمتهم الشقاوة في الدار الآخرة، وهذه هي الشقاوة العظمى.

يقول الطاهر بن عاشور في معنى القراءتين: «مُثَلَّتْ حالة اختيارهم لأسباب الشقوة بدل أسباب السعادة بحالة غائرة بين السعادة والشقاوة على نفوسهم. وإضافة الشقوة إلى ضميرهم لاختصاصها بهم حين صارت غالبية عليهم.

والشقوة بكسر الشين وسكون القاف في قراءة الجمهور. وهي زنة الهيئة من الشقاء. وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين وبألف بعد القاف وهو مصدر على صيغة الفعالة مثل الجزالة والسذاجة. وزيادة قوله ﴿قَوْمًا﴾ على أنَّ الضلالة من شيمتهم، وبها قوام قوميتهم^(٩٤٣).

ويقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ ملكتنا من قولك

(٩٤٢) تفسير السعدي ص ٥٦٠.

(٩٤٣) التحرير والتنوير مج ٩/١٨ ص ١٢٨.

غلبني فلان على كذا إذا أخذه منك، والشقاوة سوء العاقبة، قرىء: ﴿شَقَوْتُنَا﴾ و﴿شَقَاوْتُنَا﴾ بفتح الشين وكسرها فيهما، ... الشقوة من الشقاء كجرية الماء، والمصدر: الْجَزْي، وقد يجيء لفظ فعله، والمراد به الهيئة والحال، فيقول جلسة حسنة وركبة وقعدة وذلك من الهيئة، وتقول: عاش فلان عيشة طيبة، ومات ميتة كريمة، وهذا هو الحال والهيئة، فعلى هذا المراد من الشقوة حال الشقاء^(٩٤٤).

بالجمع بين القراءتين نستشعرُ خوفَ الكافر وخشيته وحزنه وندمه وحسرتة حيث يعترف بأن اختياره أسباب الشقاء في الدنيا أشقاء فيها شقاء بسيطاً لا يساوي إلا شيئاً هيناً إذا قيس بالشقاء الذي عقب عليه بسبب ذلك الاختيار، ولازمه في الآخرة؛ ليحصل له الشقاء الذي ما بعده شقاء، وعندها لا ينفعه ندم ولو عضَّ على أصابعه حتى تقطعت جميعاً، والله أعلم.

٢٨ - قال تعالى: ﴿قَالَ أَخْسَأْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِي﴾ بإثبات ياء المتكلم.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ بحذف ياء المتكلم^(٩٤٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«كلم: الكلام القول، معروف، وقيل: الكلام ما كان مكتفياً بنفسه وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفياً بنفسه وهو الجزء من الجملة»^(٩٤٦).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية تمثل الرد النهائي على تضرع الكفار من رب العالمين الذي له الكلمة الأولى والأخيرة في مصير أولئك الكفرة.

(٩٤٤) تفسير الرازي ج ٢٣/ص ١٢٤. وانظر: الكشف ج ٣ / ص ٤٤.

(٩٤٥) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٨.

(٩٤٦) لسان العرب ج ١٢ / ص ٦١٧ - ٦١٨.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: «هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار، يقول: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا﴾ أي: امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء. ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي» (٩٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِي﴾ منعُ الله - تعالى - الكفار من الكلام عن تفاصيلِ مسبباتِ شقاوتهم التي جعلت مآلهم إلى النار، وطلبهم الرجوع إلى الدنيا مؤكدين صلاحهم حال عودتهم إليها.

بينما تفيد قراءة ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ زجرُ الله للكفار عن الكلام البتة، فكان آخر ما قالوه: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]

يقول النسفي - رَحِمَهُ اللهُ -: «﴿قَالَ أَخْشَوْا فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت ذلة وهوان ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ في رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف. قيل: هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير» (٩٤٨).

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله - تعالى - زجرَ الكفار في هذه الآية عن الكلام البتة قليله وكثيره، ممَّا يدلُّ على شدَّة غضبِ الله - تعالى - على الكفار وعلمه تعالى أنَّهم لو ردُّوا إلى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه، والله أعلم.

٢٩ - قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾:

١ - قرأ ابن كثير، وحفص، ورويس ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ بإظهار الذال والتاء

(٩٤٧) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٠.

(٩٤٨) تفسير النسفي ج ٣ ص ١٩٢. وانظر: تفسير الماوردي ج ٤ ص ٦٨.

بعدها.

٢ - وقرأ الباقون ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ بإدغام الذال في التاء^(٩٤٩).

القراءات في ﴿سَخِرَياً﴾:

١ - قرأ المدنيان وحزمة والكسائي وخلف ﴿سُخِرِياً﴾ بضم السين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿سَخِرِياً﴾ بكسر السين^(٩٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾: «الأتخاذُ افتعال من الأخذ إلا أنه ادغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فعل يفعل فقالوا تَخَذَ يَتَخَذُ»^(٩٥١).

(سخرياً): هزءاً، وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء، والمضموم من التسخير والخدمة^(٩٥٢).

«وَالسُّخْرَةُ: ما تَسَخَّرَتْ من دَابَّةٍ أو خادم بلا أجر ولا ثمن ويقال سَخَّرْتُهُ بمعنى سَخَّرْتُهُ أَي قَهَرْتُهُ وذللته»^(٩٥٣).

«السُّخْرِيُّ: بالضم ما كان من جهة السُّخْرَةِ، والسُّخْرِيُّ بالكسر: ما كان من الهُزْؤِ»^(٩٥٤).

ثالثاً: التفسير:

يُؤْتَبُ الله - ﷻ - الكفَّارَ على ما فعلوه بالمؤمنين حين تشاغلوا

(٩٤٩) انظر: النشر ج ٢ / ص ١٥.

(٩٥٠) انظر: النشر ج ٢ / ص ٣٢٩.

(٩٥١) مختار الصحاح ص ٨.

(٩٥٢) الكلبيات ص ٥٢١.

(٩٥٣) انظر: لسان العرب ج ٤ / ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٩٥٤) معاني القرآن للنحاس ج ٢ / ص ٧٨٩. وانظر: القراءات وأثرها في معاني العربية ج ١ / ص ٤٥٨.

بالسُّخْرِيَّةِ منهم وتسخيرهم واستعبادهم عن ذكر الله تعالى.

يقول أبو السعود - رَحِمَهُ اللهُ -: «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا» أي اسكتوا عن الدُّعَاءِ بقولكم: ربنا الخ، لأنكم كنتم تستهزئون بالدَّاعِينَ بقولهم: ربنا آمنا الخ، وتتشاغلون باستهزائهم «حَتَّى أَنْسَوَكُمْ» أي الاستهزاء بهم «ذِكْرِي» من فرط اشتغالكم باستهزائهم «وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ» وذلك غاية الاستهزاء» (٩٥٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ» إدغام الذال في التاء اتخاذ الكفار للمؤمنين - وإن كانت لهم بهم قرابة ونسب - سِخْرِيًّا في مجالس نجواهم، وسُخْرِيًّا باستعبادهم لهم بما لا يطيقون.

وتفيد قراءة «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ» بإظهار الذال والتاء قصد الكفار السُّخْرِيَّةَ من المؤمنين واستعبادهم وفعل ذلك بالضعفاء علناً أمام الناس.

يقول ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ -: «قوله تعالى: «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ» قال الزجاج: الأجود إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأنَّ الذال من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيء من التباعد» (٩٥٦).

أمَّا قراءة «سُخْرِيًّا» فتفيد السُّخْرَةَ والعبودية أي تسخروهم وتستعبدوهم.

في حين تفيد قراءة «سِخْرِيًّا» الهزاء أي تستهزئون بهم.

يقول الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «السخري - بالضم والكسر -: مصدر سخر كالسخر، إلا أنَّ في ياء النسب زيادة قوَّة في الفعل، كما قيل: الخصوصية في الخصوص. وعن الكسائي والفراء: أنَّ المكسور من الهزاء،

(٩٥٥) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٤٣٣.

(٩٥٦) زاد المسير مج ٣ / ص ٢٧٢.

والمضموم من السخرة والعبودية، أي: تسخروهم واستعبدهم» (٩٥٧).

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله - ﷻ - يُؤَيِّخُ الكفار بسبب إذلالهم للمؤمنين وتسخيرهم لهم واستهزائهم بهم حتَّى اتخذوهم في مجالس نجواهم موضوعاً للاستهزاء بهم، واتخذوهم في استعبادهم لهم سُخْرَةً أمامَ الناس، غيرَ عابئينَ بأيِّ رابطةٍ صلةٍ من قرابةٍ ونحوها، حتَّى أصبحَ كُلُّ ذلك شغلهم فنسوا ذكرَ الله تعالى وهم يضحكون منهم، والله أعلم.

٣٠ - قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ

﴿المؤمنون: ١١١﴾.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي ﴿إِنَّهُمْ هُمْ﴾ بكسر الهمزة.

٢ - وقرأ الباقون ﴿أَنَّهُمْ هُمْ﴾ بفتح الهمزة (٩٥٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: (٩٥٩).

ثالثاً: التفسير:

يُبَشِّرُ الله - تعالى - المؤمنين بما أعدَّ لهم من النعيم جزاءً صبرهم فكانوا هم الفائزين بنعيم الجنة.

يقول الفخر الرازي: «بيِّن سبحانه ما يستلزم في الكفار الأسف والحسرة بأن وصف ما جازى به أولئك المؤمنين فقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿١١١﴾ قرأ حمزة والكسائي (إِنَّهُمْ) بالكسر والباقون بالفتح، فالكسر استئناف أي: قد فازوا حيث صبروا فجازوا بصبرهم أحسن الجزاء، والفتح على أنه في موضع المفعول الثاني من

(٩٥٧) الكشف ج ٣/ ص ٤٤. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج ٢/ ص ٦٠٧ - ٦١١.

(٩٥٨) انظر: النشر ج ٢/ ص ٣٢٩، ٣٣٠.

(٩٥٩) سبق المعنى اللغوي للأدوات (إِنَّ) و(أَنَّ) انظر: ص ٣٣.

جزيت، ويجوزُ أن يكونَ نصباً بإضمارِ الخافضِ، أي: جزيتُهم الجزاءَ الوافرَ لأنَّهم هم الفائزون»^(٩٦٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾ أن الله - تعالى - جزى المؤمنين فوزَهم، والفوزُ هو نيلُ المطلوبِ الأعظم، أي ينالون كلَّ ما يطلبونه.

بينما تفيدُ قراءة ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾ أن الله جزى المؤمنين جنته بما صبروا، وأكدَّ إنَّهم هم الفائزون بمنطوق الآية ممَّا يشيرُ بمفهوم الآية إلى أن الكفار هم الخاسرون.

يقول الشنقيطي - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ حمزة والكسائي: إنهم هم الفائزون بكسر همزة إن، وعلى قراءتهما فمفعول جزيتهم: محذوف: أي جزيتهم جنتي إنهم هم الفائزون، وعلى هذه القراءة فإن لاستثناف الكلام، وقرأ الباقون: أنهم هم الفائزون. بفتح همزة أن، وعلى قراءة الجمهور هذه فالمصدر المنسبك، من أن وصلتها: مفعول به لجزيتهم: أي جزيتهم فوزهم كما لا يخفى. والفوز نيل المطلوب الأعظم»^(٩٦١).

بالجمع بين القراءتين توضَّح الآية بشارَةً للمؤمنين بالتأكيد على فوزهم وعلى نيلهم المطلوب الأعظم في الجنة، ولا شيء أعظم عند أهل الجنة من رؤية الله تعالى، والله أعلم.

٣١ - قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

[المؤمنون: ١١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿قَالَ كَمْ﴾:

(٩٦٠) تفسير الرازي ج ٢٣ / ص ١٢٥ - ١٢٦. (بتصرف بسيط).

(٩٦١) أضواء البيان ج ٥/ص ٨٢٩. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج ٢/ ص ٦٥ - ٦٦. والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج ٢/ ص ٨٩٣.

١ - قرأ ابن كثير وحمة والكسائي ﴿قُلْ كَمْ﴾ بغير ألف على الأمر.

٢ - وقرأ الباقون ﴿قَتَلَ كَمْ﴾ بألف على الخبر^(٩٦٢).

القراءات في ﴿لَيْسَتْ﴾:

١ - قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمة، والكسائي، وأبو جعفر ﴿لَيْسْتُمْ﴾ بإدغام التاء والتاء معاً.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَيْسَتْ﴾ بإظهار التاء والتاء^(٩٦٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لبث: «اللبث واللباث: المكث»^(٩٦٤).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ السؤال في هذه الآية ليس الغرض منه معرفة مدّة مكث الكفار في الدنيا ولكن الشعور باستقصاء مدّة مكثهم في الأرض حيث كانوا يظنون أنّه لا حياة إلاّ فيها، وأنّه بعد الموت يدوم الفناء، فكان هذا السؤال تبكيتاً وتوبيخاً لهم.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: «الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ، فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا ويظنون أنّه بعد الموت يدوم الفناء ولا إعادة، فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنّها دائمة، وهم فيها مُخَلَّدُونَ سألهم: ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيهاً لهم على أنّ ما ظنّوه دائماً طويلاً، فهو يسيراً بالإضافة إلى ما أنكروه، فحينئذٍ حصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا، من حيث أيقنوا خلافه، فليس الغرض السؤال بل الغرض ما ذكرنا»^(٩٦٥).

(٩٦٢) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٣٠.

(٩٦٣) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٩.

(٩٦٤) لسان العرب ج ٢/ص ٢٠٥.

(٩٦٥) تفسير الرازي ج ٢٣/ص ١٢٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿قُلْ كَمْ﴾ الأمرُ للملكِ أو بعضُ رؤساءِ أهلِ النار، بسؤالِ الكفارِ عن مدّة مكثهم في الأرض.

بينما تفيدُ قراءة ﴿قَالَ كَمْ﴾ الإخبارُ بأنَّ الله - تعالى - قال لهم وهو أعلمُ بما لبثوا، وإنّما السؤالُ لاستصغارِ أمرِ الأرض، واستقصارِ أيامهم فيها. وإنهم ليحسون اليوم بقصر تلك الحياة وضآلتها. وإنهم ليأثسون ضيقو الصدور، لا يعينهم حسابها وعدتها^(٩٦٦).

أمّا قراءة ﴿لَيَنْتَبِهَنَّ﴾ بإدغامِ التاء والتاء معاً فإنّها تفيدُ قصر مدّة مكث الكفار في الأرض، بالقياس مع مدّة حياتهم في النار.

في حين تفيدُ قراءة ﴿لَيَنْتَبِهَنَّ﴾ بإظهارِ التاء والتاء، أنّهم مكثوا في الأرض المدّة التي قضى الله لهم أن يحيوها بتمامها، ولم يُنقصوا منها شيئاً.

يقول الزمخشري: «﴿قَالَ﴾ في مصاحف أهل الكوفة. وقل: في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام؛ ففي ﴿قَالَ﴾ ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة، وفي ﴿قُلْ﴾ ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار.

استقصروا مدّة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها، لأنّ الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيام الدعة إليها. أو لأنهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو لأنّ المنقضي في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في تقالّهم لسني لبثهم في الدنيا وويخهم على غفلتهم التي كانوا عليها^(٩٦٧).

بالجمع بين القراءات الأربع يتبين في الآية تحذيرٌ للكفار من الاغترار بالدنيا؛ لأنّ حياتهم فيها قصيرةٌ مهما طالّت وسيويخهم ربهم فيسألهم وهم في النار عن مدّة مكثهم فيها، ولكنّهم على رغم أنّهم مكثوا فيها عمرهم

(٩٦٦) في ظلال القرآن ج ٤/ص ٢٤٨٢.

(٩٦٧) الكشف ج ٣/ص ٤٤.

بكامله إلا إنهم سيجدون هذه الحياة قصيرة جداً بالقياس إلى خلودهم في النار، والله أعلم.

٣٢ - قال تعالى: ﴿قَالُوا لِنَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَلِ الْعَادِينَ﴾ ﴿١١٣﴾

[المؤمنون: ١١٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف ﴿فَسَلِ﴾ بالنقل (٩٦٨).

٢ - قرأ الباقون ﴿فَتَنَلِ﴾ بغير نقل (٩٦٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: (٩٧٠).

ثالثاً: التفسير:

يجيب الكفار في هذه الآية على السائل عن مدة مكثهم في الأرض بأنهم لم يمكثوا فيها إلا يوماً أو بعض يوم، ولكونهم في ضيق لا يقدرون معه على العد والحساب ينقلون السؤال للعادين من البشر أو الملائكة.

يقول البيضاوي - رحمه الله -: «﴿قَالُوا لِنَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار، أو لأنها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار، أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم. ﴿فَتَنَلِ الْعَادِينَ﴾ الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها فإننا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها، أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم. وقرئ ﴿الْعَادِينَ﴾ بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون ما نقول، و﴿الْعَادِينَ﴾ أي القدماء المعمرين فإنهم أيضاً يستقصرون» (٩٧١).

(٩٦٨) سبق التعريف بالنقل في الموضع العاشر من سورة الأنبياء، انظر: ص ١٦٢.

(٩٦٩) انظر: النشر ج ١/ص ٤١٤، ج ٢/ص ٣٣٠.

(٩٧٠) سبق المعنى اللغوي لـ (سأل). انظر ص ١٦٢.

(٩٧١) تفسير البيضاوي ص ٤٦٩.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿فَسَلْ﴾ بالنقل سرعة نقل السؤال للملائكة الذين يُحصون أعمار العباد، ويُحصون أعمالهم.

يقول الزمخشري - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرئ: ﴿فَسَلِ الْعَادِينَ﴾ والمعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوماً أو بعض يوم؛ لما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نعدّها (كم هي) فَسَلْ من فيه أن يعدّ، ومن يقدر أن يلقي إليه فكره. وقيل: فَسَلِ الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد ويحصون أعمالهم. وقرئ: ﴿الْعَادِينَ﴾ بالتخفيف أي: الظلمة فإنهم يقولون كما نقول. وقرئ: ﴿الْعَادِينَ﴾ أي: القدماء المُعَمَّرين، فإنهم يستقصرونها» (٩٧٢).

بينما تفيد قراءة ﴿فَسَلْ﴾ بغير نقل التدقيق في السؤال، وأن السؤال على ظاهره، وكأنّهم بعثوا ويظنون أن الدنيا ما زالت باقية.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ -: «وأما قولهم: ﴿فَسَلِ الْعَادِينَ﴾ فهو اعتراف بأنّهم لم يضبطوا مدّة مكثهم، فأحالوا السائل على من يضبط ذلك من الذين يظنونهم لم يزالوا أحياء لأنهم حسبوا أنهم بعثوا والدنيا باقية، وحسبوا أن السؤال على ظاهره فتبرأوا من عهدة عدم ضبط الجواب» (٩٧٣).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ الكفار في الآخرة يكونون في كرب شديد وحالٍ يُرْتَى لها حيث لا يستطيعون تقدير مدّة مكثهم في الدنيا، فيحيلون السائل لهم عنها إلى العادين المختصّين بهذا العمل في الدنيا حيث يظنون أنّهم بعثوا والحياة كما هي والسؤال على ظاهره أو إحالته إلى الملائكة الذين يحسبون أعمار العباد، ويحصون أعمالهم، والله أعلم.

(٩٧٢) الكشف ج ٣/ص ٤٤.

(٩٧٣) التحرير والتنوير مج ٩/ ج ١٨/ ص ١٣٢.

٣٣ - قال تعالى: ﴿قَدْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴾ [المؤمنون: ١١٤].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿قَالَ إِنْ﴾:

١ - قرأ حمزة والكسائي ﴿قَالَ إِنْ﴾ بغير ألف على الأمر.

٢ - وقرأ الباقون ﴿قَالَ إِنْ﴾ بألف على الخبر^(٩٧٤).

القراءات في ﴿لَيْسَ﴾: (٩٧٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: (٩٧٦).

ثالثاً: التفسير:

يَصْدُقُ اللَّهُ - ﷻ - الكفار فيما قالوه عن مدّة مكثهم في الأرض بقوله لهم إنهم لم يمكنوا في الأرض إلا قليلاً لو أنهم يعلمون مدّة مكثهم في الدنيا.

يقول البغوي: «﴿قَالَ إِنْ لَيْسَ﴾ أي: ما لبثتم في الدنيا، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ سَمَاءً قَلِيلًا لِأَنَّ الْوَاحِدَ وَإِنْ طَالَ مَكُثُهُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ قَلِيلًا فِي جَنْبِ مَا يَلِيبُ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ لَبَثَهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْقَبْرِ مَتْنَاهُ، ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قَدْرَ لَبَثِكُمْ فِي الدُّنْيَا»^(٩٧٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿قَالَ إِنْ﴾ بغير ألف على أمر من يؤمر بسؤالهم.

وتفيد قراءة ﴿قَالَ إِنْ﴾ على الإخبار عن السائل.

(٩٧٤) انظر: النشر ج ٢/ص ٣٣٠.

(٩٧٥) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٩.

(٩٧٦) سبق في الموضع الحادي والثلاثين من هذه السورة، انظر: ص ٣٦٠.

(٩٧٧) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٣٢.

أَمَّا قِرَاءَةُ ﴿لَيَنْتُنَّ﴾ بِإِدْغَامِ الشَّاءِ وَالْتِاءِ مَعًا فَتَفِيدُ أَنَّهُمْ شَعَرُوا بِقُصْرِ مَدَّةِ
مَكْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

بَيْنَمَا قِرَاءَةُ ﴿لَيَبْثُنَّ﴾ بِإِظْهَارِ الشَّاءِ وَالْتِاءِ فَإِنَّهَا تَفِيدُ مَدَّةَ مَكْثِهِمْ فِي
الْأَرْضِ بِتَمَامِهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا.

بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْقِرَاءَاتِ الْأَرْبَعِ يَتِمُّ إِخْبَارُ الْكُفَّارِ - مِنْ السَّائِلِ الَّذِي يُؤْمَرُ
بِسُؤَالِهِمْ عَنْ مَدَّةِ مَكْثِهِمْ - بِأَنَّهُمْ عَلَى رَغْمِ حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْمَدَّةَ الَّتِي
قَدَّرَهَا اللَّهُ لَهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا أَنَّهُمْ مَكثُوا فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا^(٩٧٨)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الفهارس

وتشتمل على:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

— أ —

٢ - الإبانة عن معاني القراءات - لأبي محمد مكى بن أبى طالب القيسى - حققه وقَدَّم له: الدكتور محيى الدين رمضان - دار المأمون للتراث - دمشق - ط ١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٣ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (المسمى منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات) - للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطى المتوفى سنة ١١١٧هـ - تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل - عالم الكتب - بيروت - ط (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

٤ - الإتيقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى: مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر - ط ٤ (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٥ - إتمام الأعلام - لنزار أباطة ومحمد المالح: دار الفكر - ط ٢ [بدون تاريخ طبع].

٦ - الأحرف السبعة للقرآن - لأبى عمرو الدانى - تحقيق: د. عبد المهيمن طحان - مكتبة المنارة - مكة المكرمة - ط ١ (١٤٠٨هـ).

٧ - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها - للدكتور حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية بيروت - ط ١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

٨ - أحكام القرآن - لمحمد بن إدريس الشافعى - تحقيق: عبد الغنى عبد الخالق - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١٤٠٠).

٩ - الأدوات النحوية فى كتب التفسير - للدكتور: محمود أحمد الصغير - دار الفكر - بيروت - ط ١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

- ١٠ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) - للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ت: ٩٨٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
- ١١ - أساس البلاغة - للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ - تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود - دار المعرفة للطباعة - بيروت - ط (١٣٣٩هـ / ١٩٧٩م).
- ١٢ - الأساس في التفسير - لسعيد حوى: دار السلام - ط ٢ (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- ١٣ - الأسامي والكنى - لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني - تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع - مكتبة دار الأقصى - الكويت - ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).
- ١٤ - أسباب النزول (دراسة جامعة لأقوال الأئمة: القرطبي، وابن كثير، والواحدي - للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبي الفضل السيوطي، ت: ٩١١هـ - دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - ط ١ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ١٥ - أسباب النزول - للإمام علي بن أحمد، أبي الحسن الواحدي، ت: ٤٦٨هـ - تحقيق: أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - ط (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- ١٦ - أسرار ترتيب القرآن - للحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، ت: ٩١١هـ - دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم - دار الفضيلة - القاهرة - [بدون تاريخ طبع].
- ١٧ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - للشيخ الدكتور: محمد بن محمد أبو شهبة - مكتبة السنة - القاهرة - ط ٤ (١٤٠٨).
- ١٨ - أسماء القبائل وأنسائها - للعلامة السيد مُعزّ الدين محمد المهدي الحسيني الشهير بالقزويني - شرح وتحقيق: كامل سليمان الجبوري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- ١٩ - الاشتقاق - لأبي بكر محمد الحسن بن دُرَيْد - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - ط ١ (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- ٢٠ - أضواء على علم القراءات - للدكتور: إسماعيل نواهضة (جامعة القدس) - مجلة الإسراء - العدد ٨ (١٩٩٧م / رمضان - شوال ١٤١٧هـ) ص ٣٨ - ٤٢.
- ٢١ - أطلس القرآن (أماكن - أقوام - أعلام) - للدكتور شوقي أبو خليل: دار الفكر المعاصر - بيروت - ط ١ (٢٠٠٠م)، إعادة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

- ٢٢ - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - للدكتور عبد السلام اللوح: مكتبة آفاق للطباعة والنشر - غزة - فلسطين - ط ٢ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ٢٣ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - لمصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٣ (٢٠٠٥م / ١٤٢٥هـ).
- ٢٤ - إعراب القراءات السبع وعللها - لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي، ت: ٣٧٠هـ - حققه وقدم له: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
- ٢٥ - إعراب القرآن الكريم وبيانه - للأستاذ محيي الدين الدرويش: دار اليمامة، دار ابن كثير - دمشق، بيروت - ط ٧ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ٢٦ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - لأبي عبد الله الحسين بن خالويه: المكتبة الثقافية - بيروت - ط (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ٢٧ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي: دار العلم للملايين - بيروت - ط ٥ (١٩٨٠م).
- ٢٨ - الإقناع في القراءات السبع - للشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المتوفي سنة ٥٤٠هـ - حققه وعلّق عليه: الشيخ أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
- ٢٩ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري: دار الفكر - بيروت - ط (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٣٠ - إنباه الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة - ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- ٣١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) - للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي - تصحيح: محمد سالم محيسن - مكتبة الجمهورية العربية - مصر.

— ب —

- ٣٢ - بحر العلوم (تفسير السمرقندي) - لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت: ٣٧٥هـ - تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

- ٣٣ - البحر المحيط - لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان - دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ٣٤ - البداية والنهاية - لأبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: دار أبي حيان - القاهرة - ط ١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
- ٣٥ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني - دار الفكر - ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
- ٣٦ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة - لعبد الفتاح القاضي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ط ١ (١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م).
- ٣٧ - البرهان في علوم القرآن - للشيخ محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - بيروت - ط ١ (١٣٩١هـ).
- ٣٨ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - لمجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي - تحقيق: محمد علي النجار - لجنة إحياء التراث الإسلامي - ط ٢ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- ٣٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - لجلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية - بيروت - [بدون تاريخ طبع].
- ٤٠ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - للدكتور فاضل السامرائي: دار عمار - عمان - ط ١ (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- ٤١ - بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات، وكثرة الطرق والروايات - لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي، ت: ٤٤٠هـ: ضمن كتاب: أربعة كتب في علوم القرآن - للمهدي ولابن بزّي وللصفاقسي ولمجهول - تحقيق الدكتور: حاتم صالح الضامن - عالم الكتب - بيروت - ط ١ (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

— ت —

- ٤٢ - تاج العروس من جواهر القاموس - لمحمد مرتضى الزبيدي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ط ١ (١٣٠٦هـ).
- ٤٣ - التاريخ الكبير - لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبد الله البخاري الجعفي - تحقيق: السيد هاشم الندوي - دار الفكر - [بدون تاريخ طبع].

- ٤٤ - تاريخ بغداد - لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية - بيروت - [بدون تاريخ طبع].
- ٤٥ - التأنيث في اللغة العربية - لإبراهيم إبراهيم بركات - المكتبة العلمية بالمنصورة - ط (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- ٤٦ - التبيان في تفسير غريب القرآن - لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ت: ٨١٥ - تحقيق: الدكتور فتحي أنور الدابولي - دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة - ط ١ (١٩٩٢م).
- ٤٧ - تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة - للإمام محمد بن محمد بن الجزري - تحقيق: جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث بطنطا - ط (٢٠٠٤م).
- ٤٨ - التحديد في الإتقان والتجويد - لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، ت: ٤٤٤هـ - دراسة وتحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد - مكتبة دار الأنبار - العراق ط ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م).
- ٤٩ - التحرير والتنوير - للطاهر بن عاشور: دار سحنون - تونس - ط (١٩٩٧م).
- ٥٠ - تخريج أحاديث وآثار كتاب: (في ظلال القرآن لسيد قطب) - لعلوي السقاف: دار الهجرة - الرياض - ط ١ (١٤١٢ هـ / ١٩٩١م).
- ٥١ - تذكرة الحفاظ - للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، ت: ٧٤٨ هـ - صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي - دار الفكر العربي.
- ٥٢ - تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم - لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي - تحقيق: محمود إبراهيم زايد - دار الوعي - حلب - ط ١ (١٣٦٩هـ).
- ٥٣ - التعبير القرآني - للدكتور فاضل السامرائي: دار عمار - عمان - ط ١ (١٩٩٨م).
- ٥٤ - تعدد قراءات القرآن وما يتعلق بها - لفضيلة الأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيري - إعداد الشيخ: علي حامد عبد الرحيم - مجلة الأزهر: يصدرها: مجمع البحوث الإسلامية - السنة ٧٦ - جزء ٦ / أغسطس (٢٠٠٣م) - ص ٨٥٧.
- ٥٥ - التعديل والتجريح، لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح - لسليمان بن خلف بن سعد أبي الوليد الباجي - تحقيق: د. أبو لبابة حسين - دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض - ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

- ٥٦ - تفسير ابن أبي زمنين (وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام) - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، ت: ٣٩٩هـ - تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- ٥٧ - تفسير ابن عربي - للشيخ محيي الدين بن عربي، ت: ٦٣٨هـ - دار صادر - بيروت - ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).
- ٥٨ - تفسير الجلالين - لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي - دار الحديث - القاهرة - ط١ [بدون تاريخ طبع].
- ٥٩ - تفسير سفيان الثوري - للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي / ت: ١٦١هـ - راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ٦٠ - تفسير سورة طه (تفسيراً موضوعياً) - لمحمد عبد الكريم أحمد الحسن - (رسالة ماجستير) إشراف فضيلة الدكتور محمد أبو زور - الجامعة الإسلامية - (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
- ٦١ - تفسير الشعراوي - للشيخ محمد متولي الشعراوي - راجع أصله وخرّج أحاديثه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم - أخبار اليوم - ط (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- ٦٢ - التفسير الكامل (وهو تفسير آي القرآن الكريم) - لشيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّاني الدمشقي المعروف بابن تيمية، ت: ٧٢٨ - جمع ودراسة وتحقيق وتخريج: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي - دار الفكر - بيروت - ط١ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ٦٣ - التفسير الكبير - للإمام العلامة تقي الدين بن تيمية، ت: ٧٢٨ - تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن عميرة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- ٦٤ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) - للفيخر الرازي - دار الكتب العلمية - طهران - ط٢ [بدون تاريخ طبع].
- ٦٥ - تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي) - للشيخ الإمام سلطان العلماء عزّ الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، ت: ٦٦٠هـ - دار ابن حزم - بيروت - ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

- ٦٦ - تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (الفاتحة، البقرة، وآل عمران) - للأستاذ عبد الله علي الملاحي - إشراف الدكتور: مروان أبو راس - الجامعة الإسلامية - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٦٧ - تفسير القرآن العظيم - للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ - تحقيق: د. حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - القاهرة - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ٦٨ - تفسير القرآن الكريم - للدكتور عبد الله شحاتة: دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة - [بدون تاخير طبع].
- ٦٩ - التفسير القرآني للقرآن - لعبد الكريم الخطيب: دار الفكر العربي - [بدون تاريخ طبع].
- ٧٠ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - للدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر - دمشق - ط ١ (١٩٩١م).
- ٧١ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) - للإمام عبد الله بن أحمد النسفي، ت: ٧١٠ - تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار - دار النفائس - ط ١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
- ٧٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - لفضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوي الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر: مطبعة السعادة - ط (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ٧٣ - التفسير الوسيط - للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر المعاصر - بيروت - ط ١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ٧٤ - تقريب التهذيب - لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي - تحقيق: محمد عوامة - دار الرشيد - سورية - ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- ٧٥ - تهذيب الآثار (الجزء المفقود) - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ - تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا - دار المأمون للتراث - دمشق - ط ١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- ٧٦ - تهذيب التهذيب - لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي: دار الفكر - بيروت - ط ١ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- ٧٧ - تهذيب الكمال - ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي - تحقيق: د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

- ٧٨ - التوجيه اللغوي لقراءة عاصم - للدكتور صبري المتولي - أجازته الأستاذ الدكتور شوقي ضيف - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط (١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م).
- ٧٩ - التوقيف على مهمات التعاريف (معجم لغوي اصطلاحي) - لمحمد عبد الرؤوف المناوي - تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية - دار الفكر - دمشق - ط ١ (١٩٩٠م)، إعادة: (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ٨٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) - لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي - تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - ط (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

— ث —

- ٨١ - الثقات - لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي - تحقيق: السيد شرف الدين أحمد - دار الفكر - بيروت - ط (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).

— ج —

- ٨٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ - قدم له: الشيخ خليل الميس - ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار - دار الفكر - بيروت - ط (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
- ٨٣ - جامع الصحيح المختصر - للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ط ٣ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- ٨٤ - الجامع الصحيح سنن الترمذي - لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٨٥ - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: دار الريان للتراث - القاهرة - [بدون تاريخ طبع].
- ٨٦ - الجرح والتعديل - لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط (١٢٧١هـ / ١٩٥٢م).
- ٨٧ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - للإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الشعالي - حققه وخرّج أحاديثه ووثق أصوله أبو محمد العُمّاري الإدريسي الحسني - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

- ٨٨ - الجواهر المصنوع في رواية قالون - للعالم العلامة المُحقق السَّيِّد هادي بن حسن بن عبد الرحمن ابن حسن السَّقَّافِ العَلَوِيّ (١٢٦٦ - ١٣٢٩هـ) - دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع - ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

— ح —

- ٨٩ - حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي - للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المتوفي سنة ١٠٩٦هـ على تفسير البيضاوي الإمام أبي سعيد ناصر عبد الله بن عمر بن محمد المتوفي سنة ٦٩١هـ - ضبطه وخرَّجَ آياته وأحاديثه: الشيخ عبد الرزاق المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- ٩٠ - حاشية القونوي على تفسير البيضاوي - لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ومعه حاشية ابن التمجيد - ضبطه وصحَّحه وخرَّجَ آياته: عبد الله محمود محمد عمر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ٩١ - حجة القراءات - لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبي زرعة - تحقيق: سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- ٩٢ - الحجة للقراء السبعة (أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد) لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، ت: ٣٧٧هـ - حقَّقه: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي - راجعه ودقَّقه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق - دار المأمون للتراث - ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
- ٩٣ - الحجة في القراءات السبع - للإمام ابن خالويه - تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٦ (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- ٩٤ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - للحافظ جلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- ٩٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٤ (١٤٠٥هـ).
- ٩٦ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر - للشيخ عبد الرزاق البيطار - تحقيق: محمد البيطار - دار صادر - بيروت - ط ٢ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

— خ —

- ٩٧ - الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جني - تحقيق: محمد علي النجار - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٢هـ).

— د —

- ٩٨ - دراسات في فقه اللغة - للدكتور صبحي الصالح: دار العلم للملايين بيروت - ط ٩ (١٩٨١م).
- ٩٩ - دراسة الصوت اللغوي - للدكتور: أحمد مختار عمر: عالم الكتب - القاهرة - ط ٢ (١٩٨١م).
- ١٠٠ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ: دار الجيل - بيروت - [بدون تاريخ طبع].
- ١٠١ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمن الحلبي - تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
- ١٠٢ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - لعبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين السيوطي - دار الفكر - بيروت - ط (١٩٩٣م).
- ١٠٣ - دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية - للدكتور محمد السيد الجليلند: مؤسسة علوم القرآن - بيروت - ط ٣ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- ١٠٤ - دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري - جمع وتصنيف وتحقيق: الدكتور: عبد الرحمن عميرة - عالم الكتب - ط ١ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- ١٠٥ - دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم - للدكتور خالد قاسم بن دومي: عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن - ط ١ (٢٠٠٦م).
- ١٠٦ - ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: دار المعارف - القاهرة - ط ٣ [بدون تاريخ طبع].

— ر —

- ١٠٧ - روح البيان في تفسير القرآن - للإمام الشيخ إسماعيل بن مصطفى الحنفي الخَلَوْتِي البروسوي، ت: ١١٢٧هـ - ضبطه وصححه وخَرَجَ آياته: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

- ١٠٨ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت: ١٢٧هـ - قرأه وصححه: محمد حسين العرب - دار الفكر - بيروت.
- ١٠٩ - الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب - بحث للأستاذ الدكتور: علي محمد حسن العماري - رئيس التحرير: الدكتور: علي أحمد الخطيب - الأزهر - ط (١٤١٧هـ).

— ز —

- ١١٠ - زاد المسير في علم التفسير - للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: ٥٩٧ - تحقيق: عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- ١١١ - زهرة التفاسير - للإمام الجليل محمد أبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ: دار الفكر العربي - القاهرة [بدون تاريخ طبع].

— س —

- ١١٢ - السراج المنير (تفسير القرآن الكريم) - للإمام الشيخ خطيب الشربيني: دار المعرفة - بيروت - ط ٢ [بدون تاريخ طبع].
- ١١٣ - سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن القاصح العذري البغدادي - إشراف: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر - بيروت - ط (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- ١١٤ - سلامة الحرف من الزيادة والحذف - للدكتور حسن فضل عباس - مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت - السنة الرابعة - العدد التاسع (١٤٠٨هـ/ ديسمبر ١٩٨٧م) ص ٣١.
- ١١٥ - سنن أبي داود - لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي: دار الفكر - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - مع الكتاب تعليقات كمال يوسف الحوت - والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- ١١٦ - سنن النسائي الكبرى - لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي - تحقيق: دكتور: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

١١٧ - سير أعلام النبلاء - لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٩ (١٤١٣هـ).

— ش —

١١٨ - شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى - للدكتور يحيى القاسم - مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، السلسلة أ: العلوم الإنسانية والاجتماعية (موضوع العدد: اللغة العربية) مجلة علمية محكمة ومفهرسة تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا - جامعة مؤتة / الأردن - (رجب ١٤١٤هـ / كانون أول ١٩٩٣م) - المجلد ٨ / العدد ٦ / ص ١٦٤.

١١٩ - شبهات حول القراءات القرآنية - للدكتور: فضل عباس - مجلة دراسات: (العلوم الإنسانية: مجلة متخصصة ومحكمة تصدر عن الجامعة الأردنية) - مجلد ١٥ - عدد ٣ - رجب (١٤٠٨هـ) - ص ١٣٧ - ١٣٨.

١٢٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفي سنة ١٠٨٩هـ - دار الفكر. [بدون تاريخ طبع].

١٢١ - شرح ابن عقيل - لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، ت: ٧٦٩هـ على ألفية الإمام إبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، ت: ٦٧٢هـ - دار الفكر - ط (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

١٢٢ - شرح التصريح على التوضيح - للشيخ العلامة خالد بن عبد الله الأزهري على ألفية ابن مالك في النحو للشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري: دار إحياء الكتب العربية [بدون تاريخ طبع].

١٢٣ - شرح الرضي على الكافية - تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر - جامعة قارونس - ط (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

١٢٤ - شرح المفصل - لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، ت: ٦٤٣هـ - عالم الكتب - بيروت - [بدون تاريخ طبع].

١٢٥ - شرح ديوان الفرزدق - لإيليا الحاوي: دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ١ (١٩٨٣م).

١٢٦ - الشعراوي ... أنا من سلالة البيت - لسعيد أبي العينين - دار أخبار اليوم - ط ٥.

١٢٧ - الشيخ كشك في رحاب الوفاء والثناء - لمحمد عبد الله السمان - مكتبة الصحافة للطباعة والنشر.

— ص —

- ١٢٨ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - لمحمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي - تحقيق: شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- ١٢٩ - صحيح الترغيب والترهيب - لمحمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف - الرياض - ط ٥ [بدون تاريخ طبع].
- ١٣٠ - صحيح مسلم - للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري - تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت [بدون تاريخ طبع].
- ١٣١ - صفوة التفاسير - للشيخ محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- ١٣٢ - صور من سور القرآن الكريم - لعبد الكريم خلف الحمصي - سوريا - (١٩٥٠م).

— ض —

- ١٣٣ - الضعفاء الكبير - لأبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي - تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي - دار المكتبة العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

— ط —

- ١٣٤ - طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي - تحقيق: محمود محمد الطناجي، وعبد الفتاح الحلو - دار إحياء الكتب العربية.
- ١٣٥ - الطبقات الكبرى - لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري: دار صادر - بيروت [بدون تاريخ طبع].
- ١٣٦ - طبقات المدلسين - لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي - تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي - مكتبة المنار - عمان - ط ١ (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

- ١٣٧ - طبقات المفسرين - لأحمد بن محمد الأندروي - تحقيق: سليمان بن صالح الخزي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط ١ (١٩٩٧م).
- ١٣٨ - طبقات المفسرين - للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، ت ٩٤٥ - تحقيق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ٢ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- ١٣٩ - طبقات المفسرين - لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: علي محمد عمر - [مجلد واحد] - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ١ (١٣٩٦هـ).
- ١٤٠ - طبقات النحويين واللغويين - لأبي بكر محمد بن الحسين الزبيدي الأندلسي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر - [بدون تاريخ طبع].
- ١٤١ - طلائع البشر في توجيه القراءات العشر - لمحمد الصادق قمحاوي - مكتبة العلم والإيمان - ط ١ [بدون تاريخ طبع].

— ع —

- ١٤٢ - عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي - للإمام الحافظ ابن العربي المالكي، ت: ٥٤٣هـ: دار العلم للجميع - [بدون تاريخ طبع].
- ١٤٣ - علم القراءات (نشأته - أطواره - أثره في العلوم الشرعية) - للدكتور نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل - تقديم: سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - مكتبة التوبة - الرياض - ط ١ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ١٤٤ - العين - لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ط ١ (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

— غ —

- ١٤٥ - غاية النهاية في طبقات القراء - للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري - عني بنشره: ح. برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م).
- ١٤٦ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد - للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ت: ٧٢٨ هـ - ط ١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

- ١٤٧ - غريب الحديث - لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي - تحقيق: محمد عبد المعيد خان - دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ (١٣٩٦م).
- ١٤٨ - غريب القرآن وتفسيره - لأبي عبد الرحمن، عبد الله بن يحيى بن المبارك الزبيدي المتوفي سنة ٢٣٧هـ - حققه وعلّق عليه: محمد سليم الحاج - عالم الكتب - بيروت - ط١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ١٤٩ - غيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري الصفاقسي: دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

— ف —

- ١٥٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: دار المعرفة - بيروت - ط (١٣٧٩هـ).
- ١٥١ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير [مجلد واحد] - للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني: دار ابن حزم - ط١ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ١٥٢ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجميل، ت: ١٢٠٤هـ: مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر - [بدون تاريخ طبع].
- ١٥٣ - الفريد في إعراب القرآن المجيد (إعراب، تفسير، قراءات) - للمنتجب حسين ابن أبي العز الهمداني، ت: ٦٤٣هـ - تحقيق: الدكتور فهمي حسين النمر، والدكتور فؤاد علي مخيمر - دار الثقافة - الدوحة [بدون تاريخ طبع].
- ١٥٤ - فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر - للفقير محمد إبراهيم محمد سالم (تحريراً وجمعاً): [بدون ناشر] - ط (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ١٥٥ - فضائل القرآن ومعالمه وآدابه - لأبي عبيد القاسم بن سلام - تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي - مطبعة فضالة - المغرب - ط (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- ١٥٦ - فنون الأفنان في عيون علوم القرآن - لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ت: ٥٩٧هـ - تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ١٥٧ - فهرس الفهارس والأثبت ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات - لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: دار المغرب الإسلامي - بيروت - ط٢ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

- ١٥٨ - الفوائد - لتمام بن محمد الرازي، أبي القاسم - تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي - مكتبة الرشد - الرياض - ط١ (١٤١٢هـ).
- ١٥٩ - في رحاب التفسير - للشيخ عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث - [بدون تاريخ طبع].
- ١٦٠ - في ظلال القرآن - لسيد قطب: دار الشروق - بيروت - ط٩ (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- ١٦١ - في قراءات القرآن - لعبد الحليم النجار: مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - مطبعة جامعة فؤاد الأول - مايو (١٩٤٨م) - مجلد ١٥ - رقم العدد ١ - ص ١٢٢.
- ١٦٢ - في هامش القرآن الكريم: القراءات العشر المتواترة - فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه - إشراف محمد كريم راجح، شيخ الإقراء في الديار الشامية - دار المهاجر للنشر والتوزيع - ط٤ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

— ق —

- ١٦٣ - القاموس المحيط - للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: ٨١٧هـ - تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- ١٦٤ - قبض العلماء - لطارق ديلواني - مجلة المنبر الإسلامية - مجلة فلسطينية - عدد ٢٥ / ص ٣٩.
- ١٦٥ - القراءات (أحكامها ومصدرها) - لشعبان محمد إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي - جدة - السنة الثانية - ١٤٠٢هـ - العدد ١٩.
- ١٦٦ - القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) - لعبد الهادي الفضلي: دار القلم - بيروت - ط٣ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ١٦٧ - القراءات القرآنية - للدكتور: أحمد محمد القضاة - مجلة الآفاق (جامعة الزرقاء - الأردن) - سنة ١ / ربيع ثان (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) - عدد ١ - ص ٤١.
- ١٦٨ - القراءات القرآنية (تاريخها. ثبوتها. حجيتها. وأحكامها) لعبد الحليم بن محمد الهادي قابه - إشراف ومراجعة وتقديم: الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط١ (١٩٩٩م).
- ١٦٩ - القراءات القرآنية (في ضوء علم اللغة الحديث) - للدكتور عبد الصبور شاهين: مكتبة الخانجي - القاهرة - التقديم بتاريخ: نوفمبر (١٩٦٦هـ).
- ١٧٠ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية للدكتور: فضل حسن عباس، مجلة دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد السابع (١٩٨٧م).

- ١٧١ - القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) - لمحمد بن عمر بن سالم بازمول - إشراف: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد - جامعة أم القرى (١٤١٢هـ) - دار الهجرة لنشر والتوزيع - الرياض - ط ١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- ١٧٢ - القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية - لعبد العال سالم مكرم: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٣ (١٤١٧هـ ١٩٩٦م).
- ١٧٣ - القراءات وأثرها في علوم العربية - للدكتور محمد سالم محيسن - دار الجبل - بيروت - ط ١ (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).
- ١٧٤ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية - للدكتور فضل حسن عباس: مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر - العدد السابع (١٩٨٧م).
- ١٧٥ - القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها - لراضي نواصرة: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - إربد - الأردن - ط (٢٠٠٣م).
- ١٧٦ - القواعد والإشارات في أصول القراءات - لأحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي أبو العباس - تحقيق: د. عبد الكريم محمد الحسن بكار - دار القلم - دمشق - ط ١ (١٤٠٦هـ).

— ك —

- ١٧٧ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - لمحمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي - تحقيق: محمد عوامة - دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة - ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
- ١٧٨ - كتاب سيويه - لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - عالم الكتب - بيروت [بدون تاريخ طبع].
- ١٧٩ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت: ٥٣٨هـ: دار الفكر - .
- ١٨٠ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: ٤٣٧هـ - تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٣ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، و ط ٥ (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).
- ١٨١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لإسماعيل باشا البغدادي الشهير بالقسطنطيني - دار الفكر - بيروت - ط (١٤١٤هـ).

- ١٨٢ - الكلّيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) - لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت: ١٠٩٤هـ - قابله على نسخة خطية، وأعدّه للطبع ووضع فهارسه: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- ١٨٣ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط (١٩٨٩م).
- ١٨٤ - الكواكب الدرية في نزول القرآن على سبعة أحرف - لمحمد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الأزهري المعروف بالحداد، ت: ١٣٥٧هـ: [يلي كتاب التجديد في الإتقان والتجويد - لأحمد محمود عبد السمیع الحفيان] - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- ١٨٥ - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة - للشيخ نجم الدين الغزي: دار الفكر.

- ل -

- ١٨٦ - لباب النقول في أسباب النزول - لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار إحياء العلوم - بيروت.
- ١٨٧ - اللباب في تهذيب الأنساب - للإمام عزّ الدين بن الحسين علي بن محمد بن محمد بن الأثير، ت: ٦٣٠ هـ - تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد - مطبعة دار التأليف - مصر - [بدون تاريخ طبع].
- ١٨٨ - لب الألباب في تحرير الأنساب - لجلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- ١٨٩ - لسان العرب للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري - حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر - راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (٢٠٠٢م / ١٤٢٤هـ).
- ١٩٠ - اللغات في القرآن (رواية ابن سحنون المقرئ المصري بإسناده إلى ابن عباس - رضي الله عنه) - تقديم وتحقيق وتعليق: دكتور توفيق محمد شاهين: مكتبة وهبة - ط ١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

- م -

- ١٩١ - ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي - للدكتور عبد القادر الهنّتي: منشورات دار قان يونس - بنغازي - ط ١ (١٩٩٦م).

- ١٩٢ - مباحث في علوم القرآن - لمناع القطان: مكتبة المعارف - الرياض - ط٣ (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ١٩٣ - المبصر لنور القرآن - لنائلة هاشم صبري: مطبعة الرسالة المقدسية - القدس - ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ١٩٤ - مجاز القرآن - لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٢١٠هـ - عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور محمد فؤاد سزكين - مكتبة الخانجي بمصر - [بدون تاريخ طبع].
- ١٩٥ - المجتبى من السنن - لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب - ط٢ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- ١٩٦ - مجلة دراسات (القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية) - للدكتور: فضل حسن عباس: المجلد الرابع عشر - العدد السابع (١٩٨٧م).
- ١٩٧ - مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية (ظاهرة المد والياء: فتحها وحذفها في قراءة «ورث عن نافع» دراسة فونولوجية تحليلية وصفية) - للباحثة: إيمان «محمد أمين» خضر الكيلاني: المجلد الواحد والثلاثون - العدد الثالث (٢٠٠٤م).
- ١٩٨ - مجمع البيان في تفسير القرآن بالقرآن - للفضل بن الحسن الطبرسي: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - [بدون تاريخ طبع].
- ١٩٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الفكر - بيروت - ط (١٤١٢هـ).
- ٢٠٠ - مجمل اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، ت: ٣٩٥هـ - دراسة وتحقيق: زهير بن المحسن سلطان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- ٢٠١ - المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها - لابن جني - تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الفتاح شلبي - القاهرة [بدون ناشر] - ط (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).
- ٢٠٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: ٥٤٦ - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- ٢٠٣ - مختار الصحاح - لمحمد بن أبي بكر الرازي - تحقيق: محمود خاطر - مكتبة لبنان - بيروت - ط (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

- ٢٠٤ - مختصر ابن كثير - لمحمد علي الصابوني: دار الصابوني - مدينة نصر - الطبعة السابعة [بدون تاريخ طبع].
- ٢٠٥ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي - تحقيق: طيار آلي قولاج - دار صادر - بيروت - ط (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).
- ٢٠٦ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - لجلال الدين السيوطي - تحقيق: فؤاد علي منصور - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٩٩٨هـ).
- ٢٠٧ - المستدرک علی الصحیحین - لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- ٢٠٨ - المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة، الإعراب، التفسير - للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - ط ١ (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- ٢٠٩ - مسند أبي يعلي - لأحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلي الموصلي - تحقيق: حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - دمشق - ط ١ (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م).
- ٢١٠ - مسند الإمام أحمد بن حنبل - للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني: الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها - مؤسسة قرطبة - القاهرة [بدون تاريخ طبع].
- ٢١١ - المسند الصحيح من أسباب النزول - لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي: دار ابن حزم - بيروت - ط ٢ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- ٢١٢ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - لأحمد بن محمد بن علي الفيومي - المكتبة العلمية بيروت - [بدون تاريخ طبع].
- ٢١٣ - المصنف الحديث في أسباب النزول - لعبد الله إسماعيل عمار إمام وخطيب مسجد النور بالبريج: إعداداً وتحقيقاً - مكتبة آفاق للطباعة والنشر - غزة - فلسطين - ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
- ٢١٤ - المصنف في الأحاديث والآثار - لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شبة الكوفي - تحقيق: كمال يوسف الحوت - مكتبة الرشد - الرياض - ط ١ (١٤٠٩هـ).
- ٢١٥ - مشاهير علماء الأمصار - لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي - تحقيق: م. فلايشهر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١٩٥٩هـ).

- ٢١٦ - المصباح المنير - للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: دار الحديث - القاهرة - ط ١ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ٢١٧ - معالم التنزيل في التفسير والتأويل - للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البَغَوِي، ت: ٥١٦هـ - تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون - دار طيبة للنشر والتوزيع ط ٤ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- وينفس الترقيم طبعة أخرى: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- ٢١٨ - معاني الأبنية في العربية - للدكتور فاضل صالح السامرائي: المكتبة الوطنية - بغداد - ط ١ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
- ٢١٩ - معاني القراءات - لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد المتوفى ٣٧٠هـ - تحقيق ودراسة: عيد مصطفى درويش، وعوض بن حمد القُوزي - ط ١ (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- ٢٢٠ - معاني القرآن - للأخفش سعيد بن مَسْعُودَة البَلخي المجاشعي - دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد - عالم الكتب - بيروت - ط ١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ٢٢١ - معاني القرآن - لأبي جعفر النحاس - تحقيق: الدكتور يحيى مراد - دار الحديث - القاهرة - ط (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
- ٢٢٢ - معاني القرآن - لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: ٢٠٧هـ - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ٢٢٣ - معترك الأقراء في إعجاز القرآن - للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الفكر العربي [بدون تاريخ طبع].
- ٢٢٤ - معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م - للشيخ كامل سلمان الجبوري: دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- ٢٢٥ - المعجم الأوسط - لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني - دار الحرمين - القاهرة - ط (١٤١٥هـ).
- ٢٢٦ - معجم البلدان - لياقوت الحموي - تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٠هـ).
- ٢٢٧ - معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن - لسميح عاطف الزين - الدار الأفريقية العربية - لبنان - ط (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

تفسير القرآن بالقرآن القرآنية العشر

- ٢٢٨ - معجم الشعراء المخضرمين والأمويين - للدكتورة عزيزة فوال بابتي - دار صادر - بيروت - ط ١ (١٩٩٨م).
- ٢٢٩ - المعجم الكبير - لسليمان بن أحمد بن أيوب، أبي القاسم الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط ٢ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).
- ٢٣٠ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي - تحقيق: مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ (١٤٠٣هـ).
- ٢٣١ - المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم - للدكتور: محمد ألتونجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- ٢٣٢ - معجم المؤلفين (تراجم مُصَنَّفِي الكتب العربية) - لعمر رضا كحالة - دار إحياء التراث العربي - بيروت - [بدون تاريخ طبع].
- ٢٣٣ - المعجم الوسيط - قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون: المكتبة الإسلامية - تركيا - ط ٢ (١٩٧٢م).
- ٢٣٤ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: بشار عواد معروف، وآخرون - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ (١٤٠٤هـ).
- ٢٣٥ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة - للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - ط ٢ (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨).
- ٢٣٦ - المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم - للدكتور عبد الرحمن الجمل: ط ٢ (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- ٢٣٧ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - لجمال الدين بن هشام الأنصاري، ت: ٧٦١هـ - تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - راجعه: سعيد الأفغاني - دار الفكر - بيروت - ط ٥ (١٩٧٩م).
- ٢٣٨ - مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني - لأبي العلاء الكرمانى المتوفى بعد ٥٦٣هـ - دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الكريم مصطفى مدليج - تقديم: الدكتور محسن عبد الحميد - دار ابن حزم - ط ١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ٢٣٩ - مفردات ألفاظ القرآن - للعلامة الراغب الأصفهاني - تحقيق: صفوان عدنان داوودي - دار القلم - دمشق - ط ٣ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ٢٤٠ - المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز - للدكتور فضل عباس: مجلة

- دراسات (العلوم الإنسانية والتراث) الجامعة الأردنية - عمان - المجلد الحادي عشر - العدد الرابع - (صفر ١٤٠٥هـ / تشرين ثاني ١٩٨٤م).
- ٢٤١ - المقتضب - لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت: ٢٨٥هـ - تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة - وزارة الأوقاف - لجنة التراث الإسلامي - القاهرة - ط (١٣٩٩هـ).
- ٢٤٢ - المقتطف من عيون التفاسير - لمصطفى الحصن المنصوري - تحقيق: محمد علي الصابوني - دار السلام - ط (١٤١٧هـ).
- ٢٤٣ - مقدمة ابن خلدون - للإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - تحقيق: درويش الجويدي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ط ٢ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
- ٢٤٤ - الملخص في إعراب القرآن - لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالخطيب التبريزي - تحقيق: د. يحيى مراد - دار الحديث - القاهرة - ط (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
- ٢٤٥ - مناهل العرفان في علوم القرآن - للشيخ عبد العظيم الزرقاني - تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر - بيروت - ط (١٩٩٦م).
- ٢٤٦ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين - للإمام محمد بن الجزري - تفضل بقراءته بعد طبعه: الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ أحمد محمد شاكر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ٢٤٧ - من القرية إلى العالمية - لمحمد محجوب حسن - مكتبة التراث الإسلامي.
- ٢٤٨ - منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) - للدكتور: عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل - إشراف: الدكتور فضل حسن عباس - الجامعة الأردنية - (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- ٢٤٩ - منهج الشعراوي في التفسير (رسالة ماجستير) - لإبراهيم عيسى إبراهيم صيدم - إشراف: الدكتور عصام العبد زهد - الجامعة الإسلامية بغزة - (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ٢٥٠ - منهج الشيخ عبد الحميد كشك في تفسيره: في رحاب التفسير (رسالة ماجستير) - لسمر عمر محمد الصفدي - إشراف: الدكتور مروان أبو راس - الجامعة الإسلامية بغزة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ٢٥١ - موسوعة القبائل العربية - بحوث ميدانية وتاريخية لمحمد سليمان الطيب: دار الفكر العربي - ط (١٩٩٥هـ / ١٤١٦م).

٢٥٢ - الموضح في وجوه القراءات وعللها - للإمام ابن أبي مريم - تحقيق: د. عمر الكبيسي - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن - ط ١ (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

— ن —

٢٥٣ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لجمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي - تعليق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

٢٥٤ - النسب - لأبي عبيد القاسم بن سلام - تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الدرع - تقديم: الدكتور سهيل زكار - دار الفكر - ط ١ (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

٢٥٥ - النشر في القراءات العشر - للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع - دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٥٦ - نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم (نظرياً وتطبيقاً) - لسامي محمد هشام حريز: دار الشروق للنشر والتوزيع - الأردن - ط ١ (٢٠٠٦م).

٢٥٧ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي، ت: ٨٨٥هـ - خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٢٥٨ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني - تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي - دار الفكر للطباعة والنشر - ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

٢٥٩ - النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني - تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر - ط ٣ [بدون تاريخ طبع].

٢٦٠ - النكت والعيون (تفسير الماوردي) - لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت: ٤٥٠هـ - راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

٢٦١ - النهاية في غريب الحديث والأثر - لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي: المكتبة العلمية - بيروت - ط (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

٢٦٢ - النهر المارد من البحر المحيط - لأبي حيان الأندلسي ت: ٧٥٤هـ - تقديم وضبط: بوران وهديان الضناني - دار الفكر - بيروت - ط ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

— ه —

٢٦٣ - الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) - للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت.
٢٦٤ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية - للإمام جلال الدين السيوطي: دار المعرفة - بيروت [بدون تاريخ طبع].

— و —

٢٦٥ - وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن - للدكتور محيي الدين رمضان: دار الفرقان - عمان - الأردن - ط ١ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
٢٦٦ - الوافي (معجم وسيط للغة العربية) - للشيخ عبد الله البستاني: مكتبة لبنان - بيروت - ط (١٩٨٠م).
٢٦٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لإبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت: ٦٨١هـ - تحقيق: الدكتور إحسان عباس - دار صادر - [بدون تاريخ طبع].

مواقع إلكترونية:

* شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) - جوجل - موقع الإسلام سؤال وجواب.

* www.iu.sa/magazine/ - Google ٣٧ / ٥٧. html

مكتبات إلكترونية مساعدة:

● المكتبة الشاملة ١.

● المكتبة الشاملة ٢.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان وتقدير	٥
الفصل الأول: تفسير سورة (طه) من خلال القراءات القرآنية العشر	٢١
المبحث الأول: تعريف بسورة (طه)	٢٢
أولاً: اسم السورة	٢٣
ثانياً: نوع السورة	٢٤
ثالثاً: عدد آيات السورة	٢٤
رابعاً: فضائل السورة	٢٤
خامساً: مناسبة السورة لما قبلها	٢٥
سادساً: أهداف السورة وغرضها	٢٧
سابعاً: محور السورة	٢٧
ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه	٢٨
المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (طه) المتضمنة للقراءات ...	٢٩
الفصل الثاني: تفسير سورة (الأنبياء) من خلال القراءات القرآنية العشر	١٣٣
المبحث الأول: تعريف بسورة (الأنبياء)	١٣٤
أولاً: اسم السورة	١٣٥
ثانياً: نوع السورة	١٣٦
ثالثاً: عدد آيات السورة	١٣٧
رابعاً: فضائل السورة	١٣٧
خامساً: مناسبة السورة لما قبلها	١٣٨

١٣٩	سادساً: هدف السورة وأغراضها
١٤٠	سابعاً: محور السورة
١٤١	ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه
١٤٣	المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الأنبياء) المتضمنة للقراءات
٢٠٣	الفصل الثالث: تفسير سورة (الحج) من خلال القراءات القرآنية العشر
٢٠٤	المبحث الأول: تعريف بسورة (الحج)
٢٠٥	أولاً: اسم السورة
٢٠٥	ثانياً: نوع السورة
٢٠٧	ثالثاً: عدد آيات السورة
٢٠٧	رابعاً: فضائل السورة
٢٠٨	خامساً: مناسبة السورة لما قبلها
٢٠٩	سادساً: هدف السورة وأغراضها
٢١١	سابعاً: محور السورة
٢١٢	ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه
٢١٣	المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الحج) المتضمنة للقراءات
٢٨٥	الفصل الرابع: تفسير سورة (المؤمنون) من خلال القراءات القرآنية العشر ...
٢٨٦	المبحث الأول: تعريف بسورة (المؤمنون)
٢٨٧	أولاً: اسم السورة
٢٨٧	ثانياً: نوع السورة
٢٨٨	ثالثاً: عدد آيات السورة
٢٨٨	رابعاً: فضائل السورة
٢٨٩	خامساً: مناسبة السورة لما قبلها
٢٩٠	سادساً: هدف السورة وأغراضها
٢٩٢	سابعاً: محور السورة
٢٩٢	ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه
	المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (المؤمنون) المتضمنة
٢٩٥	للقراءات

٣٦٩	فهرس المراجع والمصادر
٣٩٥	فهرس الموضوعات



